بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام
شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م

دار الإمام البخاري
للنشر والتوزيع

الدوحة - قطر - طريق سلوى - بجوار إشارة الغانم الجديد
ص.ب ٢٩٩٩٩ - هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨
albukharibooks@gmail.com

المجموعة السادسة

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

بقلم

أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونسْتَعِينُه، ونسْتَغفِرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرُور أنفُسِنا ومِن سيِّئات أعمالنا، مَن يَهْدِه اللهُ فلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادِيَ له.

وأشهدُ أن لَا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُه ورسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ

أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ أصدَقَ الحديث كتَاب الله، وخيْرَ الهدي هدْيُ محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمُور محْدَثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعَةٍ ضلالة، وكل ضلَالةٍ في النَّار.

إنَّ مِن توفيق ربِّ البرِيَّات، وتسْهيل ربِّ الأرْض وَالسَّموات- أيُّها الإخوة والأخوات- أنْ مَنَّ عليَّ بكِتَابة هَذِهِ المقَالَاتِ الَّتي تضَمَّنت نَصَائحَ تربويَّة، ورسَائل توجيهيَّة، ووصَايا إيمَانيَّة إلى أبنَاء أُمَّتِنَا الإسْلَاميَّة.

والَّتي جعَلتُها المجموعَة السَّادسة لكتاب: «**تَنْبِيه الأُمَّة علَى مَسَائل وأَحْكام شَرْعِيَّة مُهِمَّة**».

فمَا كان فيها مِن صواب- أيُّها الأحباب- فهُوَ مِن توفيق العَزيز الوهَّاب، وأحمَدُه سبحانهُ وأشكرُه علَى أنْ وفَّقنِي لجمع هَذِهِ المقالَات في هَذا الكِتَاب.

وما كان فيه مِن خطإٍ أو سَهْوٍ أو نسيَانٍ فمِنْ مُصنِّفِه المُقَصِّر، ومِن الشَّيطَان، وأستَغفِرُ علَى ذَلِكَ الغَفُورَ المنَّان، وأتُوب إلى العِزيز الرَّحمن.

فالله جَلَّ وَعَلَا «أبَى أنْ يكسُوَ ثوبَ العِصْمَة لغَيْر الصَّادق المصْدُوق، الَّذِي لا يَنطِق عن الهوَى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

فجزَى اللهُ عنَّا كلَّ قارئٍ وجَدَ في الكتاب سَهْوًا فَنصَحَ، أو رَأى فيهِ خَلَلًا فذكَّرَنا وأصلَح، ومَن مِنَّا- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَان- يَسْلَم مِن الخطإِ والسَّهوِ والنِّسْيَان؟!

يَقُولُ الإمامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هكَذا حَفِظْنَا، وهكذا وَقَعَ في كِتَابي، ونحن نُخْطِئ، ومَنْ يَسْلَم مِن الخطَإ؟»(٢).

فالله أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أنْ يَنْفَعَنا جميعًا بهَذِهِ المَقَالَات، وأنْ يجعَل ما سُطِرَ فيها خالصًا لوجهِه الكريم، وأنْ يُثِيبَ كُلَّ مَن أعانَ عَلَى طِباعَة الكتَاب، وأَسْهَمَ في نَشْرِهِ وتَوْزِيعِه بيْنَ المُسْلِمِينَ؛ فهو سُبحانه وليُّ ذَلِك، وأرْحَمُ الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهم وسلِّم على نبيِّنا محمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

كتَبَه

أبو عَبْدِ الله حَمْزَةُ النَّايِلي

(الخريطيات- قَطَر)

---

(١) «مدارج السَّالكين» (٣/ ٣٩٤).

(٢) «فتح المغيث» للسَّخاوي (٢/ ١٦)، «شرح الموطأ» للزرقاني (٣/ ١١٦).

قَبُول الحَق!

قَبُول الحَق!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ علَى أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الأخْلَاق الجميلَة، والصِّفات الكَرِيمة الَّتي فُطِرَ عليها الخَلقُ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأفاضلُ- هي: قَبُول الحَق!

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالإنسَانُ يُولَد مَفطُورًا على قَبُول الحَق، فإنْ هَدَاه اللهُ- تعالى- سبَّبَ له مَن يُعَلِّمُه الهُدى؛ فصَار مَهْدِيًّا بالفِعْل بَعْدَ أنْ كان مَهدِيًّا بالقُوَّة، وإنْ خذَله اللهُ قَيَّض له مَن يُعلِّمُه مَا يُغيِّر فِطْرَتَه»(١).

لكن هَذِهِ الخَصْلَة الحمِيدَة- أَيُّها الكِرَامُ- قد انْدَثَرت عند الكثير مِن الأنَامِ إلَّا مَن عَصَمَهُ العَزِيزُ العَلَّام.

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ اللهَ- تعالى- خلَقَ عِبَادَهُ

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٢٢٥).

حُنفاءَ مَفطُورين علَى قَبُول الحَق، وإيثَاره؛ فجَاءتهم الشَّياطِينُ؛ فاجْتالَتْهُم عن هَذَا الخُلُقِ الجَمِيل، وزيَّنت لهم الشَّرَّ، والشِّركَ، والكُفْرَ، والفُسُوقَ، والعِصْيَانَ»(١).

ومِمَّن صَانَهُم الحفيظُ الجبَّار مِن هَذَا الانحِرَاف والاندِثَار: أهل السُّنة والاتِّباع الَّذِين يَدُورُونَ مع الحقِّ حيْثُ دارَ.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّهم- أي: أهل السُّنة المَحْضَة- أَوْلَى الطَّوائف بهَذَا؛ فإنَّهُم يَصْدُقُون ويُصدِّقُون بالحَقِّ في كلِّ ما جاء به، وليْسَ لهم هوًى إلَّا مع الحَقِّ»(٢).

فَهُم- أيُّها الإخوة والأخوات- بفَضْل ربِّ البرِيَّات- يَقبَلُون الحقَّ حتَّى وإنْ جاء ممن يُخالفُهم مِن أهل البِدَع والمُنكرَات.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقَولُ الحقُّ الَّذِي يَقُوم عليه الدَّليل يُقْبَلُ مِن كُلِّ مَنْ قالَهُ»(٣).

لأنَّهم يَعلمُون أنَّ رَدَّ الحق وعدَم قَبُوله هو مِن عَلَامات الكِبر الَّذِي هو طريقٌ لكلِّ شَرٍّ؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٤).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٠٤).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ١٩٠).
(٣) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٥٦).
(٤) رواه مسلم (٩١).

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَعل الكِبر نوْعَيْن:

كِبر النَّوع الأوَّل: على الحَقِّ، وهو ردُّه وعدَم قَبُوله، فكل مَن ردَّ الحق فإنَّهُ مُستَكْبِرٌ عنه بحسب ما ردَّ مِن الحقِّ، وذَلِكَ أنَّه فَرَضَ علَى العِبَاد أنْ يخضَعُوا للحقِّ الَّذِي أرسَل اللهُ به رسُلَه، وأنزَلَ به كتُبه.

فالمُتكَبِّرون عن الانقِيَاد للرُّسل بالكُلِّية كفَّارٌ مُخَلَّدون في النَّار؛ فإنَّه جاءهُم الحقُّ على أيْدِي الرُّسل، مؤيدًا بالآيات والبَراهين؛ فقامَ الكِبْر في قُلوبهم مانِعًا فردُّوه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦].

وأمَّا المُتكبِّرون عن الانقِيَاد لبَعض الحقِّ الَّذِي يُخَالف رَأيهم وهوَاهُم، فهُمْ- وإن لم يَكُونوا كفارًا- فإنَّ معَهُم مِن مُوجبَات العِقَاب بحَسب ما معَهُم مِن الكِبر.

وما تأثَّروا به مِن الامتِنَاع عن قَبُول الحَقِّ الَّذِي تبيَّن لهم بَعْدَ مَجِيء الشَّرع به.

ولهَذَا أَجْمَعَ العُلَمَاءُ أنَّ مَن استبَانَتْ له سُنَّة رَسُول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لم يَحل له أن يَعْدِلَ عنها لقَول أَحَدٍ، كائنًا مَن كان.

فيَجب على طالِب العِلم أنْ يَعزم عَزْمًا جازمًا على تَقْدِيم قول اللهِ، وقَوْل رسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علَى قولِ كلِّ أحدٍ، وأنْ يَكُون أصلُه الَّذِي يرجع إليه، وأسَاسُه الَّذِي يَبْنِي عليه الاهتِدَاء بهَدْي

النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاجتِهَاد في معرفة مُرَاده، واتِّباعه في ذَلِكَ، ظاهرًا وباطنًا.

فمَتى وُفِّق لهَذَا الأمر الجليل؛ فقد وُفِّق للخَيْر، وصار خَطَؤه مَعْفُوًّا عنه؛ لأنَّ قصده العَام اتِّباع الشَّرع، فالخطأ معْذُورٌ فيه إذا فعل مُسَتطاعه مِن الاستِدلَال والاجتِهَاد في معرفة الحق، وهَذَا هو المتوَاضِع للحَقِّ.

وأمَّا الكِبر على الخَلْقِ- وهو النَّوع الثاني-: فهو غَمْطُهم، واحتِقَارهم، وذَلِكَ ناشِئٌ عن عُجب الإنسَان بنَفْسِه، وتعَاظمه عليهم.

فالعُجْبُ بالنَّفس يَحْمِل عَلى التَّكبر علَى الخَلْقِ، واحْتِقَارهم، والاستِهْزَاء بهم، وتنْقِيصهم بقَوْلِهِ وفِعْلِه»[1].

ويَرَوْن كذَلِكَ- أيُّها الأفاضلُ- أنَّ مَن تَكَبَّر على اتِّباع الحَقِّ؛ ابْتُلِيَ باتِّباع البَاطل؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «المُسْتَكبِر عن الحقِّ يُبتَلى بالانقِيَاد للبَاطل»[2].

وأنَّ مَن قَدَّم هَوَاه، وأعرَض عن الحَقِّ أذلَّهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وابتلَاه؛ **يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «مَن تكبَّر عن الانقِيَاد للحقّ أذَلَّه

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٣١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٢٩).

اللهُ ووضعَهُ وصغَّره وحقَّره»[١].

ويعلمون كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَخْيَارُ- أنَّ الحقَّ لا يُعرف بالكَثْرةِ ولا بالرِّجَال، وإنَّما بالأدِلَّة والآثار.

يَقُولُ الإمامُ ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإيَّاكَ أن تغتَرَّ بما يَغتر به الجاهلُون، فإنَّهم يَقُولُون لو كان هؤلاء على حَقٍّ لم يَكُونوا أقل النَّاس عَدَدًا والنَّاس علَى خِلَافهم، فاعلم أنَّ هؤلاء هُم النَّاس، ومَن خَالَفَهُم فمُشبَّهُون بالنَّاس ولَيْسُوا بنَاسٍ، فما النَّاس إلَّا أهل الحَقِّ وإنْ كَانُوا أقلهم عَددًا»[٢].

فعَلَى المُسلمِ أنْ يَعلم أنَّ مِن تَوْفِيق العَزيز المنَّان لعَبدِه أن يجعَلهُ مِمَّن يَنقاد إلى الحَقِّ مع مَن كان.

يَقُولُ الإمامُ ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَنْ هدَاهُ الله- سبحانه- إلى الأَخْذ بالحَقِّ حيْثُ كان، ومَع مَن كانَ ولو كان مع مَن يُبغِضُه ويُعاديه، ورد البَاطل مع مَن كانَ ولو كان مع مَن يُحِبُّه ويُوالِيه، فهُو ممن هُدِيَ لما اختُلِفَ فيه مِن الحَقِّ، فهَذَا أعْلَمَ النَّاس، وأهْدَاهُم سبِيلًا، وأقْوَمهُم قِيلًا»[٣].

وأنَّ عدَمَ قَبُول الحَق، والإعْرَاض عنه، وعدم الانقِيَاد له هو مِن

---

(١) «مدارج السَّالكين» (٢/ ٣٣٣).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٤٧).
(٣) «الصواعق المُرسلة» (٢/ ٥١٦).

التَّكبُّر على العزيز المُقْتَدِر.

يَقُولُ الإمامُ ابْن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن تكبَّر عن الانقِيَاد للحَقِّ ولو جاءه علَى يدِ صَغير، أو مَن يُبغِضُه أو يُعاديه فإنَّما تكَبُّره على الله، فإنَّ اللهَ هو الحَقُّ، وكلامُه حَقٌّ، ودِينه حَقٌّ، والحَقُّ صِفَتُه، ومِنْهُ، ولَهُ، فإذا ردَّه العبدُ وتكَبَّر عن قَبُوله: فإنَّما ردَّ على اللهِ وتكَبَّر عليه، واللهُ أَعْلَمُ»(١).

فليحذر أَشَدَّ الحَذَر مِن أنْ يَكُون مِن المُنْحَرفين الَّذين هُم عن الحقِّ بَعِيدُون، ولهوَاهم مُتَّبِعُون!

وإذَا أراد أنْ يَكُون ممن يَدُور مَع الحق حيْثُ دار؛ فَلْيُخْلِص لأرْحَم الرَّاحِمين، ولْيَصدق مع ربِّ العَالمين، ثُم ليَبذُل في ذَلِكَ- أيُّها الأحباب- الطُّرق الشَّرعية، والوسَائل المرضِيَّة التي هي بعَوْن العَزيز الوَهَّاب ستَجْعَله مِن أهل الصَّواب.

ومِن ذَلِكَ: أنْ يجتَنِب الأَسْبَابَ المانِعَة مِن قَبُول الحَق، والَّتي هي مَصْدَر كل حِرْمَان، وأَسَاس كل خُسْرَان.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«والأَسْبَابُ المانعَةُ مِن قَبُول الحَق كثِيرةٌ جدًّا:**

فمنها: الجَهْلُ به، وهَذَا السَّبب هو الغَالب على أكْثَر النُّفوس،

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٣).

فإنَّ مَن جَهِلَ شيئًا عادَاهُ، وعادَى أهلَهُ.

فإنَّ انْضَافَ إلى هَذَا السَّبب بُغضُ مَن أَمَرَهُ بالحَقِّ ومُعادَاتُه له وحَسَدُه كان المانعُ مِن القَبُول أقوى.

فإنْ انضَاف إلى ذَلِكَ إلْفُه وعادَتُه ومَرْبَاه على ما كان عليه آباؤه، ومَن يُحِبُّه ويُعَظِّمه قَوِيَ المانعُ.

فإن انْضَاف إلى ذَلِكَ توَهُّمُه أنَّ الحقَّ الَّذي دُعِيَ إليه يَحول بَيْنه وبين جَاهِه وعِزِّه، وشَهَواته، وأغرَاضِه قَوِيَ المانعُ مِن القَبُول جدًّا.

فإن انْضَاف إلى ذَلِكَ خَوْفُه مِن أصحابِه وعَشِيرَته وقومِه على نفْسِه ومالِه وجاهه؛ كما وَقَع لِهِرَقْل مَلِك النَّصارى بالشَّام على عهد رسول الله ﷺ ازْدادَ المانعُ مِن قَبُول الحَقِّ قوةً؛ فإنَّ هِرَقْل عَرَفَ الحَقَّ، وهَمَّ بالدُّخول في الإسْلَام، فلم يُطَاوِعْهُ قَوْمُه، وخَافَهُم على نفْسِه؛ فاخْتَار الكُفْرَ على الإسْلَام بعَد ما تبَيَّن له الهُدَى...

ومِن أَعْظَم هَذِهِ الأَسْبَاب: الحَسَد، فإنَّه دَاءٌ كامِنٌ في النَّفْس، ويرَى الحاسِدُ المَحْسُودَ قد فُضِّلَ عليه، وأُوتِيَ ما لم يُؤت نظِيره، فلا يَدَعُه الحَسَدُ أنْ يَنْقَاد له، ويَكُون مِن أَتْبَاعه، وهل مَنَع إبْلِيسَ مِن السُّجود لآدمَ إلَّا الحَسَدُ؟!

فإنَّهُ لما رآه قد فُضِّلَ عليه، ورُفع فوْقَه غصَّ بريقهِ، واختار الكُفرَ على الإيمان بعد أنْ كان بَيْنَ الملائكة.

وهَذَا الدَّاءُ هو الَّذي مَنع اليَهُودَ مِن الإيمان بعِيسَى ابنِ مَريم،

وقد عَلِمُوا عِلْمًا لا شَكَّ فيه أنَّه رسُولُ الله؛ جاء بالبَيِّنات والهُدَى؛ فحَمَلَهُم الحَسَد على أنْ اختَارُوا الكُفر على الإيمَان، وأَطْبَقُوا عليهِ، وهُم أُمَّةٌ فيهم الأحْبَارُ، والعُلَمَاءُ، والزُّهَّاد، والقُضاة، والمُلوك والأُمراء.

هَذَا وقد جاء المَسِيحُ بحُكمِ التَّوراة، لم يَأْتِ بشريعةٍ يُخالفها، ولم يُقَاتلهم، وإنَّما أَتَى بتحلِيل بعضِ ما حُرِّم عليهِمْ تخفِيفًا ورحمةً وإحسَانًا، وجاء مُكمِّلًا لشَريعة التَّوراة، ومع هَذَا فاختاروا كلهم الكُفرَ على الإيمَان!

فكيف يَكُون حالُهم مع نبِيٍّ جاء بشَريعةٍ مستَقِلَّةٍ ناسِخَةٍ لجمِيع الشَّرائع، مُبَكِّتا له بقَبائحهم، ومُناديًا على فضَائحهم، ومخرجًا لهم مِن دِيَارهِم، وقد قاتَلُوه وحارَبُوه، وهو في ذَلِكَ كلِّه يُنصَر عليهم، ويَظْفر بهم، ويَعْلُو هو وأصحَابه، وهم معه دائمًا في سِفَالٍ، فكيف لا يَملك الحَسَدُ والبَغْي قلوبَهُم!

وأيْنَ يَقعُ حالُهم مَعَه مِن حالهم مع المَسِيح، وقد أَطْبَقُوا على الكُفر به مِن بَعد ما تبيَّن لهم الهُدى، وهَذَا السَّببُ وحْدَهُ كافٍ في ردِّ الحقِّ، فكَيْف إذا انضاف إليْهِ زوَال الرِّيَاسَات والمَأْكَلِ»(١).

فعلَيْنا دائمًا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- أنْ نَسْأل العَزِيز العَلَّام أنْ

---

(١) «هداية الحيارى» (ص١٦).

يُرْشِدَنا إلى الحَقِّ، ويُثبتنا عليه، وأنْ لا نَنظُر لِمَنْ قال، وإنَّما لما قِيل، ونجْعَل ضَابطَ الحَقِّ هو الكِتَاب والسُّنة وفَهْم سَلَف الأُمَّة الَّذِين هم خير الأنَام، وعلى رَأْسِهم صحابة نبِيِّنا علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام.

يَقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الهُدَى يَدُور مع الرَّسُول حيْثُ دار، ويَدُور مع أصْحَابه- دون أصحَابِ غيرِه- حيث دارُوا، فإذَا أجمَعُوا لم يُجْمِعُوا على خَطَإٍ»(١).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقَنا جميعًا لما يُحِبُّه ويرضاه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعَلَنا مِن أهل الحَقِّ والاتِّبَاع، وأنْ يُجَنِّبَنا مَا يُبْغِضُه ويَأْبَاهُ، ومِن ذَلِكَ الانقِيَاد ورَاء الهوَى والابتِدَاع؛ فهو- سبْحَانهُ- على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابَةِ جَديرٌ.

وصَلِّ اللهم وسَلِّم على نَبِيِّنا محمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبه أجْمَعِين

(١) «منهاج السُّنَّة النَّبَويَّة» (٥/ ٢٦٢).

احرص على ما ينفعك!

احرِص على ما يَنفعُك!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ علَى أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما هو معروفٌ عند العُلمَاء، ومعلومٌ عند جميع العُقلَاء- أيُّها الأَحِبَّةُ الأَفَاضِلُ- أنَّ السَّعادة الحقِيقيَّة لَيْسَت في السَّعي وراء ملذَّات زائلة، ولا في الرَّكض خَلْف شهَواتٍ مُنقَضِيَة، وإنَّما هي في حِرْص العَبد على ما يَنفعُه في الدُّنيا الفَانية، ويَوم وقُوفه بين يدَي ربِّ البرِيَّة؛ يَقولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سَعادةُ الإنسَان في حِرصهِ علَى ما يَنفعُه في معَاشِهِ ومَعاده»(١).

فلا سَعادةَ حقِيقيَّة، ولا طُمأنينة أبدِيَّةَ للعَبد إذا لم يَحرص ويجتهد علَى العمل بالوصِيَّة الإيمَانية، الَّتي أوْصَاه بها خيرُ البَرِيَّة؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «احْرِصْ عَلَى مَا

---

(١) «شِفَاء العَلِيل» (١/ ١٩).

يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللهِ، ولا تَعْجزْ»(١).

يَقُولُ الإمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما «**احْرِصْ**» فبكسر الرَّاء، و«**ولا تَعْجِزْ**» بكَسْر الجيم، وحُكِيَ فَتحُهما جميعًا.

ومعناه: احْرِصْ علَى طاعة اللهِ تعالى، والرَّغبة فيما عِندَه، واطْلُب الإعَانةَ مِن الله تعالى على ذَلِكَ، ولَا تعْجِز ولا تَكْسل عن طَلَب الطَّاعة، ولا عَن طلَبِ الإعَانة»(٢).

ويَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأَمَرَهُ- أي: النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَبْدَ- بالحِرْص علَى الأسباب، والاستِعَانة بالمسَبِّب، ونهَاهُ عن العَجْز؛ وهو نوْعَان:

تقصِير في الأَسْباب، وعدَمَ الحِرص عليها.

وتَقصِير في الاستِعَانة بالله، وترك تجرِيدهَا.

فالدِّينُ كُلُّه- ظاهِرهُ وباطِنُه، شَرَائعه وحقَائقه- تحت هَذِهِ الكلِمَات النَّبويَّة، والله أعْلَمُ»(٣).

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**احْرِصْ على ما يَنْفعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله**» كلامٌ جامعٌ نافعٌ، مُحْتَوٍ على سَعادة الدُّنيا والآخِرَة.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ٢١٥).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٥٠١).

والأمور النَّافِعة قِسْمَان: أمور دينيَّة، وأمور دنيويَّة.

والعبدُ محتاج إلى الدُّنيوية، كما أنَّه محتاج إلى الدِّينية.

فَمَدَارُ سعادته وتوفيقه على الحرص والاجتهاد في الأمور النَّافِعة منهما، مع الاستعانة بالله تعالى.

فَمَتى حَرِص العَبْدُ على الأمورِ النَّافِعة، واجتهد فيها، وسَلَك أسبابَها وطُرُقَها، واستعَان بربِّهِ في حصولها وتكميلها كان ذَلِكَ كمالُه، وعنوان فلَاحه!

ومَتى فَاتَه وَاحِدٌ من هَذِهِ الأمور الثَّلاثة فَاتَه مِن الخير بِحَسَبِها!

فَمَن لم يكن حريصًا على الأمور النَّافِعة، بل كان كَسْلانَ، لم يُدْرِك شيئًا، فالكسَلُ: هو أصل الخيبة والفشَل.

فالكَسْلَانُ لا يُدرك خيرًا، ولا يَنال مَكْرُمة، ولا يَحْظى بدينٍ ولا دُنيا.

ومتى كان حريصًا، ولكن على غير الأمور النَّافِعة: إمَّا على أمور ضارَّة، أو مُفوِّتة للكمال كان ثَمَرَةُ حِرصه الخَيْبَةَ، وفَوَات الخير، وحصول الشَّر والضَّرَر؛ فكَم مِن حَريصٍ على سلوك طُرق وأحوَال غير نافعة لَم يَستفد مِن حرصه إلَّا التَّعَب والعَناء والشَّقاء»(١).

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٥١).

وإنَّ مما يَنبغي على كلِّ مَن أراد النَّجاحَ والفَلَاح في الدَّارَيْن أن يحرص عليه- أيُّها الأفاضل- هو:

١- أن يُحَقِّق الغاية الحميدة، والأمر العظيم التي خُلق مِن أجلها، ووُجِد بسببها، ألَا وهي: عبادته- سبحانه- وَحْدَهُ لا شريك له؛ قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا تصريحٌ بأنهم خُلقوا للعبادة، فحَقَّ عليهم الاعتِنَاءُ بما خُلِقوا له، والإعْرَاض عن حظُوظ الدُّنيا بالزَّهادة؛ فإنَّها دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ، فَلِهَذَا كان الأَيْقَاظُ مِن أهلِها هم العُبَّاد، وأَعْقَلُ النَّاس فِيها هُم الزُّهَّاد»(١).

٢- أن يُخْلِص عِبادته لِخَالِقِه جَلَّجَلَالُهُ؛ تحقيقًا لما أمَرهُ به سبحانه، حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن لم يُخلص لله في عِبَادته لم يَفعل ما أُمِر به، بل الَّذي أُتِي به شَيْءٌ غَير المَأمور به؛ فلَا يَصِحُّ، ولا يُقْبَلُ مِنه»(٢).

---

(١) «رياض الصالحين» (ص٣).
(٢) «الجواب الكافي» (ص ٩١).

لأنَّ أعمالَ الأَنَام لا يَقْبَلُها الرَّحمنُ- أَيُّها الكِرَامُ- إلَّا إذا كانت له خَالِصَةً، وأُرِيدَ بها وجهُ العَزِيز العَلَّام؛ فَعَن أَبِي أُمَامةَ البَاهِليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إلَّا مَا كانَ لهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(١).

يَقُولُ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إلَّا مَا كانَ لهُ خَالِصًا**»، أي: عن الرِّياء والسُّمعة، «**وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»، ومَن أراد بعملِه الدُّنيا وزِينتها دون الله والآخِرَة؛ فحَظُّه ما أراد، وليس له غيره، والرِّياء مِن أكبر الكبَائر وأخبَث السَّرائر، شَهِدَت بِمَقْتِهِ الآياتُ والآثارُ، وتَوَاتَرَتْ بذَمِّه القَصَصُ والأخبار، ومَن استحْيَا مِن النَّاس ولم يَسْتَحِ مِن الله؛ فقد استَهانَ به، وويلٌ لمن أرْضَى اللهَ بلسانِه، وأَسْخَطه بِجَنَانِه»(٢).

وكذَلِكَ مُوافقة ما جاء به سيِّدُ المُرسَلِين، وخَاتَمُ النَّبِيِّين عليْهِ أفضَلُ الصَّلاة والتَّسلِيم؛ يَقُولُ الإمامُ الذَّهبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا تَقْوَى إلَّا بعملٍ، ولَا عملَ إلَّا بتروٍّ مِن العِلم والاتِّباع، ولا يَنفع ذَلِكَ إلَّا بالإخلاص لله»(٣).

فَجِمَاعُ الدِّين- أَيُّها الأَفاضِلُ- يَرجع إلى هذين الأصلين

---

(١) رواه النسائي (٣١٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السِّلسلة الصحيحة» (٥٢).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٠/ ٢٦٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١).

العَظِيمَين؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابن تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجِمَاع الدِّين أَصْلَان:

- أن لا نَعبد إلَّا الله.

- ولا نَعْبُدُه إلَّا بما شَرَع؛ لا نَعبدُه بالبِدَع»(١).

فلا فوْزَ، ولا سَعَادةَ، ولا نجَاحَ، ولا فلَاحَ في الدُّنيا والآخِرَة إلَّا باتِّباع هدَيْ خير الأَنَام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يُحِبُّك اللهُ إلَّا إذا اتَّبعْتَ حبِيبَهُ ظاهرًا وباطنًا، وصدَّقته خبرًا، وأطعته أمرًا، وأجبته دعوةً، وآثرته طوعًا، وفَنيت عن حُكم غيره بحكمِه، وعن محبَّة غيره مِن الخلق بِمَحَبَّتِه، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذَلِكَ فلا تَتَعَنَّ، وارجع من حيث شِئْتَ، فالتمس نُورًا فلسْتَ على شيء»(٢).

٣- أن يَعْرِف قِيمةَ زمَانِه، وشَرَف وَقْتِه؛ فيَصْرِف ساعاته، ويَقضي لحظاتِه فيما يُرضي خالقَه جَلَّجَلَالُهُ، فيَحرص على فِعْل الوَاجبَات والإكثَار من الطَّاعات، ويجتنب جميع المحرَّمات والمُنكرَات، ومَا لا فائدةَ فيه من الأقوال والأفعال!

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغي للإنسانِ أن يَعرف شَرَفَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٨٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٧).

زِمانه، وقَدْر وَقْتِه؛ فلا يُضيِّع منه لحظةً في غير قُرْبة، ويُقَدِّم الأفضَلَ فالأفضل مِن القَوْل والعَمَل»(١).

٤- أن يَنْشَغل بتقويم عَيْبِه، وإصْلَاح سَريرته، ومَا عنده مِن خلَلٍ، ويَنصح بالحكمة والموعظة الحَسَنة غيرَهُ إنْ رأى منهم تقصيرًا أو إضاعةً لما أمرَهُم به الحكيمُ الخبير.

والأفضل: أن يَنصحهم في السِّرِّ؛ فإن ذَلِكَ أرْجَى لقَبُول الحَقِّ، والعملِ بمَضمُونه؛ يَقُولُ الإمامُ ابنُ رجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان السَّلفُ إذا أرادوا نصِيحةَ أحدٍ وَعَظُوه سِرًّا»(٢).

ولْيَحْذَر أشَدَّ الحذَر مِن أنْ يَبذل جُهْدَه، ويَصْرِف وَقْتَهُ في تتَبُّع عُيُوب وزلَّات الآخَرين؛ فيَنْسَى بذَلِكَ نفْسَهُ التي بين جَنْبيه؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلهُ عَيْبُه عن عُيُوب النَّاس، وويلٌ لمن نَسِيَ عيبَه، وتَفَرَّغ لعيوب النَّاس، فالأوَّلُ علامةُ السَّعادة، والثَّاني علامةُ الشَّقاوة»(٣).

فهَذِهِ- أيُّها الأحباب- مِن أَهَمِّ الأسباب الَّتِي ينبغي على كلِّ مَن أراد السَّعادة الحقيقيَّة، والطُّمأنينة الأبديَّة أنْ يحرص على تحقيقها، والعمل بها؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن أراد

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).
(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص٨٢).
(٣) «طريق الهجرتين» (ص٢٧١).

السَّعادة الأبديَّة؛ فَلْيَلْزَم عَتَبَةَ العُبُوديَّة»[(١)].

وليتَيقَّن العبدُ تَمَامَ اليَقين: أنَّ على قَدْر نِيَّته وصِدْقِه يَكُون تَوفيق الباري جَلَّجَلَالُهُ له، وسَيُعَان- بإذن العزيز المَنَّان- على تحقيق كل ما فيه سعادته في دنياه، وفلاحه ونجاحه يوم الوقوف بين يدي مولَاه.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى قَدْرِ نيَّة العبد، وهمَّتِه، ومُراده ورغبته في ذَلِكَ يَكُون تَوفيقه- سبحانه- وإعانته.

فالمَعُونةُ مِن الله تَنزل على العِباد على قَدْر هِمَمِهِمْ، وثَباتهم، ورغبتهم، ورهْبَتهم.

والخذلانُ يَنْزل عليهم على حَسَب ذَلِكَ.

فاللهُ سبحانه أحْكَمُ الحاكمين، وأَعْلَم العالمين، يضع التَّوفيق في مَوَاضعه اللَّائقة به، والخذلَان في مواضعه اللَّائقة به، هو العَلِيم الحكِيم»[(٢)].

ولْيَحْرِص إذا أرادَ النَّجاحَ والفلَاحَ أَشَدَّ الحِرص أن يُقابل- يوم لا ينفعُ مَالٌ ولا بَنون- العزيزَ العَلِيم بقلبٍ سَلِيم؛ **يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والقَلْبُ السَّليمُ معناه: الَّذِي سَلِمَ مِن الشِّركِ،

---

(١) «مدارج السَّالكين» لابن القيِّم (١/ ٤٣١).
(٢) «الفوائد» (ص٩٧).

والشَّكِّ، ومحبَّة الشَّرِّ، والإصرار على البِدعة والذُّنوب، ويلزم مِن سلامته مما ذكر اتِّصَافه بأضدَادِهَا من الإخلَاص، والعِلم، واليَقِين، ومحبَّة الخير، وتَزيينه في قلبه، وأنْ تَكُون إرادتُه ومحبَّته تابعة لمحبَّة الله، وهَوَاه تَابِعًا لما جاء عن الله»[١].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنَا وإيَّاكُمْ لكُلِّ مَا يُحبُّه ويَرْضَاه، وأن يُجَنِّبنا ما يَكْرَهُهُ ويَأبَاه، وأنْ يجعَلنَا جميعًا مِن أهل الحِرْص علَى ما يَنفع في الدَّارَيْن؛ فهُوَ سُبحانَهُ ولِيُّ ذَلِكَ وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصَلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

(١) «تفسير السعدي» (ص٣٧١).

التذكير بخطر
الخَوَارج القَعَدِيَّة

التذكير بخطر الخوارج القعدية

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فلا أريدُ أنْ أتطَرَّق في هَذَا المَقال- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- لمن خرجُوا بالسَّيف على الحكَّام؛ ففرقوا بذَلِكَ كلمة أهل الإسْلَام، ونشَرُوا القتْلَ والفَوْضَى بين الأنام؛ **يَقُولُ الإمامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «لم يختلف العلماءُ قديمًا وحديثًا أنَّ الخوارج قومٌ سُوء، عُصاةٌ لله عَزَّوَجَلَّ ولرسُولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنْ صَلَّوا وصَامُوا، واجتهدوا في العِبَادة، فليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم، وإنْ أظهروا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم؛ لأنَّهم قومٌ يتأوَّلُون القرآنَ على ما يَهْوَوْن، ويُمَوِّهُونَ على المُسْلِمِينَ.

وقد حذَّرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ منهم، وحذَّرَنا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذَّرَنَا منهم الخلفاءُ الرَّاشدون بعده، وحذَّرَنا منهم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ رحمة الله تعالى عليهم.

والخَوَارِجُ: هم الشُّرَاةُ الأنجاسُ الأَرْجاسُ، ومَن كان على مذهبهم

من سائر الخوارج؛ يتوارثُونَ هَذَا المَذْهَب قديمًا وحديثًا، ويخرجُون على الأئمَّة والأُمَراء، ويستحِلُّون قَتْلَ المُسْلِمِينَ»(١).

وإنَّما أريد أنْ أتكلَّم على مَن هم في الأصل منهم، وقد لا يَعرف الكثيرُ مِن المُسْلِمِينَ حقيقتهم، وذَلِكَ بسببِ مَكْرِهم، وكثرة تَلَوُّنِهم؛ ألا وهم: «القَعَدِيَّة»!

يَقولُ الحافظُ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والقَعَدُ**: الخَوارجُ، كانوا لا يَرَوْنَ بالحربَ، بل يُنكرون على أُمرَاء الجَوْر حَسب الطَّاقة، ويَدعون إلى رَأيهم، ويُزيِّنُونَ مع ذَلِكَ الخُروج، ويُحَسِّنُونَه»(٢).

الَّذِين هم أَصْلٌ ونَوَاة لكلِّ مَن خَرَج على وُلاة المُسْلِمِينَ بالسَّيف والسِّنان؛ يَقولُ الشَّيخ ابنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخروجُ بالسَّيف فَرْعٌ عن الخروج باللِّسَانِ والقَوْل؛ لأنَّ النَّاسَ لم يَخرجُوا على الإمَام- بمجرد أخذِ السيف- لا بُدَّ أن يَكُون تَوطِئةً وتَمْهيدًا؛ قَدْح في الأئمَّة، وسَتْر لمحاسنهم، ثمَّ تَمْتَلِئُ القُلُوب غَيْظًا وحِقْدًا؛ وحِينئِذٍ يَحصل البَلاءُ»(٣).

---

(١) «الشريعة» (١/ ٣٢٥).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٨/ ١١٤).

(٣) مِن تعليقه على رسالة الإمام الشَّوْكاني رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: «رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسَّلاطين» (ص ٦٦).

والَّذِين يُنكرون عَلانِيةً وجَهارًا باللِّسَان على ولاة أمور المُسْلِمِينَ- دون النَّظر إلى عواقب ذَلِكَ- مُخالفين بذَلِكَ ما أمرَنا به سيِّد المُرسَلِين وخاتَم النَّبِيِّين؛ فعن عِياض بن غَنْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِ له عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بيدِه فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ منه فَذَاكَ، وَإِلَّا كان قد أَدَّى الَّذِي عليْهِ لَه**»(١).

يَقُولُ الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنبغِي لمن ظهَر له غلط الإمَام في بعض المسَائل أنْ يُناصحه، ولا يُظهر الشَّناعة عليه على رؤوس الأشْهَاد؛ بل كمَا ورد في الحديث: أنَّه يأخُذ بيَدِه، ويخْلُو به، ويبذل له النَّصِيحَة، ولا يذل سُلطان الله»(٢).

وهدي مَن سبقَنا مِن الصَّالحِين الَّذِين عُرفوا بالتَّمسك بالمنهج القَويم، والسَّير على الصِّراط المُستقِيم، وحث المُسْلِمِينَ على التَّمسُّك بسُنة نبِيِّنا علَيْهِ أفضَل الصَّلاة وأزكَى التَّسلِيم؛ فَعَن أُسامة بن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنَّهم قالوا له:** «أَلَا تَدْخُلُ على هَذَا الرَّجُلِ- أي: عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَتُكَلِّمَهُ؟ **فقال:** أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟! واللهِ لقد كَلَّمْتُهُ فِيمَا بيني وَبَيْنَهُ، ما دُونَ أن أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل في «المسند» (٣/ ٤٠٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «ظلال الجنة في تخريج السُّنَّة» (١٠٩٦).
(٢) «السَّيل الجرَّار» (٤/ ٥٥٦).

أَكُونَ أنا أَوَّلَ مَن فَتَحَهُ»(١).

يَقُولُ المُهَلَّبُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُرِيد لَا أكون أوَّل مَن يَفتحُ باب الإنكَار على الأئمَّة علانيةً؛ فيَكُون بابًا مِن القِيَام على أئمَّة المُسْلِمِينَ، فتفتَرق الكلِمَة، وتتشَتَّت الجماعةُ، كما كان بعد ذَلِكَ مِن تفرُّق الكلمة بمواجهة عُثمَان بالنَّكير، ثم عَرَّفَهم أنَّه لا يُدَاهن أمِيرًا أبدًا، بل يَنصحُ له في السِّرِّ جهده...»(٢).

وهم كذَلِكَ- أَيُّها الأَفاضِلُ- مَنْ يَصرف الكثيرَ مِن عوام المُسْلِمِينَ عن علماء الأمَّة الرَّبانيِّين المُتمسكين بالوَحْيَيْن على فَهْم سلَفِنَا الصَّالِحِين، وذَلِكَ بِرَمْيِ العُلماء الأجِلَّاء بما لَيْسَ فيهم مِن عيُوب ونقَائص!

ومن ذَلِكَ: أنَّهم لا يَفْقَهون واقع الأمَّة وما يَدُور في الخفَاء، بل حتَّى بعض هؤلاء قد تجرَّؤوا واتَّهموا العُلماء الأتقِيَاء بأنهم عُمَلاء، وأنَّهم لا يُفتون ولا يتكلَّمون حتى يُؤْذَن لهم، ويُطلَب منهم!

وكذَبوا في ذَلِكَ؛ أخزَاهُم اللهُ جَلَّ وَعَلَا.

يَقُولُ الشَّيخُ الألبَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لئِنْ كان في الخُروج على الحكَّام

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩٤)، «صحيح مسلم» (٢٩٨٩)، واللفظ له.
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بَطَّال (١٠/ ٤٩).

مِن الشَّرِّ ما بَرهن عليه توَاطُؤ النُّصوص الشَّرعية مع الأخبَار الواقعِيَّة، كما ظهر مِن صَنيع حُدثَاء الأسْنَان في كلِّ الأزمان، فشَرٌّ منه الخُرُوج على العُلمَاء بإهدَارِ حقِّهم، وعدم اعتِمَاد فتَاويهم إلَّا ما وافق أهوَاء الحركِيِّين، واستِصْغَار شأنهم في السِّياسة، ورَمْيِهم بعُلماء بيت الوضُوء! وما أشبهها مِن الألقَاب التي يَنْبِز بها المبتدعةُ صاغرًا عن صاغِرِ العُلماءَ السَّلفيِّين كابرًا بعد كابر؛ وفي هَذَا إهدَارٌ للشَّريعة بتجريح حمَلتِهَا وشُهُودها، واللهُ المَوْعِدُ»[1].

فَلَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُون!

أنَّ الَّذِي يُبصر الفِتَن إذا جاءت، والمِحَن إذا هاجَتْ: هُم العُلماء الأتقِيَاء، الَّذِين هم ورَثةُ الأنبياء؛ لا الدَّهماء، ولا المتعَالمون الجهَلاءُ!

يَقُولُ الإمامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفتْنَةُ إذَا أقبلَتْ عرَفهَا كلُّ عالمٍ، وإذا أدبرتْ عرَفهَا كلُّ جاهِلٍ»[2].

فالقَعَديَّةُ- أيُّها الأحباب- هم- أيضًا- مَن يَسْتغِل حماسَة واندِفَاع بعض شباب الإسْلَام؛ فيُلقوا بهم إلى مواطِن الفِتَن، وأمَاكِن الحُروب والنزاع؛ بدعوى الجهاد! وهم مع ذَلِكَ لا يَذهبون،

(١) «مدارك النَّظر» للشيخ عبد المالك الرَّمضاني (ص٢٣٢).
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سَعْد (٧/ ١٦٦).

ولا يُعرف عنهم أنهم حَثُّوا أبنَاءهم ومَن هُم تحت ولَايتهِم على الذَّهَاب إلى الجهاد، كما زعموا!

ومنهم كذَلِكَ- أيُّها الإخوةُ والأَخَواتُ- مَن استغلَّ المنابر ووسائل الاتِّصَال بأنواعِهَا في تحريض النَّاس على الثَّورات، وتأيِيد خُروجهم في المظَاهرَات، وتشْجِيعهم على الاعتِصَامات، وهو جالِسٌ في بيتِه، ووسط أهله، ولا يَخرج معهم!

فإذا كان ما يدعو إليه- كما زعَم- مِن الجهاد في سَبيل الرَّحمن، وهو من الطُّرق المُوصِّلَة إلى الجِنَان فلمَاذا لا يخرِجُ معهم، ويُضَحِّي بنفسه وولَدِه ومالهِ في سبيل ذَلِكَ؟!

إنَّ هؤلاء القَعَدِيَّة الَّذِين يُزيِّنُونَ الخروج على حُكَّام المُسْلِمِينَ، ولا يُبَاشِرُونه- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- هم أشدُّ خطرًا، وأكثر ضررًا على الأُمَّة ممن يَخرج بالسَّيف؛ لأن شرَّهم ليس ظاهرًا لكثيرٍ مِن العَوام؛ يَقُولُ الإمامُ عبدُ الله بن محمد بن يَحْيَى الضَّعيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قَعَدُ الخوارجِ هُم أخبثُ الخوارج»[٢].

لذَا، يَنبغِي أنْ نَحْذَر منهم أشدَّ التَّحذير، ونُحَذِّر المُسْلِمِينَ مِن الاغتِرَار بهم مهْمَا كانت مَكانتهم وشُهرتهُم، وواجبٌ علَيْنَا جميعًا أنْ

(١) كان ضعيفًا في جِسمه، لا في حديثه. «تهذيب الكمال»، للمزي (١٦/ ٩٩).

(٢) «مسائل الإمام أحمد- رواية أبي داود» (ص٣٦٢).

نرجع دائمًا- خاصَّة في أوقات الفتن والمحن- إلى العُلمَاء الربَّانيِّين الرَّاسخين؛ عملًا بما أمرَنا ربُّ العالمين، حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣].

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا تأديبٌ مِن الله لعِبَاده عن فِعْلهم هَذَا غير اللَّائق، وأنه يَنبغي لهم إذا جاءهم أمرٌ مِن الأمور المُهمَّة، والمصَالح العامَّة ما يتعَلَّق بالأمن، وسُرور المُؤمِنينَ، أو بالخوف الَّذي فيه مُصيبةٌ؛ عليهم أنْ يتثَبَّتوا، ولا يستَعجِلُوا بإشاعة ذَلِكَ الخبَر، بل يردُّونهُ إلى الرَّسُول، وإلى أُولي الأمر منهم أهل الرَّأي، والعِلم، والنُّصح، والعَقْل والرَّزانة، الَّذين يَعرفون الأمُور، ويعرفون المصالح وضدَّها...»(١).

ولنمْتَثِل- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكرام- نصيحةَ هَذَا الإمام، فإنَّ في العمَل بها الفَوْز والنَّجاة بإذن العَزِيز العَلَّام؛ حيث يَقُولُ الإمامُ الأوزاعيُّ- عبد الرَّحمن بن عَمرو الشَّامي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ [ت: ١٥٧هـ]:

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٩٠).

«اتَّقُوا اللهَ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، واقْبلُوا نُصحَ النَّاصحِين، وعِظَة الوَاعظِين، واعلَمُوا أنَّ هَذَا العِلمَ دينٌ؛ فانظُروا ما تصْنَعُون، وعمَّن تأخذُون؟ وبمَن تقْتَدون؟ ومَن على دينكم تأمَنُون؟

فإنَّ أهلَ البدع كلهم مُبْطِلُون، أفَّاكُون آثِمُون، لا يَرْعَوُون، ولا ينظرون، ولا يتَّقون، ولا مع ذَلِكَ يُؤمَنُون على تحْرِيف ما تسْمَعُون، ويَقُولُون ما لا يَعلمُون في سَرْدِ ما يُنكرون، وتسديد ما يَفْتَرُون، واللهُ محيطٌ بما يعملون؛ فكونوا لهم حَذِرِينَ مُتَّهِمِين، رافضِينَ مجُانبين.

فإنَّ علمَاءكُم الأوَّلين ومَن صَلح مِن الآخِرين كذَلِكَ كانُوا يفْعَلُون ويَأمُرون.

واحذَرُوا أنْ تكُونوا على الله مُظاهِرين، ولدِينه هادمِين، ولِعُرَاهُ ناقضِينَ مُوهنين بتَوقِير المبتدعِينَ والمُحْدِثِين؛ فإنَّه قد جاء في توقيرهم ما تعْلمُون، وأيُّ توقير لهم أو تعظيم أشدُّ مِن أن تأخذوا عنهم الدِّين، وتكونوا بهم مُقتَدِين، ولهم مُصدِّقينَ مُوادعين، مُؤالِفِينَ مُعينِين، لهم بما يصنعون على استهواء مَن يَسْتَهُوون، وتأليف مَن يَتألَّفون مِن ضعفاء المُسْلِمِينَ لرأيهم الَّذِي يرون،

ودينهم الَّذِي يَدِينُون، وكفَى بذَلِكَ مشاركةً لهم فيما يَعملُون»[١].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يَحْقِن دِماء المُسْلِمِينَ في كل مكان.

وأنْ يجعَل بُلدَانهم دِيَار أمنٍ وأمَان.

وأن يُجنِّبهُم دُعاة السُّوءِ، وشَرَّ الأشرار، وكيْدَ الفُجَّار

فهو سبحانه وليُّ ذَلِكَ، والعَزيز الجَبَّار

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبه أجْمَعِين

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٦/ ٣٦١).

الدُّنيا... إلى أين؟!

الدُّنيا... إلى أين؟!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا محُمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ هَذِهِ الدُّنيا مَهما امتدَّ أجَلُها، وطَال أَمَدُها، فهي ومَن عليها إلى فَناء وزَوال بِحُكْم الكبير المُتَعال؛ يَقُول سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُخبر تعالى أنَّ جميع أهل الأرض سيَذهبُونَ ويمُوتون أجمَعُون، وكذَلِكَ أهلُ السَّموات- إلَّا مَن شاء الله- ولا يبقَى أحدٌ سوَى وجْهِه الكريم؛ فإنَّ الربَّ- تعالى وتقدَّس- لا يموتُ، بل هو الحيُّ الَّذي لا يَموت أبدًا»(١).

فالدُّنيا- أَيُّها الأَفاضِلُ- مَهْمَا غرَّت أبنَاءها، وفَتنت أصحَابها فهِيَ زينةٌ مُضْمَحِلَّة، ومتاعٌ زائلٌ؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٧٣).

ﭐلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمة فيها التَّزهيد في الدُّنيا بفَنائها وعدَم بقَائها، وأنَّها متاعُ الغُرور، تَفْتِن بزُخرفهَا، وتخدَع بغرُورهَا، وتَغرُّ بمَحاسِنهَا، ثم هي مُنتقلة، ومُنتقل عنها إلى دار القَرار، التي تُوَفَّى فيها النُّفوسُ ما عملت في هَذِهِ الدَّار مِن خيرٍ وشَرٍّ»(١).

وأهلها مَهْمَا طالَ بهم الوقت، وامتَدَّ بهم العمُرُ عنهَا راحِلُون، وعن شهَواتها ولذَّاتها مُنقطِعُون، ولأهلهم وأصَحابهم مُفارقون؛ يَقُولُ الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِنَّهَا- أي: الدُّنيا- دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَل إخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِل حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفصَامٍ لَا مَوْطِن دَوَامٍ»(٢).

ولما كانَت بتِلك الحَال والمآل- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- فقد أعطاها العَزِيزُ العَلَّام لمن أحبَّ، ومَن لم يحِب مِن الأنام؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ يُعطي الدُّنيا مَن يُحبُّ ومَن لَا يحبُّ، ولَا يُعطِي الإيمَان إلَّا مَن أحَبَّ**»(٣).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٦٠).

(٢) «رياض الصالحين» (ص٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٧١٤).

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليْسَ كل مَن أُعْطِي مال أو دنيا أو رئاسَة كان ذَلِكَ نافعًا له عند الله، مُنجيًا له مِن عذابه، فإنَّ الله يُعطي الدُّنيا مَن يُحِبُّ ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعطِي الإيمَانَ إلَّا مَن يُحِبُّ»(١).

إنَّ الكَيِّس الفَطِن مِن العِبَاد هو الَّذِي لم يغْتَر بزخرف وزينة هَذِهِ الدُّنيا الدَّنِيَّة، ولم يُضِعْ عمُرَه بالرَّكض وراء شهَوات ردِيَّة، وعمل بما أوصَى به خير البرِيَّة؛ فعن عبدِ الله بن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال له: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبِيل**»(٢).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا الحديثُ أصلٌ في قِصَر الأمَل في الدُّنيا؛ فإنَّ المُؤمن لا يَنبغي أنْ يتَّخذ الدُّنيا وطنًا ومَسكنًا؛ فيَطمئِن فيها، ولكن يَنبغي أنْ يَكُونَ فيها كأنَّه على جَناح سفر يُهيِّئ جهازَه للرَّحيل»(٣).

واستحْضَر في نفسِه- أيُّها الأَحِبَّةُ الأَخْيارُ- أنَّها مَلعُونةٌ، ومِن العزيز الجبَّار مَبعودةٌ؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقولُ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنيا مَلعُونَةٌ، مَلعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا**

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٤٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٣).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٣٧٩).

ذِكْرُ الله ومَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ، أو مُتَعَلِّمٌ»[١].

يَقُولُ المُلَّا عليّ قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إِنَّ الدُّنيا مَلعُونَةٌ**»، أي: مبْعُودَة من الله؛ لكونها مُبْعَدة عن الله.

«**مَلعُونٌ مَا فِيهَا**»، أي: مما يَشْغل عن الله.

«**إلَّا ذِكْرُ الله**» بالرفع، وفي نُسْخَة: بالنصب، وهو استِثْنَاء مُنقَطِع.

«**وَمَا وَالَاهُ**»، أي: أحبَّهُ الله مِن أعمَال البِرِّ وأفعَال القُرب.

أو معناه: مَا وَالَى ذِكْرَ الله، أيْ: قَارَبَهُ مِن ذِكر خَيْرٍ، أو تَابعَه مِن اتِّبَاع أمْرِه ونَهْيه؛ لأنَّ ذِكْرَهُ يُوجب ذَلِكَ»[٢].

ويَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَعَالِم أو مُتعَلِّم**»، أي: هي وما فيها مُبْعِدٌ عن اللهِ إلَّا العِلم النَّافع الدَّال على الله، فهو المقْصُود منها.

فاللَّعنُ وَقَعَ على ما غَرَّ مِن الدُّنيا، لا على نَعِيمهَا ولَذَّتِهَا؛ فإنَّ ذَلِكَ تنَاولَهُ الرّسُل والأنبيَاء»[٣].

ويَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكُلُّ عملٍ يعمَلُه العبدُ- ولا يَكُونُ طاعةً لله وعبادةً وعملًا صالحًا- فهو باطلٌ، فإنَّ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وحَسَّنه الشيخُ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٧٢).

(٣) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ١٤).

الدُّنيا مَلعُونة، مَلْعُونٌ ما فيها إلَّا ما كان لله، وإنْ نال بذَلِكَ العمَل رئاسةً ومَالًا؛ فغايةُ المُتَرَئِّس أنْ يَكُون كفِرْعَوْنَ، وغاية المُتَمَوِّل أنْ يَكُون كقَارون»(١).

ويَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كانت الدُّنيا حقِيرَةً عند الله لَا تُسَاوي لدَيْهِ جَناح بَعوضة؛ كانت وما فيها في غاية البُعد منه، وهَذَا هو حقِيقَة اللَّعنة»(٢).

وأنَّ هَذِهِ الدُّنيا إنَّما أوْجدَها العزِيزُ العَظِيم؛ لتَكُون للعِبَاد دار عملٍ ليَومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بَنُونَ، إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سَليم.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو سبحانه إنَّما خلَقَها مَزْرعةً للآخِرَة، ومَعْبَرًا إليها، يَتزَوَّد منها عبادَه إليه»(٣).

فاسْعَ فيها، وأكثِر فيها مِن فِعْل الطَّاعات، والتَّزَوُّد مِن الخيرات؛ لأنَّ هَذَا الَّذِي يَنفعُك يوم الوقُوف بين يدي ربِّ البَريات، بإذن ربِّ الأرْض وَالسَّموات؛ يَقُولُ الشَّيخ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الحياة الَّتِي يَنبغِي السَّعيُ في كمَالها، وتَحْصِيلهَا وكمَالها، وفي تَتْمِيم لذَّاتها، هي الحيَاة في دار القَرار، فإنَّها دار الخُلد والبَقَاء»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٧٦).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٩).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٦٩).

(٤) «تفسير السعدي» (ص٩٢٤).

وإنَّ المَحْرُومَ مِن العِبَاد هو الَّذِي غَرَّته الدُّنيا بشهوَاتها، وشَغَلَتْهُ بملذَّاتها عن يوم الميعاد؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأعظَم الخلقِ غرُورًا: مَن اغتَرّ بالدُّنيا، وعاجلَها؛ فآثرَهَا على الآخِرَة، ورضِيَ بها مِن الآخِرَة»[١].

فالأنام في هَذِهِ الدُّنيا الزائلة -أيُّها الأَفاضِلُ الكِرَام- على قسمين:

١- فمنهم مَنْ جَعَلَها مَزْرعةً للآخرة الباقية، فلَمْ يُفتن بزِينَتها، ولم تصْرفْهُ عن همِّه الحقيقي، ومُبتَغاه الأصلي، ألَا وهو رضَا الرَّحمن، والفوز بما عند العَزيز المنَّان في الدَّار الباقِيَة، فهَذَا مِن أهل الفَوْز والفلَاح، يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

يَقُولُ الإمَامُ الطَّبَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾يَقُولُ: هَذَا الَّذِي هو لهؤلاء المُؤمِنينَ في الآخِرَة، هو الظَّفر الكبير بما طلبُوا والتمَسُوا بإيمَانهم بالله في الدُّنيا، وعمَلهم بما أمرَهُم اللهُ به فِيهَا، ورَضِيَه منهم»[٢].

٢- ومِنهم مَنْ غرَّته بزُخرفِهَا، وألْهَتْهُ بملذَّاتها، وفتنَتْهُ بشهَواتها؛ فكانت هي هَمه؛ فصَرَف فيها وقتَه، وبذل في تحصيلها جُهدَه،

---

(١) «الجواب الكافي» (ص٢٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ١٣٧).

وانشَغل بها عن عبادة خالقِه جَلَّجَلَالُهُ.

فهَذَا قد بَاء بالحِرْمَان، وكان مِن أهل الخُسْرَان؛ فعن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كانَت الآخِرَةُ هَمَّهُ؛ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ في قَلبِهِ، وَجَمَعَ له شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عليْهِ شَمْلَهُ، ولَمْ يَأْتِهِ مِن الدُّنيا إلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»(١).

يَقُولُ المُبَارَكْفُورِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «**مَنْ كَانَت الآخِرَةُ**» بالرَّفع على أنه اسم «**كانت**».

«**هَمَّهُ**» بالنَّصب على أنه خبَرَ «**كانت**»، أي: قصده ونيَّته.

«**جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ في قَلبِهِ**»، أي: جعله قانعًا بالكَفَاف والكفاية كي لا يَتْعَب في طلَب الزِّيادة.

«**وَجَمَعَ له شَمْلَهُ**»، أي: أموره المُتَفَرِّقَة بأن جعَلهُ مجموعَ الخاطِر بتهيئة أسبابه مِن حيث لا يَشعُر به.

«**وَأَتَتْهُ الدُّنيا**»، أي: ما قُدِّر وقُسِم له منها.

«**وَهِيَ رَاغِمَةٌ**»، أي: ذليلة حقِيرَة تابعة له، لا يحتاج في طَلَبِها إلى سعيٍ كثير، بل تأتِيه هيِّنةً ليِّنة، على رغْم أنفِهَا وأنْفِ أربَابها.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٦)، وصَحَّحه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

«**وَمَنْ كانت الدُّنيا هَمَّهُ، جَعَلَ الله فَقْرَهُ بين عَيْنَيْهِ**»، أي: جنس الاحتياج إلى الخَلق؛ كالأمر المَحسوس مَنصوبًا بين عينَيْهِ.

«**وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ**»، أي: أموره المُجْتَمِعة.

قالَ الطِّيبيُّ: يقال: «**جَمَعَ اللهُ شَمَلَه**»، أي: ما تشَتَّتَ مِن أمره.

«**وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ**»، أي: ما اجتمع من أَمْرِه، فهو مِن الأَضْدَاد.

«**ولَم يَأْتِهِ مِن الدُّنيا إلَّا مَا قُدِّرَ له**»، أي: وهو رَاغِمٌ، فلا يأتيه ما يطلب مِن الزِّيادة على رغم أَنْفِه وأَنْفِ أصْحَابِه»[(١)].

فَمَن أرادَ السَّعادة والنَّجاة والفَوز في الدَّارَيْن، فَلْيَكُن هَمَّه رضَا ربِّ العَالمين؛ يَقُولُ الإمامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذَا أصْبَح العَبدُ وأمْسَى وليس همه إلَّا الله وحْدَه؛ تحمَّل اللهُ- سبحانه- حَوائجه كلها، وحَمَل عنه كُلَّ ما أَهَمَّه، وفَرَّغ قلبَه لمحبَّتِه، ولسَانه لذِكْره، وجوَارِحِه لطَاعته، وإنْ أصبَح وأمسَى والدُّنيا همُّه حَمَّله اللهُ همُومَها وغُمُومها وأَنْكَادهَا، ووَكَلَه إلى نفْسِه، فَشُغِل قلبُه عن محبَّته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذِكره بذِكرهم، وجوارحه عن طاعته بخِدْمَتهم وأَشْغَالهم، فهو يَكْدَحُ كَدْحَ الوحْشِ في خدمة غيره؛ كالكِير يَنفخ بَطنه، ويَعصر أضْلَاعه في نفع غيره؛ فَكُلُّ مَن أعرض عن عبودية الله

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٣٩).

وطاعَتِه ومحبَّته بُلِيَ بعبودية المَخلوق ومحبَّته وخِدمته»[١].

فعلينا إنْ أردْنَا الرِّبحَ والنَّجاة أنْ نصرف أوقاتنا وأعمَارنا في كلِّ عمَل يُقرِّبنا مِن خالقِنَا ومولَانا جَلَّوَعَلَا.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظمُ الرِّبح في الدُّنيا: أنْ تَشْغَل نفْسَك كل وقتٍ بما هو أوْلَى بها، وأنفع لها في مَعادها»[٢].

ولنَحْذَر أشدَّ الحذَر مِن أنْ نُقدِّم الفاني على الباقي؛ لأنه عمَلُ غير العُقلَاء؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كيف يَكُون عاقلًا مَن باع الجَنَّةَ بما فيها بشَهْوةِ سَاعة؟!»[٣].

ولنُبادِرَ بالتَّوبة وبالإكثَار مِن الأعمَال الصَّالحة قبل أن نَنْدمَ، ونتحسَّر على ما مضَى وفات، ونقول يوم وقُوفنا بين يدَيْ ربِّ البريَّات، كمَا يَقُولُ مَن فرَّط في حياته، وضَيَّع أوقاتَه: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

يَقُولُ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُولُ- تعالى ذِكْرُه- مُخبِرًا عن تلَهُّف ابن آدَم يوم القِيَامة، وتنَدُّمه على تَفْرِيطه في الصَّالحات مِن الأعمَال في الدُّنيا التي تُورثه بقَاء الأبَد في نَعِيمٍ لَا انقِطَاع له: يَا

---

(١) «الفوائد» (ص٨٤).

(٢) «الفوائد» (ص٣١).

(٣) «الفوائد» (ص٣١).

لَيْتَني قَدَّمْتُ لِحَيَاتي في الدُّنيا مِن صَالح الأعمَال لحيَاتي هَذِهِ الَّتي لا مَوْتَ بعْدَهَا»(١).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِهِ الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن لَا يَجعل الدُّنيا أكبَر همِّنَا، ولا مَبْلَغ عِلْمِنَا، ولَا إلى النَّار مَصِيرَنا.

وأنْ يُوفِّقنَا جميعًا لكُلِّ مَا يُحبُّه ويَرْضَاه، ومِن ذَلِكَ عدَمُ الاغتِرَارِ بالدُّنيا وَزِينَتها.

وأنْ يُجنِّبنَا وإيَّاكُمْ كُلَّ ما يُبْغُضه ويَأْبَاه، ومِن ذَلِكَ: الانشِغَال بشَهوات زائِلَة، والرَّكض خلفَ مَلذَّات فانِيَة؛ فهو- سُبحانه- قدِيرٌ، وبالإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ١٨٩).

الوفاءُ بالوَعْدِ
من صفات أهل الإيمَان

الوفاء بالوعد من صفات أهل الإيمان

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ من الأخْلَاق الجمِيلَة، والصِّفات الحمِيدَة الَّتي يتحَلَّى بهَا أهل الإيمَان- أَيُّها الأَحِبَّةُ- والإخوَان- هي وفاءهم بالوعُود، وحِفْظَهم للعُهود، يَقُولُ عنهم العَزيز الوَدُود: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

يَقُولُ الشَّيخُ الشِّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكَر جَلَّ وَعَلَا في هَذِهِ الآية الكَرِيمة: أنَّ مِن صفات المُؤمِنينَ المُفْلحِينَ الوَارثِينَ الفِرْدَوْسَ: أنَّهم رَاعُون لأمَاناتِهم وعهْدِهِم، أي: مُحافِظُون على الأمَانَاتِ والعُهود.

والأمَانة تشْمَل: كل ما اسْتوْدَعك اللهُ، وأمَرَك بحِفْظِه، فيَدخُل فيها حِفْظُ جوَارحِكَ مِن كلِّ ما لَا يُرضِي الله، وحِفظ ما ائْتُمنت عليه مِن حقوق النَّاس.

والعهود- أيضًا- تشْمَلُ: كل مَا أخذ علَيْك العَهْد بحِفْظه، مِن

حُقوق الله، وحقُوقِ النَّاس»[(١)].

وحرص هؤلاء الأخْيَارِ علَى الاتِّصَاف بهَذَا الخلُق النَّبيل والوَصْف الجميل لعدَّة أسبَاب؛ مِن أهمِّها أيُّها الأحبابُ:

* فيه الامْتِثَال لما أمرَهُم به الكبِير المتعَال، حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤].

يَقُولُ الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «والوَفاءُ بالعَهْد: هو القِيَامُ بحِفْظهِ علَى الوجه الشَّرعي والقَانون المَرضِي، إلَّا إذَا دلَّ دليلٌ خاصٌّ على جَواز النَّقض.

﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾، أي: مَسئولًا عنه، فالمَسْؤُول هنا: هو صَاحبه.

وقيل: إنَّ العهدَ يَسأل تَبْكِيتًا لنَاقضِه»[(٢)].

* الاقتِدَاء بسيِّد المُرسَلين وخيْر ولد آدم أَجْمَعِين، حيْثُ كان يُضرَب به -في الإيفَاء بالوعُود، وحِفْظ المواثيق والعهود- المَثَلُ بيْنَ الأنَام.

ولقد أمَر العَزيزُ العَلَّام أهلَ الإسْلَام بالتَّأسي به عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حيث قال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن

---

(١) «أضواء البيان» (٥/ ٣٢١).

(٢) «فتح القدير» (٣/ ٢٢٦).

كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

يَقولُ الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الآية الكَرِيمة أصلٌ كَبير في التَّأسِّي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله، وأفعاله، وأحوَاله»(١).

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذِهِ الأُسْوَة الحسَنة إنَّما يسْلُكها ويُوفَّق لها مَن كان يَرجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِر، فإنَّ ما معَهُ مِن الإيمَان، وخَوْف الله، ورجَاء ثَوابه، وخَوف عقابه يَحُثُّه على التَّأسي بالرَّسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٢).

ومِن أنبِيَاءِ ربِّ العَالمين، ورُسُلِ أرْحَمِ الرَّاحِمين الَّذِين مَدَحَهُم الحكِيمُ العَليمُ على تحَلِّيهم بهَذَا الخلُق العَظِيم والوَصْف الكَريم: نبيُّ الله جَلَّ وَعَلَا إسمَاعيل- عليه وعلى نبيِّنا أفضَل الصَّلاة وأزْكَى التَّسليم- حيث قال عنه العزيزُ الحَليمُ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: واذكُر في القُرآن الكَرِيم هَذَا النَّبيَّ العَظِيمَ، الَّذِي خرج منه الشَّعْبُ العَربيُّ؛ أفضَلُ الشُّعوب وأَجَلُّها، الَّذِي منهم سيِّدُ ولَدِ آدَم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ أي: لا يَعِدُ وَعْدًا إلَّا وفَّى به، وهَذَا شاملٌ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧٥).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٢٠).

للوعد الَّذِي يَعقده مع الله، أو مع العِبَاد.

ولهَذَا لمَّا وَعَد مِن نفسِه الصَّبر على ذَبح أبيه له، وقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الصافات: ١٠٢] وفَّى بذَلِكَ، ومكَّن أباه مِن الذَّبح، الَّذِي هو أكبَر مُصِيبة تُصِيبُ الإنسَان.

ثُم وصفَهُ بالرِّسالة والنُّبوة، التي هي أكبر مِنَن الله على عبْدِه، وأهلها مِن الطَّبقة العُليا مِن الخلق»[(١)].

* أنهم يَعلمون أنَّ مَن لم يتَّصف مِن المُسْلِمِينَ بهَذِهِ الخصْلَة الرَّفيعة والصِّفة الكَرِيمة الَّتي يُحِبُّها العَزِيزُ الرَّحمنُ فهو ناقِصُ الإيمَان؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَا خَطَبَنَا نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا قال: «**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ له، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ له**»[(٢)].

يَقولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى «لَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ له»: أنَّ مَن جَرى بينَه وبَيْن أحدٍ عَهْدٌ، ثُم غَدَرَ لغير عُذرٍ شَرْعِيٍّ فدينُه ناقِص، أمَّا لعُذر كنقض الإمَام المُعاهَدة مع الحربي لمصلحَةٍ فجائز»[(٣)].

بل قد اتَّصف بخصلةٍ مَعيبة هي مِن علامات المنافقين؛ فعن أبي

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٣٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٣١٣٥).

(٣) «فيض القدير» (٦/ ٣٨١).

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١).

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «خُلف الوعد: الرُّجوع عنه، وهَذَا محمُولٌ على مَن وَعَدَ وهو على عَزْمِ الخُلف، أو ترَكَ الوفَاءَ مِن غير عُذر، فأمَّا مَن عزَم علَى الوفاء فعرَضَ له عذرٌ منعَهُ مِن الوفاء فلَيْسَ بمُنافقٍ، إلَّا أنه يَنبغي أنْ يحتَرز مِن صورة النِّفاق، كمَا يحتَرز مِن حقِيقَته»(٢).

ويَقُولُ الإمامُ ابنُ رجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**، وهو على نوعين:

أحدُهمَا: أنْ يَعِدَ ومِن نِيَّته أن لَا يفِي بوَعْدِه، وهَذَا أشَرُّ الخُلف، ولو قال: «أفْعَل كذا إن شاء الله تعالى»، ومِن نيَّتِه أن لا يفعل- كان كذبًا وخلفًا. قاله الأوزاعيُّ.

الثَّاني: أن يَعِد ومِن نيَّته أن يَفِي، ثم يَبْدُو له، فيُخلف مِن غير عذر له في الخلف»(٣).

يَقُولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديثُ ليْسَ فيه- بحمد الله تعالى- إشكَالٌ.

---

(١) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

(٢) «كشف المشكل» (٣/ ٤٠٩).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٣١).

ولكن اختلَفَ العُلماء في مَعْناه: فالَّذِي قاله المحقِّقون والأكثَرون- وهو الصَّحيح المختار- أنَّ معناه: أنَّ هَذِهِ الخِصَال خصَال نِفَاق، وصاحبها شَبيه بالمنافقِينَ في هَذِهِ الخصَال، ومُتخلِّقٌ بأخلَاقهم.

فإنَّ النِّفاقَ هو إظهَارُ ما يُبطِن خِلَافَه، وهَذَا المعنى موجُودٌ في صاحب هَذِهِ الخصَال، ويَكُون نفَاقهُ في حقِّ مَن حدَّثهُ ووعدَهُ وائْتمَنهُ وخاصمَهُ وعاهدَهُ مِن النَّاس، لا أنه منافق في الإسْلَام؛ فيُظْهِرَهُ وهو يُبطن الكُفر»(١).

ومما ينْبغِي أنْ نعلَمهُ- أيُّها الإخْوَةُ والأَخَوَاتُ- أنَّ الوَعْدَ المنهِي عن إخْلَافه، وجاء ذَمُّه في حديث رسُولِ ربِّ البريَّات: هو الَّذِي يَكُون في الخَيرات.

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمراد بالوَعْد في الحدِيث: الوَعْد بالخير، وأمَّا الشَّرُّ فيُستحب إخْلَافُه، وقد يجبُ؛ ما لم يترَتَّب على ترْكِ إنفَاذِه مفسَدة»(٢).

إنَّ عُلماء المُسْلِمِينَ أجمَعُوا أنه يَنْبغِي الإيفَاء بالوعد، وحِفْظ العَهد إذا لم يَكُن في ذَلِكَ مخالفَة للعَزيز الصَّمد.

يَقُولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمَعُوا على أنَّ مَن وَعَدَ إنسانًا

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ٤٧).
(٢) «فتح الباري» (١/ ٩٠).

شيئًا ليْسَ بمنهيٍّ عنه، فينبغي أنْ يفِيَ بوَعْدِه، وهل ذَلِكَ واجبٌ أم مستحبٌّ؟ فيه خِلَافٌ بينهم...»(١).

* ويعلمُونَ كذَلِكَ أنَّ مَن أخْلفَ وعْدهُ، ولم يحفظ عهْدَهُ بدون سبَبٍ فقَدْ وقعَ في خُلُقٍ ذمِيمٍ الَّذِي هو جِمَاع كُلِّ شَر، ألَا وهو الكذب.

يَقُولُ الماوَرْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكذبُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ، وأصلُ كُلِّ ذَمٍّ؛ لِسُوء عواقبه، وخُبْثِ نَتَائِجِهِ؛ لَأنَّه يُنْتِجُ النَّمِيمَة، والنَّمِيمَة تُنْتِجُ البَغْضَاء، والبَغْضَاء تؤول إلى العَداوة، وليس مع العدَاوة أَمْنٌ ولا راحَةٌ»(٢).

* وهم على عِلْمٍ كذَلِكَ- أَيُّها الأَفاضِلُ- أنَّ الفِطَر السَّليمة والعُقول القَويمة، والعادات المُسْتقِيمَة تَذُمُّ إخلَافَ الوَعْدِ وعدَمَ الإيفَاء به.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإخلَاف الوَعْدِ مما فطَر اللهُ العِبَاد على ذَمِّه واستِقْبَاحه»(٣).

فعلينا- أيُّها الأحبابُ- أن نَقتدي بأهل الإيمَان، ونحرص على

---

(١) «الأذكار» (ص٢٥٠).
(٢) «أدب الدُّنيا والدِّين» (ص٣٢١).
(٣) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٤٧).

التَّحلي بهَذَا الخُلق القويم، والوصف الكريم، وذَلِكَ ببذل الأسْبَاب التي تُعِيننا على ذَلِكَ بإذن العزيز الوهَّاب.

ولنجتهد في تربية أبنَائنا علَى الاتِّصَاف به؛ لما في ذَلِكَ مِن خيرٍ كثير، ونفعٍ كبيرٍ يَعود على الجميع بإذن العزيز القدير.

يَقولُ الطَّاهِرُ بن عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نِعمةُ الولَدِ تكون أكمَل إذا كان صالحًا، فإنَّ صلاحَ الأبْنَاء قُرَّةُ عَيْنٍ للآبَاء، ومِن صلَاحهم: برُّهم بِوَالِديهِم»[١].

ولنحْذرَ أشدَّ الحَذَر مِن التَّفريط في تعليمهم ما ينفعهم، ومِن ذَلِكَ: حثُّهم على الوفَاء بالوعُود، وحِفظُهم العُهود؛ لأنَّ مآل هَذَا التَّقصير خطير، وضَرَره كبير.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَنْ أَهْمَل تعْلِيمَ وَلَدِه ما ينفعه وتَرَكَهُ سُدًى، فقد أساءَ إليه غايةَ الإساءة.

وأَكْثَرُ الأوْلَاد إنَّما جاء فسَادُهم مِن قِبَل الآباءِ وإهمالهم لهم، وتَرك تعليمهم فرائض الدِّين وسُنَنِه؛ فأضاعُوهم صِغارًا؛ فلم يَنْتَفِعُوا بأنفُسهم، ولم ينفَعُوا آباءهُم كِبَارًا»[٢].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُلْيَا أن يجعلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يَستمِعُونَ القَوْلَ فيَتَّبِعُونَ أحسَنه، ونسأله سبحانه وهو

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٣/ ١٤٨).

(٢) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٢٢٩).

العَزيزُ الودُود أنْ يُوفِّقنَا جميعًا لكُلِّ ما يحبه ويرْضَاه؛ ومِن ذَلِكَ الحرصُ علَى حِفْظ العُهود والوفَاء بالوعُود، وأنْ يُجنِّبنا كلَّ أسبَاب الحِرمَان، والخُسْرَان، والخذْلَان؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ والرَّحِيم الرَّحمَن.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

بعض وسائل الإعلام، وشهر رمضان!

بعض وسائل الإعلام، وشهر رمضان!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يَسعى إليه ويَجتهد فيه إبلِيسُ اللَّعينُ أنْ يَمْنَع أهلَ الإسْلَام من اسْتِغْلَال أوقاتهم، وصَرْفِ أعمَارهِم فيما ينفَعُهم في الدَّارَيْن، كما أمَرَهُم بذَلِكَ أرْحَمُ الرَّاحِمين، وحَثَّهم عليه خيرُ المُرسَلِين.

ومِن ذَلِكَ: أنْ يَشغلهم عن اغتِنَام الشُّهور الفاضِلَة!

ومما يقوم به في المَوَاسِم الفَاضِلة -أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنْ يأتي إلى طائفةٍ مِن المُسْلِمِينَ، فيُحسِّن لهم الغُلُوَّ والبِدَعَ والتَّشدُّدَ في الدِّين في الأَيَّام المباركة التي حثَّنا شرعُنا الكرِيمُ على الاعتِنَاء بها.

ويذهب- أيضًا- لجماعةٍ أخرى؛ فيُزيِّن لهم فيها المعَاصي والمُنكرَات، والتَّقصِير في العمَل بما أمرَهُم أرْحَمُ الرَّاحِمين.

فعَدُوُّ ربِّ العالمين لا يُبالي بما يَظفر مِن الصِّنفيْن؛ لأنَّ همَّهُ

الوحيد هو إفسَادُ الدِّين، وانحِرَاف عِبَاد العزيز الحكيم عن الطَّريق المستقِيم، والحقِّ القَويمِ.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال بعضُ السَّلف**: ما أمَرَ اللهُ تعالى بأمْرٍ إلَّا وللشَّيطان فيه نزْغتَان: إمَّا إلى تفريطٍ وتَقْصِير، وإمَّا إلى مجاوزةٍ وغلُو، ولا يُبالِي بأيِّهما ظَفرَ»(١).

ومما يَسْعَى له جاهدًا مع أوليائه مِن المُنَافقين والمُفْسِدين عند قدوم شهر الخيرات وموسم البَركات: إفسَاد صَوْم المُسْلِمِينَ بكُلِّ وسيلةٍ ممكِنَة، وبأيِّ طريقةٍ مُتاحة.

ومن ذَلِكَ: اسْتِغْلَال الكثير من وسائل الإعلام بأنواعها المَرئيَّة والمسْمُوعَة والمكتُوبَة؛ لتَحقِيق هَذَا المخطَّط الخبيث، والهدَف القَبيح.

بل نرَى جُنودَهُ مِن الإنس يحشدُونَ لهَذَا الأمر المشين كُلَّ جهد، ويبذُلونَ له كل مالٍ ووقت، ويُسَوِّقونَ ما يَعرضونه في شهر رمضان الكريم مِن أفلامٍ ساقطة، وأغانٍ هابطَة، وبرَامج تدعُو إلى كل رذيلَة، وتُحارب كُلَّ فضيلة، وغير ذَلِكَ مِن المُنكرَات والمُغْرِيَات عبر الإعْلَانات!

وغايتُهم في ذَلِكَ: إشغَالُ المُسْلِمِينَ عن الاستِعْدَاد لهَذَا الشَّهر

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

الكَريم بما يَنفعُهم، ويزيدُ مِن ثوَابهِم.

ويا أَسَفاهُ على بعض مَن يُلبِّس عليه الشَّيطَان ممن يُعَدُّون عند النَّاس مِن أهل الدَّعوة، وحُب الخير، فيَظهرون في شهر رمَضَان على بعض هَذِهِ القنَوَات المعروفة بِنَشْر المُحرَّمات، وكثْرَة المخالفَات!

بل إنَّ القائمين عليها يتعَمَّدون وضْعَ إعلَانات تحتَوِي على المُنكرَات قبل أو بَعْد أو أثْنَاء برنامج هَذَا الدَّاعية!

إنَّ علَى هؤلَاء أنْ يَعْلموا أنَّ ظهُورَهم على هَذِهِ القنَوات الفاسدة يُعين على إشهارها وتزيينها في نفوس النَّاس حتَّى وإنْ كانوا لا يتَعمَّدون ذَلِكَ!

ومما قد يَسْتَغرِب منه العَاقلُ أنَّ بعض أهل النُّصح والإرْشَاد إذا أنكَرُوا على هؤلاء الدُّعاة ظهورهم في مثل تِلكَ القنَوات كانت ذريعتهم- أي: الدُّعاة- لعلَّنا نُسْهِم في إصلَاح وتغيير هَذِهِ القنوات!

ولا يَحْصُل ذَلِكَ، بل علَى النَّقيض حيث نرَى بعد ذَلِكَ أنَّ هَذِهِ القنَوات باقِيةٌ في نَشْر المُحرَّمات وفي الإفسَاد، بل قد يَزيد مُتابعوها، ويَكثُر مُشاهِدُوها؛ ومِن أسباب ذَلِكَ: ظهور أولئك الدُّعاة!

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومِن مَكائده- أي: الشَّيطَان- أنه يَسْحَر العقل دائمًا حتَّى يَكيده، ولا يَسْلَم مِن سِحْره إلَّا مَن شاء الله؛ فيُزيِّن له الفِعْلَ الَّذِي يَضرُّه حتَّى يخيل إليه أنَّه مِن أنفَع الأشيَاء، ويَنفر مِن الفِعْل الَّذِي هو أنفَع الأشياء له، حتى يُخيل له أنه

يَضُره، فلا إلٰه إلَّا الله، كم فَتَنَ بهَذَا السِّحر مِن إنسَان! وكم حال به بين القَلب وبيْنَ الإسْلَام والإيمَان والإحسَان! وكم جَلَا الباطِلَ وأَبْرَزه في صورةٍ مُستَحْسَنة، وشَنَّع الحقَّ، وأَخْرَجَهُ في صورةٍ مُستَهجنَة! وكم بَهْرَجَ مِن الزُّيوف على النَّاقدِين! وكم رَوَّج مِن الزَّغَل(١) على العَارفين»(٢).

إنَّ الواجبَ على أصحَاب هَذِهِ القنَوات والعامِلين فيها مِن المُسْلِمِينَ أن يحذروا بسَببِ أفعَالهم المشِينَة أشدَّ الحَذَر مِن غضَبِ ربِّ العَالمين؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾ أي: الأمور الشَّنيعة المُسْتَقْبحَة المُستعظَمة، فيُحبُّون أن تشْتَهر الفاحشةُ ﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، أي: مُوجع للقَلب والبَدَن، وذَلِكَ لِغِشِّه لإخوانه المُسْلِمِينَ، ومحبَّة الشَّرِّ لهم، وجرَاءتِه على أعرَاضِهم، فإذَا كان هَذَا الوَعِيد لمُجرَّد محبَّة أن تشِيعَ الفاحِشَة، واستِحْلَاء ذَلِكَ بالقلب، فكيف بما هُو أعظم مِن ذَلِكَ؛ مِن إظهاره، ونقله؟ وسواء كانت الفَاحِشَة صادرة أو غير صادرة.

---

(١) الغِشُّ. «المعجم الوسيط» (١/ ٣٩٥).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

وكل هَذَا مِن رحمة الله بعبَادِه المُؤمِنينَ، وصِيَانة أَعْرَاضهم، كما صَانَ دمَاءهُم وأموَالهم، وأَمَرَهُم بما يَقْتضِي المُصَافاة، وأن يُحِبَّ أحدُهم لأخِيه ما يُحِبُّ لنفْسِه، ويَكره له ما يَكْره لنفسه.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ فلذَلِكَ عَلَّمكم، وبَيَّن لكُم ما تجْهَلُونه»(١).

وعليهم أن يُبَادِروا بالتَّوبة والرُّجوعِ في هَذَا الشَّهر الكريم إلى العزيز الرَّحيم قبْلَ أن لَا يَنفعهم النَّدَم، ولا تُغنِي عنهم الحسَرات.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامُكَ مَكتوب، وقولُكَ محسُوبٌ، وأنت يا هَذَا مَطلُوب، ولك ذنُوبٌ وما تَتُوب، وشمس الحياة قد أَخَذَتْ في الغُروب، فما أقسَى قلبك مِن بين القُلوب!»(٢).

وعلى كلِّ مَن ولَّاهم ربُّ العالمين أمْرَ المُسْلِمِينَ أنْ يَقُوموا بما يجب عليهم تجاهَهُم، ومِن ذَلِكَ أنْ يمْنَعوا هَذِهِ القنَوات الفَاسِدَة مِن البَثِّ ونشْرِ المُنكرَات، وليَعلموُا أنهم سيَقِفُون أمام الكبير المتعَال، وسيسألهم عن أنفُسِهم، وعن رعِيَّتهم، وما كان منهم جميعًا مِن أعمَال؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالأَمِيرُ الَّذِي على**

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٥٦٤).

(٢) «التبصرة» (٢/ ٢٧٢).

النَّاس رَاعٍ وهو مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ...»[١].

يَقُولُ الإمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَال العُلَمَاء: الرَّاعِي، هو الحافظ المُؤتمَن المُلتزم صلَاحَ ما قام عليه وما هو تحت نَظَرِه، فَفِيهِ أنَّ كُلَّ مَن كانَ تحْتَ نظَرهِ شيءٌ؛ فهُوَ مُطالَبٌ بالعَدْلِ فِيه، والقِيَام بمَصالحِهِ في دِينِهِ ودُنيَاه، ومُتعَلقَاتِه»[٢].

أيُّها المُسلم:

إنَّ رمَضان شهرٌ عظِيم، ومَوْسمٌ كريم، فإيَّاكَ ثُم إيَّاكَ أنْ تُضَيِّع أيَّامه فيما لا يَنفعُكَ في الدُّنيا ويَوْم الوقُوف بين يدَي العَلِيم الحَكِيم!

فَأَكْثِر فيه مِن الطَّاعات، وتزَوَّد في أيَّامه وليَاليه مِن القُرُبَات، وكُنْ فيه مِن أهل البَذْل والعطَاء والجُود والسَّخاء!

واجْتَنِب تلك القَنَوات وما شَابهَها مِن المُنكرَات!

واسْعَ بِما يُرضِي ربَّ البريَّات!

واعْلَم- وفَّقَك العزيزُ الغَفورُ- أنَّه شَهْرٌ ليْسَ كباقي الشُّهور، وأيَّامه لَيْسَتْ كبَاقي الأيَّام؛ يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا شَهْرٌ ليْسَ مِثله في سَائر الشُّهور، ولا فُضِّلَت به أُمَّةٌ غير هَذِهِ الأُمَّة

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٣).

في سَائر الدُّهور؛ الذَّنب فيه مَغفُور، والسَّعيُ فيه مشْكُورٌ، والمُؤمِن فيه محبُور، والشَّيطَان مُبْعَدٌ مَثْبُور، والوِزْر والإثْم فيه مَهْجُور، وقلبُ المُؤمن بذِكْر الله معْمُور، وقد أناخَ بفَنائكم وهو عن قلِيلٍ رَاحِلٌ عنْكُم، شاهدٌ لكُم وعليْكُم، مُؤذن بشقَاوة أو سعَادة، أو نُقْصَان أو زِيَادة، وهو ضعيف مَسْؤُول مِن عند ربٍّ لا يَحُول ولا يَزُول، يُخبر عن المحرُوم منكم والمقْبُول.

فاللهَ اللهَ! أكرِمُوا نهَارهُ بتَحْقِيق الصِّيام، واقطَعُوا ليْلَهُ بطُولِ البُكاء والقِيَام؛ فَلَعَلَّكم أن تفُوزوا بدَار الخُلد والسَّلام مع النَّظَر إلى وجهِ ذي الجلَال والإكْرَام، ومُرَافقة النبيِّ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ»[1].

ولنَحْذَر جميعًا- أيُّها الأفاضل- أن تَصْرفَنا عن استِغْلَال أيَّامِه وساعَاته لذَّاتٌ زائلة، وشهواتٌ فانية، يَتبعها بعد ذَلِكَ النَّدمُ والحسَرات!

ولنَجْتَهِد- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- في تحقيق الغاية الكَرِيمة، والهدف النَّبيل الَّذِي مِن أَجْلِه شُرِع الصِّيام، أَلَا وهو تقوى العَزِيز العَلَّام؛ يَقُولُ جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص٢١٥).

كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر تعالى بما مَنَّ به على عباده بأنَّه فَرضَ عليهم الصِّيامَ، كما فَرَضَه على الأمم السَّابقة؛ لأنَّه مِن الشَّرائع والأوَامر الَّتي هي مَصْلحَةٌ للخَلْق في كلِّ زمَان.

وفيه تنْشِيطٌ لهَذِهِ الأمَّة بأنَّه ينبغي لكُم أن تُنَافِسُوا غيرَكم في تكْمِيل الأعمَال، والمسَارعة إلى صالح الخِصَال، وأنه ليْسَ مِن الأمور الثَّقيلة التي اختصيتم بها.

ثُمَّ ذكر تعالى حكْمَتَه في مَشروعِيَّة الصِّيام؛ فقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، فإنَّ الصِّيام مِن أكبَر أسباب التَّقوى؛ لأنَّ فيه امتِثَالَ أَمْرِ الله، واجتِنَابَ نَهْيِه.

فمِمَّا اشتمل عليه مِن التَّقوى: أنَّ الصَّائم يَتْرك ما حرَّم اللهُ عليه من الأكل والشُّرب والجِمَاع ونحوها- التي تمِيلُ إليها نفسُه- مُتقَرِّبًا بذَلِكَ إلى الله، راجيًا بتَرْكِهَا ثوابَه؛ فهَذَا مِن التقوى.

ومنها: أنَّ الصَّائم يُدَرِّب نفسَه على مُرَاقبة الله تعالى؛ فيَترك ما تهوَى نفسُه مع قُدرته عليه؛ لعِلمِه باطِّلاع اللهِ عليه.

ومنها: أنَّ الصِّيام يُضَيِّق مجاري الشَّيطَان؛ فإنَّه يَجري مِن ابنِ آدم مجرى الدَّم، فبِالصِّيام يضعف نفوذه، وتَقِل منه المعاصي.

ومنها: أنَّ الصَّائم في الغالب تَكْثُر طاعتُه، والطَّاعات من خصال التقوى.

ومنها: أنَّ الغَنِيَّ إذا ذاقَ أَلَمَ الجُوعِ- أوْجبَ له ذَلِكَ مُواسَاة الفُقَراء المُعْدَمِين، وهَذَا مِن خِصَال التَّقْوى»(١).

وليَكُن قُدْوَتَنا في الاعتِنَاء واغتِنَام أيَّام هَذَا الشَّهر العظيم والمَوسم الكريم رسولُنا محمدٌ علَيْهِ أفضَل الصَّلاة وأزْكَى التَّسلِيم؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان مِن هَدْيِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان الإكثارُ من أنواع العِبَادات؛ فكان جبريلُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُدارِسُه القُرآنَ في رَمَضان، وكان إذا لَقِيهُ جبريلُ أجْوَدَ بالخير مِن الرِّيح المُرسَلَة، وكان أجودَ النَّاس، وأجودَ ما يَكُون في رمضان؛ يُكثر فيه مِن الصَّدَقة والإِحسَان، وتلاوة القرآن، والصَّلاة، والذِّكْر، والاعتِكَاف، وكان يَخُصُّ رمضان من العِبَادة بما لا يَخُصُّ غيرَه به مِن الشُّهور»(٢).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٦).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٣٢).

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقَنا وإيَّاكُمْ لإدْرَاك شهر رمَضان، وأنْ يجعَلنا فيه مِن أهل التَّقوى والجُود والإِحسَان، وأنْ يَرُدَّ كيْدَ الأشْرَار ومَكْرَ الفُجَّار، وسائر المُفْسِدين الَّذِين يَسْعَوْنَ لإفساد صِيام المُسْلِمِينَ؛ فهو- سبحانه- ولِيُّ ذَلِكَ، وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

ꕥ

بهَذَا يَصْلُحُ الأبناءُ
أيُّها الآباءُ!

بهذا يَصلُح الأبْناء.. أيُّها الآباء!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين؛ نَبيِّنَا مُحمَّدٍ، وعلَى آلِهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ تربيةَ الأبْنَاء على التَّمسك بالدِّين، واتِّباع هَدْي خير المرسَلِين، وحَثهم على تَوْقِير العُلماء، واحتِرَام الآخَرين مما يجب علَى الآباء والأُمَّهات؛ لأنَّهم مِن الأمانَات التي سَيَسْألهم عنها ربُّ البَريَّات؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالأَمِيرُ الَّذِي على النَّاس رَاعٍ، وهو مَسْؤُول عن رَعِيَّتِهِ...**»(١).

يَقُولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العُلماءُ**: الرَّاعي: هو الحافِظ المُؤتمَن، المُلتزم صلاحَ ما قام عليه، وما هو تحت نظَرِهِ، فَفِيهِ أنَّ كُلَّ مَن كانَ تحْتَ نظَرِهِ شيءٌ فهُوَ مُطالَبٌ بالعَدْلِ فِيه، والقِيَام

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩)، واللفظ له.

بمَصالِحِهِ في دِينِهِ ودُنياه، ومُتعَلَّقَاتِه»[(١)].

وعلى مَن أراد تحقيق هَذِهِ الغاية الكَرِيمة، والهدف النَّبيل الَّذِي ينفع بإذن ربِّ العالمين الآباءَ في الدَّارَيْن: الاجتِهَاد في بَذْلِ الأسْبَاب التي تَكُونُ بعَونِ العزيز الوهَّاب عوْنًا لهم على تربِيَة أوْلَادهم علَى ما يُرضي القَدِير التوَّاب.

ومِن أهمِّهَا أيُّها الأحبابُ:

* اتِّباع هَدْي الأنبِيَاء والمرسَلِين، وذَلِكَ بسُؤال أرْحَم الرَّاحِمين أن يَرزقهم أولادًا صالحين، وسَلَفُهم في هَذَا الهدْيِ القَويم والطَّلب الكرِيم نبيُّ الله إبرَاهِيم- علَيْهِ أفضَل الصَّلاة والتَّسلِيم- حيث قال كمَا أخبَرنَا عنه العزيز العظيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠].

يَقُولُ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهَذَا مسألةُ إبراهيم ربَّه أن يرْزُقه ولدًا صالحًا؛ يَقولُ: قال: يا رب هب لي منك ولدًا يَكُون مِن الصَّالحِين الَّذِين يُطيعونك، ولا يَعْصُونكَ، ويُصْلحُون في الأرْضِ، ولا يُفْسِدُون»[(٢)].

ويَقُولُ الطَّاهِرُ بنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووصفه بأنَّه من الصَّالحِين؛ لأنَّ نِعمة الولَد تَكُون أكمَل إذا كان صالحًا، فإنَّ صلَاحَ الأبْنَاء قُرَّةُ

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/ ٢١٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٧٦).

عَينٍ للآباء، ومِن صلَاحهم برُّهم بوالِدَيْهِم»(١).

فاستجاب القديرُ العلَّام لسؤاله؛ فبشَّره- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- بإسمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ يقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١].

يَقُولُ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُولُ تعالى ذِكره: فبشَّرنا إبراهيم ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، يعني: بغُلَامٍ ذي حِلم إذا هو كَبِر، فأمَّا في طفُولته في المهد، فلَا يُوصَف بذَلِكَ»(٢).

* وعلى الآباء بَعد أنْ يَمُنَّ عليهم الرَّحمنُ بالأَبْنَاء أن يَشْكُروه على هَذِهِ النِّعمة الإلهيَّة والمنحَة الرَّبانيَّة، ويسألوا ربَّ البرِيَّة صلَاحَ الذُّرية، وحِفظها مِن كلِّ الشُّرور والأفعَال الرَّدِيَّة؛ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي: ألهِمْنِي ووفِّقني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾، أي: نِعَم الدِّين ونِعَم الدُّنيا، وشكره بِصَرْف النِّعم في طاعة مُسْدِيها ومُوليها، ومُقابلة مُنَّتِه بالاعتِرَاف والعَجز عن الشُّكر، والاجْتِهَاد في الثَّناء بها علَى الله، والنِّعَمُ على الوَالِدَيْن نِعَمٌ علَى أوْلَادهم

(١) «التحرير والتنوير» (٢٣/ ١٤٨).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٣/ ٧٦).

وذُرِّيَّتهم؛ لأنَّهم لا بُدَّ أنْ ينالهم منها ومِن أسبابها وآثارها، خصُوصًا نِعَم الدِّين، فإنَّ صلَاح الوالِدَيْن بالعِلم والعمَل مِن أعظم الأسْبَاب لصلَاح أولَادِهم.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ بأنْ يَكُون جامعًا لما يصلحه سالمًا ممَّا يُفسِدُه، فهَذَا العمَل الَّذِي يرضَاه اللهُ ويَقبله، ويُثِيب عليه.

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ لما دعَا لنَفسِه بالصَّلاح دعَا لذُرِّيته أنْ يُصلِحَ اللهُ أحوَالهم، وذكَر أنَّ صلَاحهم يَعُود نفْعه علَى والديهم؛ لقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِى﴾.

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مِن الذُّنوب والمعَاصِي، ورجعتُ إلى طاعتك، ﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾»(١).

* وعليهم بعد ذَلِكَ الحِرْصُ علَى تعْلِيم أبنَائهم ما يَنفعُهم في الدَّارَيْن من التَّمسك بتعَاليم الدِّين، واتِّباع هدي خيْرِ المرسَلِين.

ومِن ذَلِكَ أيضًا: حَثُّهم على مُصاحَبة الصَّالحِين؛ لأنَّ الصُّحبة مُؤثرة في إصْلَاح حال العَبْد أو فسَاده، فمُعاشَرة الأخْيَار تُورث الفلَاح والنَّجاح، ومُصاحَبة الأشْرَار تُورث الحِرمَان والخُسْرَان؛ فعن أبي مُوسَى الأشْعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلُ**

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ٥٠٤).

الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ؛ فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[(١)]، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[(٢)].

يَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه تمْثِيلُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجلِيس الصَّالح بحَامل المِسك، والجلِيس السُّوء بنَافخ الكِير، وفيه فضِيلَةُ مُجَالسَة الصَّالحِين وأهل الخَيْر والمرُوءة ومَكارم الأخْلَاق والورَع والعِلم والأدَب، والنَّهي عن مُجالسَة أهل الشَّرِّ وأهل البِدَع، ومَن يَغْتَاب النَّاس، أو يَكثر فُجْرُه وبَطالتُه ونحو ذَلِكَ مِن الأنوَاع المذْمُومَة»[(٣)].

وعلَيْهِم كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- أنْ يُحذِّرُوهم مِن الابتِدَاع، والإحْدَاث في الإسْلَام، والتَّهاون في ارتِكَاب المعَاصي والآثَام الَّتي هِي أَصْلُ كل بلَاء، ومَصْدَر كل شَقاء؛ يَقُولُ الإِمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وللمَعاصِي مِن الآثَار القَبِيحَة المذْمُومَة، المُضرَّة بالقَلب والبدَن في الدُّنيا والآخِرَة، ما لا يَعلمه إلَّا الله»[(٤)].

---

(١) يُعطيك. «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٧٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٧٨).

(٤) «الجواب الكافي» (ص٣٤).

وليحذر الآبَاء أشدَّ الحذَر مِن التَّقصير في تعلِيم فَلذاتِ أكبادهم ما يَنفعهم في دينهم ودنياهم؛ لأنَّ مآل ذَلِكَ خطير وضرره كبير؛ يَقُولُ الإمامُ ابْن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَن أهمَل تعليم ولَدِه ما ينفعُه، وتَرَكه سُدًى؛ فقد أسَاء إليه غايةَ الإساءة، وأكثر الأوْلَاد إنَّما جاء فسَادهُم مِن قِبَل الآباء، وإهمَالِهم لهم، وتَرْك تعلِيمِهم فرَائض الدِّين وسُنَنه؛ فأضَاعُوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم يَنفَعُوا آباءهم كِبَارًا»(١).

ولْيَعْلَمْ كُلُّ مَن قصَّر في ذَلِكَ: أنَّ وبال هَذَا الأمر وعاقبته السَّيئة ستعُود عليه في الدُّنيا والآخِرَة؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما أفسد الأبْنَاءَ مِثل تَغفل الآبَاء وإهمَالهم، واستِسْهَالهم شَرر النَّار بين الثِّياب، فأكثَر الآباء يَعتمِدُونَ مع أولَادهِم أعْظَم ما يَعْتَمد العَدُوُّ الشَّديد العَداوة مع عدُوِّه وهُم لا يَشْعُرون، فكَمْ مِن والد حَرَم ولده خير الدُّنيا والآخِرَة، وعَرَّضه لهلَاك الدُّنيا والآخِرَة.

وكلُّ هَذَا عوَاقب تفرِيطِ الآباء في حُقُوق الله، وإضَاعتهم لها، وإعرَاضهم عمَّا أوجَب اللهُ عليهم مِن العِلم النَّافع والعمَل الصَّالح، حَرَمهُم الانتِفَاع بأوْلَادهِم، وحَرَم الأوْلَاد خيرَهم ونَفْعَهم لهم هو مِن عقوبة الآباء»(٢).

---

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٢٢٩).

(٢) «تحفة المودود» (ص٢٤٢).

* وعلى الآباء أن يَحرصوا على فِعْل الطَّاعات ويجتهدوا في التزود من الخيرات، واجتناب المُنكرَات، وسائر المحرمات؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد دلَّ العَقلُ والنَّقلُ والفِطْرةُ وتجَاربُ الأُمَم على اختِلَاف أجنَاسِها ومِلَلها ونِحَلها علَى أنَّ التَّقرُّبَ إلى ربِّ العالمين، وطَلَب مَرْضَاته، والبر والإِحسَان إلى خَلْقِه مِن أعْظَم الأَسْبَاب الجالِبَة لكلِّ خير، وأضْدَادها مِن أكبَر الأسباب الجالِبَة لكل شَرٍّ، فما استُجْلِبَت نِعَمُ الله، واستُدفِعَت نقمةُ الله بِمِثل طاعته والتَّقرب إليه والإِحسَان إلى خَلْقِه»[(١)].

ومِن الثَّمَرات النَّافِعة التي تنتج عن طاعة الوالدين لرب العالمين -أَيُّها الأفاضلُ-: صلاح الأوْلَاد، كما أخبَرنا بذَلِكَ ربُّ العِبَاد، حيث قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

يَقُولُ الإمَامُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه دليلٌ علَى أنَّ الرَّجل الصَّالح يُحفَظ في ذُرِّيَّته، وتشْمَل بركَة عِبَادته لهم في الدُّنيا والآخِرَة بشَفاعتِه فيهم، ورَفْع درجَتهم إلى أعلى درَجَةٍ في الجنَّة؛ لِتَقرَّ عيْنُه بهم»[(٢)].

* وليَحذرُوا كذَلِكَ أشَدَّ الحَذَر- أَيُّها الأَحِبَّةُ- مِن أنْ يجعلوا في بيُوتِهم ما يُغضب ربَّ الأرْض وَالسَّموات؛ كالصُّوَر والتَّماثيل

---

(١) «الجواب الكافي» (ص٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٠).

والمَعَازف، وغيرها من المحرَّمات، وأنْ يَعمروها بالطَّاعات؛ كالذِّكر والصَّلوات، وغير ذَلِكَ مِن القُرُبات.

فإنَّ البُيوتَ إذَا خَلَت مِن ذِكر الرَّحمن صارَتْ مَأوًى للشَّيطان، وصارت كالقبور المُظلِمَة؛ فعن أبي مُوسَى الأشْعرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ؛ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(١).

يَقُولُ الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هَذَا التَّمثيلِ مَنقبةٌ للذَّاكر جليلة، وفضِيلَة له نبيلَة، وأنه بما يقَع منه مِن ذِكْر الله عَزَّوَجَلَّ في حيَاة ذاتيَّة ورُوحِيَّة لما يَغْشَاهُ مِن الأنوار، ويصل إليه مِن الأجُور، كمَا أنَّ التَّارك للذِّكر وإنْ كان في حيَاةٍ ذاتيَّةٍ فليس لها اعتبار، بل هو شبيهٌ بالأمْوَات الَّذين لا يفيض عليهم بشيءٍ مما يفيض على الأحْيَاء المَشْغُولين بالطَّاعة لله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

فهَذِهِ- أيُّها الآباء، ويا أيَّتُها الأمهات- أهم الأسْبَاب الَّتي تُعينكم- بإذن العَزيز الوهَّاب- على إصْلَاح فَلذاتِ أكبادكم؛ فاحرِصُوا على بذْلِها، واجتهدوا في تحقِيقهَا، وسَلُوا البارِيَ جَلَّ وَعَلَا

---

(١) رواه مسلم (٧٧٩).
(٢) «تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين» (ص٢٠).

العَوْنَ على ذَلِكَ.

وإيَّاكُمْ أنْ تَتركُوا للأفكَار الهدَّامة والأخْلَاق السَّيئة أيَّ فُرصةٍ لتتمَكَّن منهم، واحذَرُوا عليهم مِن شيَاطين الإنسِ الَّذِين يَدْعُونهم إلى كل رذِيلةٍ، ويُبعِدُونهم عن كلِّ فضيلة.

واعلَمُوا- رَعاكُم اللهُ- أنَّكُم تحصُدُون في الدَّارَيْن ما زرَعتُم، فاحرِصُوا علَى غَرْس ما تَقطفُون ثِمَاره في دُنياكُم وبعد مَوتِكُم، ومِن ذَلِكَ صلَاح أولادكم، وفَلذاتِ أكبَادِكُم؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ؛ إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»(١).

يَقُولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العُلمَاءُ**: معنى الحديث: أنَّ عَمَل المَيِّت يَنقطع بمَوْتِه، وينْقَطع تجدُّد الثَّواب له إلَّا في هَذِهِ الأشْيَاء الثَّلاثة لكونه كان سببها، فإنَّ الولدَ مِن كَسْبِه، وكذَلِكَ العلم الَّذي خَلَّفه مِن تعليم أو تَصْنِيف، وكذَلِكَ الصَّدقةُ الجاريَةُ، وهي الوَقْف، وفيه فضِيلَةُ الزَّواج لرَجَاءِ ولدٍ صَالح»(٢).

ويَقُولُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخَصَّ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (١١/ ٨٥).

الأشياء الثَّلاثة بوصول الثَّواب إلى الميِّت؛ لأنَّه سببٌ لحُصولِها، والعَبد إذا باشرَ السَّبب الَّذِي يتعَلَّق به الأمر والنَّهي يترتَّب عليه مُسَببه، وإن كان خارجًا عن سعيه وكَسْبه، فلمَّا كان هو السَّبب في حصُول هَذَا الولَد الصَّالح، والصَّدقة الجارية، والعِلم النَّافع جرَى عليه ثوَابُه وأجْرُه؛ لتَسَبُّبه فيه، فالعَبدُ إنَّما يُثاب علَى ما باشرَه، أو على ما تَوَلَّد منه»[(١)].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له»؛ لأنَّ غيرَ الصَّالح لا يدعو لوالِدَيْه ولا يَبرَّهُما، لكن الوَلد الصَّالح هو الَّذِي يدعو لوالديه بعد مَوْتِهمَا، ولهَذَا يتأكَّد علَيْنا أنْ نحرص غايَة الحِرْص علَى صلَاح أولادِنَا؛ لأنَّ صلَاحهم صلاحُ لهم، وخيرٌ لنا حيْثُ يدْعُونَ لنا بعد الموتِ»[(٢)].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّق الآباءَ على تَربيَة أبْنَائهم تربيةً صالحةً يَعود نفْعُها عليهم جميعًا في الدَّارَيْن، وأنْ يجعل أبْنَاءَ المُسْلِمِينَ مُتمسِّكين بتعَالِيم الدِّين، ويَحفظهم مِن مَكْر الكُفَّار والمنَافقِين، ومِن كُلِّ المُفْسِدين والكَائدين؛ فهو سبحانهُ وليُّ ذَلِك وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبه أجْمَعِين

---

(١) «مفتاح دار السَّعادة» (١/ ١٧٥).

(٢) «شرح رِياض الصَّالحين» (٤/ ٥٦٧).

رسالة تحذير وتذكير
إلى كل نَمَّام!

رسالة تحذير وتذكير إلى كل نمَّام!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الأخْلَاق الذَّميمة والخِصَال المشِينَة الَّتي يتَّصف بها بعضُ الأنام- إلَّا مَن رَحِمه العَزِيز العَلَّام- صفة النَّميمَة؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النَّميمَةُ: القَالَةُ بين النَّاس**»[(١)].

يَقولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العُلمَاءُ**: النَّميمَة: نَقْلُ كلَام النَّاس بعْضهم إلى بَعْض علَى جِهَة الإفْسَاد بيْنهم»[(٢)].

فهَذَا الدَّاءُ العُضَالُ والمَرضُ القتَّال قد انتَشَر اليَوْم بين الكَثِير مِن المُسْلِمِينَ إلَّا مَن عَصِمَهُ منه أرْحَمُ الرَّاحِمين.

يَقولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ هاتَيْن الخَصْلَتيْن-

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ١١٢).

النَّمِيمَة والغِيبة- مِن أقْبَح القَبائح وأكثَرها انتشارًا في النَّاس؛ حتَّى ما يَسْلم منهما إلَّا القليل من النَّاس»[١].

إنَّ داءَ النَّمِيمَة اليوم- أيُّها الإِخْوَةُ والأَخَوات- قد عَظُم شَرُّه، وزاد ضَرَرُه، فلم يَعُد قاصرًا على أفراد مُعيَّنِين، بل تَعَدَّى فسادُه إلى المجتمعات؛ فكان سببًا لقطع أواصِر المحبَّة والإخاء، ونشر العداوة والبغضاء؛ **يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «لأنَّها- أي: النَّمِيمَة- تَهْتِكُ الأَسْتَارَ، وتُفْشِي الأَسْرَارَ، وتُورِثُ الضَّغائِنَ، وترفع المودَّةَ، وتُجَدِّد العَداوةَ، وتُبدِّد الجماعةَ، وتُهيِّج الحِقدَ، وتُزيدُ الصَّدَّ»[٢].

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنَّمِيمَة والغِيبَة محرَّمتان، وهما في النَّهي عنهما سَواءٌ»[٣].

فلو فَتَّشْنا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- عن أسباب الفُرقة والنُّفرة بين الكثِير مِن أبنَاء الإسْلَام لوَجَدْنا أنَّ مِن ورائها النَّمام؛ الَّذِي همُّه الخبيثُ هو السَّعي وراء الإفسَاد بَيْن الأنَام.

يَقُولُ الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والنَّمَّامُ**: هو الَّذِي يَنقل الحديثَ بين النَّاس، وبين اثنين بما يُؤذِي أحدهما، أو يُوحِش قَلْبَه على صاحِبه أو صديقه؛ بأنْ يَقُول له: «قال عنك فلانٌ كذا وكذا»،

---

(١) «الأذكار» (ص٢٦٦).

(٢) «روضة العقلاء» (ص١٨٠).

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣/ ٣٤٧).

و«فَعَلَ كذا وكذا»، إلَّا أنْ يَكُون في ذَلِكَ مَصْلحَة أو فائدة؛ كتَحْذِيره مِن شَرٍّ يَحدث، أو يَترتب»[١].

فهُوَ في الحقيقة- وإنْ كان يظهر على لسَانه الخير- إلَّا أنَّ قلبه مَلِيء بالحقدِ والشَّرِّ؛ **يَقُولُ القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والنَّمَّام وهو الَّذِي يَنقل كلَام النَّاس بعضهم إلى بعض بَغْيًا على غير وجهِ الصَّلاح والخير»[٢].

وهو في الغَالب لا يَسْلَم مِن الكَذِب في الكَلَام إنْ لم يَكُن في الأَصْل كذابًا؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والنَّمِيمَة فرعٌ مِن فُروع الكَذِب، ونوعٌ مِن أنواعه، وكل نَمَّام كذَّاب»[٣].

فكَمْ تسَبَّب النَّمامُ بفِعْلهِ المشين في الفِرَاق بين الزَّوجين، وقَطْع الصِّلة بين الأَخَوَيْن، ونَشْر العَدَاوة بين المُتَحَابَّين، والإفسَاد بين الشَّرِيكَيْن؛ **يَقُولُ الإمامُ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «يُفسد النَّمام في ساعة ما لَا يُفسِد السَّاحر في شَهْرٍ»[٤].

بل قد يَتعدَّى ضَرره إلى أنْ يَتسَبَّب في إراقَةِ دماء بعض المُسْلِمِينَ؛ **يَقُولُ الحافظ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «مِفتاح الدِّماء: الغِيبة،

---

(١) «الكبائر» (ص٢١١).

(٢) «مشارق الأنوار» (٢/ ١٣).

(٣) «طوق الحمامة في الأُلفة والأُلاف» (ص١٧٣).

(٤) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٣/ ٧٠).

والسَّعي بين النَّاس بالنَّميمَة بنشر الفِتَن التي يُسفك بسَببها الدِّماءُ»(١).

لِذَا، مما يَنبغِي علينا جميعًا- أَيُّها الأفاضلُ- أنْ نَحذر أشَدَّ الحذَر مِن الوقُوع في هَذَا الوباء الخَبيث، وأنْ نَنْصَح مَن ابْتُلِيَ به أنْ يَتوب إلى خالقه، وأنْ يجتهد ببَذْل الأسْبَاب لتَركه والتَّخلص مِن شرِّه، ومما يُساعِده بإذن رازقه على التَّخَلُّص مِن ضرَرِه:

- أنْ يَعلم أنَّ هَذَا الفِعْل الذَّمِيم هو مِن كِبَار الآثَام، وهو مُحرَّم بإجْمَاع أهل الإسْلَام؛ يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واتَّفَقُوا علَى تَحْرِيم الغِيبَة والنَّمِيمَة في غير النَّصِيحَة الواجِبَة»(٢).

ويَقُولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهُما مُحَرَّمَتان- أي: الغِيبَة والنَّمِيمَة- بإجماع المُسْلِمِينَ، وقد تظَاهر علَى تحريمهما الدَّلَائلُ»(٣).

- وأنَّ صَاحبَ هَذَا الدَّاء إذا لم يُبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى العَزيز الوهَّاب، ويَتْرك هَذَا الوبَاء فإنه مُتوَعَّدٌ بالعِقَاب؛ فعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خَرَجَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن بَعْضِ حِيطَانِ المَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ في قُبُورِهِمَا فقال: «**يُعَذَّبَانِ**

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٢).

(٢) «مراتب الإجماع» (ص١٥٦).

(٣) «الأذكار» (ص٢٦٦).

وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ؛ كان أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ من البَوْلِ، وكان الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[(١)].

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الدَّاوُدِي، وابنُ العَرَبي: (الكَبِير) المَنفي بمعنى: أكبَر، والمُثبتُ واحدُ الكبَائر، أي: ليْسَ ذَلِكَ بأكبَر الكبَائر؛ كالقتْلِ مَثلًا، وإنْ كان كَبِيرًا في الجُملة»[(٢)].

ويَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبرَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرَّجُليْن الَّذَيْن رآهما يُعَذَّبان في قبُورهما يمشي أحدُهما بالنَّمِيمَة بين النَّاس، ويَتْرك الآخرُ الاستِبْراء مِن البول.

فهَذَا تَرْكَ الطَّهارَةَ الوَاجِبَةَ، وذَلِكَ ارتكبَ السَّببَ المُوقِع للعداوة بين النَّاس بلسانه وإن كان صادقًا.

وفي هَذَا تنْبِيهٌ على أنَّ المُوقِع بينهم العَداوة بالكذِب والزُّور والبُهتان أعظم عذابًا، كما أنَّ في تَرْك الاستِبْراء مِن البول تَنْبِيهًا على أنَّ مَن ترك الصَّلاة التي الاستِبْراء من البَوْل بعض واجِبَاتها وشُروطها فهو أشدُّ عذابًا»[(٣)].

ويَقُولُ السَّفارِيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَبْدَى بعضُ أهل العلم نُكْتَةَ ذَلِكَ،

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٩٢).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٣١٨).

(٣) «الروح» (ص٧٧).

وهي مما يُكتَبُ بالذَّهب على صَفحَاتِ القُلوب، وذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ ما يُسأل عنه الإنسانُ يومَ القيامة، ويَقضِي فيه الحَقُّ جَلَّجَلَالُهُ: الصَّلاة، وَالدِّماء، وَالطَّهَارَةُ أقوى شُروط الصَّلاة وَمُقَدِّمَتُهَا، فإذا لم يَتَنَزَّهْ مِن البَوْل ولم يَسْتَبْرِئْ مِنْه فقد فرَّط في شرط الصَّلاة.

وَسَبَبُ وقوع النَّاس في سَفْكِ الدِّماء، وإراقتها بغير حقٍّ: العَداوة، وَمُقَدِّمَتُهَا: النَّمِيمَة، فإنَّها سَبَبُ العدَاوة.

وعذابُ القبر مُقَدِّمَةُ عَذاب النَّار؛ فَنَاسَبَ أَنْ يَبدأ بالمُقَدِّمات أَوَّلًا، فَانْظُرْ هَذِهِ المناسبة وَتَأَمَّلهَا تَجِدْهَا في غاية المُطابقة، جَزَاءً وِفَاقًا»(١).

ومن الوعِيد الشَّديد والزَّجر الأكِيد الَّذِي جاء في هَذَا الفِعْل الجبَان: أنَّ صاحِبهُ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإخْوَانُ- إذا لم يَتُب قبل فوَات الأوَان فإنَّه سيُحْرَم مِن دخول الجنان؛ فَعَن حُذَيْفَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمِعتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقولُ: «**لَا يَدْخُلُ الجنَّةَ نَمَّامٌ**»(٢).

يَقُولُ الإمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وأمَّا قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الجنَّةَ نَمَّامٌ**»، **ففيه التَّأويلان المُتقدِّمَان في نظَائره:**

أحدهما: يُحمل علَى المُستحلِّ بغير تأويلٍ مع العِلم بالتَّحريم.

---

(١) «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (١/ ٨٧).

(٢) رواه مسلم (١٠٥).

والثَّاني: لا يَدخلها دخُول الفَائزين، والله أعلم»[١].

- وعلى مَن ابتُلِيَ بهَذَا الوبَاء أن يعلم أنَّ هَذَا الدَّاء ليس مِن شِيَم الكِرَام، وإنَّما هو مِن خِصَال اللِّئام.

قيل لمُحمَّد بْن كَعْب القرظِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيُّ خِصَال المؤمِن أَوْضَع له؟ فقال: كثْرَة الكلَام، وإفشَاء السِّر، وقَبول قوْل كُلِّ أحَدٍ»[٢].

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَا في جَمِيع النَّاس شَرٌّ مِن الوشَاة، وهم النَّمامون، وإنَّ النَّمِيمَة لَطَبعٌ يَدُلُّ على نَتَن الأصل، ورَداءة الفرع، وفسَاد الطَّبع، وخُبث النَّشأة»[٣].

لِذَا، مما يُعرف عمَّن أُصيب بهَذَا الدَّاء المشِين أنَّه صاحب وجهين؛ الَّذِي هو مِن شِرَار النَّاس، كما أخبَرنا بذَلِكَ خيرُ المُرسَلِين؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تَجِدُونَ شَرَّ النَّاس ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»[٤].

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ**» أي: طائفة «**بِوَجْهٍ، وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»، أي: بوجه آخر؛ كالمُنافقين

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ١١٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٧).

(٣) «طوق الحمامة في الألفة والأُلاف» (ص١٧٣).

(٤) رواه البخاري (٣٣٠٤) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢٦).

والنَّمامين»(١).

- وعليه أنْ يَعْلَم أنَّه إذا لم يُبادر إلى تَركِها وعلاج نفسِه من هَذَا المرض؛ فإنَّه سيَجرُّه إلى أدواء أخرى مِن أخطَرِها وأشرِّها داء الغِيبة.

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن التِّين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجامع بينهما- أي: النَّمِيمَة والغِيبَة- ذِكْر ما يَكرهُه المَقول فيه بظَهْر الغيب.

وقال الكَرْمَانيُّ: الغِيبَة نوعٌ مِن النَّمِيمَة، لأنَّه لو سَمع المنقول عنه ما نُقل عنه لغمَّه.

قلتُ- أي: الحافظ ابْن حَجَر-: الغِيبَة قد تُوجَد في بعض صور النَّمِيمَة، وهو أنْ يذكره في غِيبته بما فيه مما يسوؤه، قاصدًا بذَلِكَ الإفسَاد»(٢).

ويا مَن نُقلَتْ إليك الأخبَار؛ احذَرْ أشدَّ الحذَر مِن أنْ تُطِيعَ وتَسْمَع لما يَنقله لك النَّمامُ، فإنَّ هَذَا مِن الآثام الَّذِي حذَّرك منه العَزِيزُ العَلَّامُ، حيث قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠، ١١].

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٥٩).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٠).

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾، أي: كثير الحَلف، فإنه لا يَكُون كذَلِكَ إلَّا وهو كذَّاب، ولا يَكُون كذَّابًا إلَّا وهو ﴿مَّهِينٌ﴾ أي: خسِيس النَّفس، ناقِص الهمَّة، ليس له همَّة في الخير، بل إرَادَته في شهَوَات نفْسِه الخسِيسَة.

﴿هَمَّازٍ﴾ أي: كَثِير العَيْب للنَّاس، والطَّعن فيهم بالغِيبَة والاستِهزاء، وغير ذَلِكَ.

﴿مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يَمْشِي بين النَّاس بالنَّمِيمَة، وهي: نقل كَلَام بعض النَّاس لبَعْض، لقَصْد الإفسَاد بينهم، وإلقَاء العداوة والبَغْضاء»[(١)].

واعْلَمْ- سدَّدَك اللهُ- أنَّك حتَّى أنت لن تسْلَمَ مِن شَرِّ النَّمام، وأنه سيُوقع بينك وبين غيرِكَ مِن الأنام.

يَقولُ الإمامُ الخليلُ بن أحمد الفَرَاهِيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٧٠هـ): «مَن نَمَّ إليك نَمَّ عليك، ومَن أخبرَك بخبر غيرك أَخْبَرَ عنك غيرَك بخبرِك»[(٢)].

لذا، فبَدل أنْ تُلقي له سَمْعَك؛ انصحْهُ بالتَّوبة والرُّجوع إلى العزيز العليم، وبتَرْك هَذَا الفِعْل الذَّميم!

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٧٩).

(٢) «شُعب الإيمان» للبيهقي (٧/ ٥٢١).

فإنْ أصرَّ على غيِّه فازْجُرْه؛ فإنْ استمرَّ في شرِّه فعليك أن تُبغِضَه، وتَهجُره؛ حتَّى يَتُوب ويَرْجِع إلى رُشْدِه.

يَقُولُ الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّمام يَنبغي أن يُبغَض، ولا يُوثَق بقَوْلِهِ، ولا بصدَاقته، وكيف لا يُبغَض وهو لَا يَنفكُّ عن الكَذِب، والغِيبَة، والغَدْر، والخِيَانة، والغلِّ، والحسَد، والنِّفاق، والإفسَاد بين النَّاس، والخدِيعَة، وهو ممن يَسْعَون في قَطْع مَا أَمَر الله به أنْ يُوصَلَ ويُفسِدُون في الأرض»(١).

واعْلَمْ- رعاكَ اللهُ- إذا أردتَ النَّجاحَ والفَلَاح فَعليك بهذه النصائح القَيِّمة والوصايا الكريمة من الإمام الغَزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يَقُولُ: «وكلُّ مَن حُملت إليه النَّمِيمَة، وقيل له: إنَّ فلانًا قال فيك كذا وكذا، أو فَعَل في حقِّك كذا، أو هو يُدَبِّر في إفسَاد أمْرِك أو في مُمالأة عدوِّك، أو تقْبِيح حالك، أو ما يجري مَجْرَاه، فعليه سِتَّةُ أُمُور:

الأول: أن لا يُصَدِّقه؛ لأنَّ النَّمام فاسِقٌ، وهو مرْدُودُ الشَّهادة؛ قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ [الحجرات: ٦].

الثَّاني: أن يَنهاه عن ذَلِكَ، ويَنصح له، ويُقَبِّح عليه فِعْلَه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

---

(١) «إحياء علوم الدِّين» (٣/ ١٥٦).

الثَّالث: أنْ يُبغِضَه في الله تعالى، فإنَّه بغِيض عند الله تعالى، ويجب بُغض مَن يبغضه الله تعالى.

الرَّابع: أنْ لا تَظُنَّ بأخِيك الغائب السُّوء؛ لقول الله تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامِس: أن لا يحملك ما حُكِيَ لك علَى التَّجسُّس والبَحْث لتتحقق؛ اتِّباعًا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

السَّادس: أن لا تَرْضَى لنَفْسِك ما نَهيت النَّمام عنه، ولا تحكي نمِيمَته فتقول: فلانٌ قد حَكى لي كذا وكذا، فتَكُون به نمَّامًا ومُغتابًا، وقد تكون قد أتَيْتَ ما عنه نَهَيْتَ»(١).

وفي الختام: إنَّ مِمَّا ينبغي علينا جميعًا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- هو أن نستعمل ألسِنَتنا في طاعة الرَّحمن؛ كِذِكْر العَزيز المَنَّان في كل الأحيَان، وقراءة القُرآن.

وعلينا كذَلِكَ أنْ نحفَظها مِن كل أنواع العِصْيَان، ولا نُطلق لها العِنان في الغِيبَة والنَّمِيمَة والكَذِب والبُهتان، فتَجُرنا إلى المَهالك ونَصْلى بسببها النِّيران؛ فعن مُعاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار على وُجُوهِهِمْ- أو على مَنَاخِرِهِمْ- إلا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ؟!**»(٢).

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بحصَائد الألسِنَة: جَزاء الكلام المُحرَّم وعقُوباته، فإنَّ الإنسَانَ يزرع بقوله وعمَله الحسَنات والسَّيئات، ثم يحصُد يوم القِيَامة ما زرَع.

فَمَنْ زَرَعَ خيرًا مِن قولٍ أو عَمَلٍ حصَد الكرامة، ومَنْ زَرَعَ شرًّا مِن قولٍ أو عملٍ حَصَدَ غدًا النَّدامة.

وظاهر حديث مُعاذ يدلُّ علَى أنَّ أكثر ما يَدخل النَّاس به النَّار النُّطق بألسِنَتهم؛ فإنَّ معصِيَة النُّطق يَدخل فيها الشِّرك، وهو أعظم الذُّنوب عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها القَوْل على الله بغير عِلم، وهو قرين الشِّرك، ويَدخل فيها شهادة الزُّور الَّتي عَدَلت الإشْرَاك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويَدخُل فيها السِّحر، والقَذْف، وغير ذَلِكَ مِن الكَبائر والصَّغائر؛ كالكَذِب، والغِيبة، والنَّمِيمَة، وسائر المَعاصي الفِعْليَّة لا يخلو غالبًا مِن قولٍ يَقترن بها يَكُون مُعِينًا عليها»[(١)].

فاللَّه أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يَرزقنا- وإيَّاكُمْ- التوبةَ النَّصوحَ، ويُوفِّقنا للعمل الصَّالح، وإلى كل ما فيه السَّعادة والسُّرور، وأن يُجنِّبَنا الوقُوعَ في الغِيبَة والنَّمِيمَة، وكل أنواع الشُّرور؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ والعزيزُ الغفورُ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٢٧٤).

تذكير الأخيار
بفضل الاستغفار

تذكير الأخيار بفضل الاستغفار

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن صِفَات الأَخْيَار، وعلامات الأبرَار: كَثْرَةَ الذِّكر والاستِغْفَار؛ يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الاستِغْفَار:** استِفْعَال، مِن طلب الغُفْرَان، **والغُفْران:** تَغطية الذَّنب بالعَفو عنه. **والغَفر:** السِّتر»(١).

قُدوتهم في ذَلِكَ- أَيُّها الكِرَامُ- رسولُ العَزِيز العَلَّام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ الَّذِي كان دائمَ الاستِغْفَار والرُّجوع إلى الغفور الغَفَّار؛ فعن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: «**والله إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله، وأتُوبُ إِلَيْهِ في اليَوْمِ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّة**»(٢).

---

(١) «نزهة الأعين النواظر» (ص٨٩).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧).

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوْلَى العِبَاد بالاجْتِهَاد في العِبَادة: الأنبياء عليهم السَّلام؛ لِمَا حَبَاهم اللهُ به مِن مَعرفته، فَهُم دَائِبون في شُكْر ربِّهم، مُعترِفُون له بالتَّقصير، لا يُدلُّون عليه بالأعمَال، مستَكِينُونَ خاشعون»(١).

ويقُولُ الحافظُ ابْنُ حجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُحتمل أن يَكُون- كثرة استغفاره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لاشتغاله بالأمور المُباحة مِن أكلٍ، أو شُربٍ، أو جِمَاع، أو نوم، أو راحة، أو لمخاطبة النَّاس، والنَّظر في مصَالحهم، ومحاربة عدُوِّهم تارة، ومُداراتِه أُخرى، وتأليف المُؤلَّفة، وغير ذَلِكَ مما يَحجبه عن الاشتِغَال بذِكْر الله، والتَّضرع إليه، ومُشاهدته ومُراقبته، فيرى ذَلِكَ ذَنْبًا بالنِّسبة إلى المَقام العَليِّ»(٢).

ويَقُولُ الإمامُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما كان يَسْتَغفِر هَذَا المِقدار مع أنه مَعصومٌ، ومَغفورٌ له؛ لأن الاسْتِغْفَارَ عبَادةٌ، أو هو تَعليمٌ لأمَّته، أو استِغْفَارٌ مِن تَرْك الأَوْلَى، أو قالَه تَوَاضُعًا، أو ما كان عن سَهْوٍ، أو قَبْل النُّبوة»(٣).

وهُم كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- على يَقِينٍ تامٍّ أنه لا غِنًى لأحدٍ كائنًا مَن كان عَن طلب المغفرةِ والعفو مِن العزيز الرَّحمن.

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٧٧).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ١٠٢).

(٣) «عمدة القاري» (٢٢/ ٢٧٩).

يَقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليْسَ لأحدٍ أنْ يظُنَّ استِغْنَاءه عن التَّوبة إلى الله، والاستِغْفَار مِن الذُّنوب، بل كلُّ أحدٍ محتاجٌ إلى ذَلِكَ دائمًا»(١).

لكن مما يَمْتازُون به- أَيُّها الأفاضلُ- عن غيرهم أنهم يُبادرون بالتَّوبةِ والذِّكْر، وطلب المَغفرة مِن المَنَّان عند وقوعهم في الإثْم والعِصْيَان؛ يَقُولُ عنهم العزيز الرَّحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

يَقولُ الشَّيخُ السَّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: صَدَر منهم أعمالٌ سيِّئةٌ كبيرة، أو ما دُون ذَلِكَ، بادرُوا إلى التَّوبة والاستِغْفَار، وذكَرُوا ربَّهم، وما توَعَّد به العَاصِين، ووعد به المُتَّقين، فسَألوه المغفرة لذُنوبهم، والسِّتر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها، ونَدمهم عليها، فلهَذَا قال: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾»(٢).

فالعَبدُ مهما عَلَت درجَتُه وارتفعَتْ مكانتُه- لضعفه البشري- لا بد أن يَقع في التَّقصير، ومخالفة ما أَمَرَه به العزيزُ القديرُ.

يَقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبدُ دائمًا بين نعمةٍ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٥٥).

(٢) «تفسير السعدي» (ص١٤٩).

مِن الله يحتاج فيها إلى شُكر، وذنبٍ منه يحتاج فيه إلى الاسْتِغْفَار، وكلٌّ مِن هذين مِن الأمور اللَّازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يَزال يتقَلَّب في نِعَم الله وآلائه، ولا يزَال محتاجًا إلى التَّوبة والاستِغْفَار، ولهَذَا كان سيِّدُ ولد آدم، وإمَام المتقين محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسْتَغفر في جمِيع الأحوال»(١).

فالاستِغْفَارُ والرُّجوعُ إلى العَلِيِّ الغفَّار مِن أعظم الأدوية الرَّبَّانيَّة، والوسَائل الشَّرعيَّة التي تُعين العبْدَ على دَفْع ما يقَع في صدره مِن ضيقٍ، وفي قلبِه مِن قسوةٍ.

يَقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستِغْفَار من أكبر الحسَنات، وبابه واسِعٌ، فمَنْ أحسَّ بتقْصِيرٍ في قوله، أو عمَله، أو حاله، أو رزقه، أو تَقَلُّب قلب؛ فعلَيْهِ بالتَّوحيد والاسْتِغْفَار، ففيهما الشِّفاءُ إذا كانَا بصدقٍ وإخلاص»(٢).

والأبْرَار كذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَخْيَار- يَعْلمُونَ أنَّ الإكثار مِن الاسْتِغْفَار هو مِن أعظم الأسبَاب المُعِينَة على تحقيق المطلوب، ونَيْل المرغوب في الدُّنيا والآخِرَة بإذن علَّام الغيوب؛ يَقُولُ سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ [هود:٣].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٨٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٩٨).

يَقُولُ الشَّيخُ الشِّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الآية الكَرِيمة تدلُّ على أنَّ الاستِغْفَار والتَّوبة إلى الله تعالى مِن الذُّنوب سببٌ لِئَن يُمَتِّع الله مَن فَعَلَ ذَلِكَ متاعًا حسَنًا إلى أجلٍ مُسمًّى؛ لأنَّه رتَّب ذَلِكَ على الاستِغْفَار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظَّاهر: أنَّ المرادَ بالمَتَاع الحَسَن: سَعة الرِّزق، ورغَد العَيْش، والعَافية في الدُّنيا.

وأنَّ المراد بالأجَل المسمَّى: الموت»(١).

بل- مِن حرْصِهم- لا يَكتَفُون بسؤال المغفرة لأنفسهم مِن أرْحَم الرَّاحِمين، بل يَطْلُبونها للآخرين من المُؤمِنينَ، وذَلِكَ امتثالًا منهم لما أمرَهُم به ربُّ العالمين، حيث قال لخير المُرسَلِين، وسيِّد ولد آدم أَجْمَعِين: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ أي: اطلُبْ مِن الله المَغفرة لِذَنْبِك، بأنْ تفعل أسبَاب المغفرة مِن التَّوبة والدُّعاء بالمغفرة، والحسَنات الماحية، وتَرْك الذُّنوب، والعَفْو عَن الجَرَائم.

واسْتَغْفِر- أيضًا- للمُؤمنين والمؤمنات؛ فإنَّهم- بسببِ إيمانهم- كان لهم حقٌّ على كلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ.

---

(١) «أضواء البيان» (٢/ ١٦٩).

ومِن جملة حُقُوقِهم: أنْ يَدعو لهم، ويَستغفر لِذُنوبهم، وإذا كان مَأمورًا بالاستِغْفَار لهم المُتضمن لإزالة الذُّنوب وعقوباتها عنهم، فإنَّ مِن لوازم ذَلِكَ النُّصح لهم، وأن يُحب لهم من الخير ما يحب لنفسه، ويكره لهم مِن الشَّرِّ ما يَكره لنفسه، ويأمُرهم بما فيه الخير لَهُم، وينهاهُم عمَّا فيه ضَررهم، ويَعفو عن مسَاويهم ومعَايبهم، ويحرص على اجتِمَاعهم اجتماعًا تتألَّف به قلوبهم، ويَزُول ما بيْنَهم مِن الأحقَاد المُفضِيَة للمُعاداة والشِّقاق، الَّذِي به تَكثر ذُنوبُهم ومعَاصِيهم»[(١)].

إنَّ مما يَنبغِي علينا جميعًا- أيُّها الإِخْوةُ والأَخَوَاتُ- أنْ نحرص على التَّحلي بصِفَات هؤلاء الأخيَار، والاقتداء بهدي هؤلاء الأبرار.

ومن ذَلِكَ: أنْ نُكْثِر دائمًا مِن التَّوبة والاستِغْفَار في كل الأوقات؛ يَقُولُ الإمامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكثِرُوا مِن الاستِغْفَار في بيوتكم، وعلى مَوائدكُم، وفي طُرُقِكُم، وفي أسوَاقِكُم، وفي مجَالسِكُم، أينما كنتم، فإنَّكُم ما تَدْرُونَ متَى تنزل المَغفرةُ»[(٢)].

وعلينا أنْ نَعلَم أنَّ هَذَا الفِعْل الحمِيد، والصِّفة الكَرِيمة هي مِن ثمَرات الإيمَان باسْمَي اللهِ جَلَّ وَعَلَا «الغفور والغفَّار»، اللَّذِين جاء

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٧٨٧).

(٢) «التوبة» لابن أبي الدنيا (ص٢٧٣).

ذِكرُهما في مواضِع عدِيدَة من القرآن العظيم؛ من ذَلِكَ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفُور: الَّذِي لم يَزل يَغفِر الذُّنوب ويَتوب على كل مَن يَتُوب»[١].

وأيضًا قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٦].

يَقُولُ البيهقيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغفَّار: هو السَّتَّار لِذُنُوب عِبادهِ مرَّةً بعد أخرى»[٢].

وعلينا أن نَجمع عند طَلَب المَغفرة مِن الرَّحمن بيْنَ استِحْضَار القلب والذِّكر باللِّسَان؛ يَقُولُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال علماؤنا:** الاستِغْفَار المَطْلُوب هو الَّذِي يُحِلُّ عُقَدَ الإصْرَار، ويُثَبِّت معناه في الجَنان، لا التَّلفظ باللِّسَان، فأمَّا مَن قال بلِسَانهِ: أَستَغْفِر اللهَ، وقلبُه مُصِرٌّ على مَعصِيَته؛ فاستِغْفَارُه ذَلِكَ يحتاجُ إلى استِغْفَار»[٣].

ولنَحْذرَ أشدَّ الحذَر مِن أنْ نَمِلَّ مِن التَّوبةِ والاسْتِغْفَار، مهما تكرَّرت منَّا الآثام؛ لأنَّ هَذَا تلبيسٌ وتيْئِيس إبليس، الَّذِي يسْعَى

---

(١) «الحق الواضح المُبين» (ص٧٣).

(٢) «الاعتقاد» (ص٥٦).

(٣) «تفسير القرطبي» (٤/ ٢١٠).

جاهدًا ليُقَنِّطنا مِن رحمة العَزيز الغفَّار.

قِيل للإمامِ الحَسَن البَصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَلَا يَستحي أحدُنا مِن ربِّه، يَستغفر مِن ذُنوبه ثم يعود، ثم يَستغفر ثم يعود؟!

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودَّ الشَّيطانُ لو ظَفِر منكم بهَذَا! فلا تملُّوا مِن الاسْتِغْفَار»(١).

وفي الختام- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- من الأسئلة التي قد تُطرح في هَذَا المقام:

ما هو الفرقُ بين الاسْتِغْفَار والتوبة إلى الغفور العَلَّام عند الأئمَّة الأعلام؟

يُجيبنا على ذَلِكَ الإمامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيَقُولُ: «الاستِغْفَار نوعَان: مُفرد، ومَقرون بالتوبة:

فالمُفرد: كقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ [نوح: ١٠، ١١]، وكقول صالح لقومه: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦﴾ [النمل: ٤٦]...

والمقرون: كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١٦٥).

فالاستِغْفَارُ المُفرد كالتَّوبة، بل هو التَّوبةُ بعَينها، مع تضَمُّنه طلَب المغفرة مِن الله، وهو محو الذَّنب، وإزالة أَثَره، ووقاية شرِّه، لا كمَا ظنَّهُ بعض النَّاس: أنها السِّتر، فإنَّ الله يستر على مَن يغفر لهُ ومَن لا يَغفر له، ولكنَّ السِّتْر لازمُ مُسَمَّاها، أو جزؤه؛ فدلالتها عليه إمَّا بالتَّضمن وإمَّا باللزوم.

وحقيقتها: وقاية شَرِّ الذَّنب، ومنه المِغْفَر لِمَا يَقي الرَّأس مِن الأذَى، والسِّتر لازمٌ لهَذا المعنى، وإلَّا فالعمَامة لا تُسمَّى مِغْفرًا، ولا القُبع ونحوه مع سِتْره، فلَا بُدَّ في لفظ المِغْفر مِن الوقاية.

وهَذا الاستِغْفَارُ هو الَّذِي يَمنع العَذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فإنَّ اللهَ لا يُعَذِّب مُستغفِرًا، وأمَّا مَن أصرَّ على الذَّنب، وطَلَب مِن الله مَغفرته، فهَذَا ليس باستِغْفَارٍ مُطْلَق؛ ولهَذا لا يَمنع العذَاب، فالاسْتِغْفَار يتضمَّن التَّوبة، والتَّوبة تتضَمَّن الاستِغْفَار، وكل منهما يَدخُل في مسمَّى الآخر عند الإطْلَاق.

وأمَّا عند اقتِرَان إحدى اللَّفظتين بالأخرى، فالاستِغْفَار: طلب وقاية شَرِّ مَا مضَى، والتوبة: الرجوع، وطلب وقاية شَرِّ ما يخافه في المسْتَقْبَل مِن سيِّئات أعماله.

فها هنا ذَنبان: ذنبٌ قد مضَى، **فالاستِغْفَارُ منه**: طلَبُ وقاية شَرِّه، وذنبٌ يخاف وقوعه. **فالتوبة**: العَزْم علَى أنْ لَا يفعله.

والرُّجوع إلى الله يتناول النَّوعين: رجوع إليه ليَقِيَهُ شَرَّ ما مضَى، ورجوع إليه ليقِيَهُ شَرَّ مَا يُستقبل مِن شَرِّ نفسِه وسَيِّئات أعمالِه»(١).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنَا- وإيَّاكُمْ- لكُلِّ مَا يُحبُّه ويَرْضَاه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعَلنا دائمًا له- سبحانه- مِن الذَّاكرين والمُستَغْفرِين، وأن يُجنِّبنا جميعًا كُلَّ ما يُبغضُه ويَأْبَاه، ومِن ذَلِكَ الغَفلة عن الدِّين، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِه وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٠٨).

ما أحوجَنا إلى التَّحلِّي بالأخلاق الفاضلة!

ما أحوجنا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يتميَّز به أهلُ الإيمَان عن غيرهم مِن الأنَام: أنهم يَدْعُون النَّاسَ إلى كل ما ينفعهم في الدُّنيا، ويوم الوقوف بين يدي العَزِيز العَلَّام، ومن ذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنهم يحثونهم إلى التَّحلي بكل خُلُقٍ فاضلٍ، وأدبٍ رفيعٍ.

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَأمرون- أي: أهل السُّنة والجماعة- بالصَّبر عند البَلَاء، والشُّكر عند الرَّخاء، والرِّضا بمُرِّ القَضاء، ويَدْعُونَ إلى مكارم الأَخْلَاق، ومحَاسِن الأعمَال»[١].

لأنَّهم يَعلمون- أيُّها الأحبابُ- أنَّ مِن أهم الأسبَاب التي تُعين العَبْدَ على تحصيل الخير- بإذن العزيز الوَهَّاب- هو اتِّصَافه بمكارم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٨).

الأخْلَاق، وحُسن الآداب؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما استُجلب خيرُ الدُّنيا والآخِرَة بمِثل الأدب، ولا استُجلب حِرمانها بمثل قِلَّة الأدب»(١).

وأنَّ الأخْلَاقَ الحَسَنَةَ والصِّفات الحميدة هي مِن الطُّرُق المُوصِلَة للجِنَان بإذن الكريم المنَّان؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سُئِلَ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن أَكْثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الجنَّةَ؟ فقال: «تَقْوَى الله، وَحُسْنُ الخُلُقِ»(٢).

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جَمَعَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين تقوى الله وحُسْن الخلُق؛ لأنَّ تقوى الله يُصلح ما بين العبد وبين ربِّه، وحُسْنُ الخُلُق يُصْلِح ما بينه وبين خَلْقِه؛ فتقْوَى الله تُوجب له محبَّة الله، وحُسْن الخُلُق يَدعو النَّاس إلى محبَّته»(٣).

لِذَا، كان مما أوْصَى به نبيُّنا عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ أهلَ الإسْلَام أنْ يَحْرِصُوا على التَّحَلِّي بكلِّ ما هو جَمِيل، ويبْتعِدُوا عن كل مَا هو قَبيح، وأن يتعَامَلُوا فيما بينهم بالأخْلَاق الحَسَنة، والصِّفات الكَريمة، فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال لي رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاس

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «الفوائد» (ص٥٤).

بِخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهَذِهِ الوصيَّةُ وصيةٌ عظيمة، جامعةٌ لحُقوق الله، وحُقوق عِبادِه»(٢).

ويَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجِمَاع الخُلُق الحَسَن مع النَّاس: أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَك بالسَّلام، والإكْرَام، والدُّعاء له، والاستِغْفَار، والثَّناء عليه، والزِّيارة له، وتُعْطِي مَنْ حَرَمكَ مِن التَّعليم والمَنفعة والمال، وتَعْفُوَ عمَّن ظَلَمَك في دمٍ أو مالٍ أو عِرْض، وبَعْضُ هَذَا واجبٌ، وبَعْضُه مُسْتَحَبٌّ»(٣).

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأوَّلُ الخُلُق الحَسَن- أي: مع النَّاس-: أن تَكُفَّ عنهم أَذَاك مِن كل وَجْهٍ، وتَعفو عن مَساوئهم وأَذِيَّتهم لك، ثم تعاملهم بالإحسَان القَوْلي والإحسَان الفِعْلِي، وأخَصُّ ما يَكُون بالخُلُق الحَسَن: سَعة الحِلم على النَّاس، والصَّبر عليهم، وعدم الضَّجَر منهم، وبشَاشَة الوجه، ولُطْف الكَلَام، والقَوْل الجميل المُؤنس للجَلِيس، المُدخل عليه السُّرور، المُزيل لِوَحْشتِه، ومَشقَّة حِشْمَته، وقد يَحْسُن المَزح أحيانًا إذا كان فيه مَصلحة، لكن لا يَنبغي الإكثَارُ منه، وإنَّما المَزح في الكَلَام كالمِلْح في الطَّعام؛ إنْ عُدِم

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص١٥٨).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٥٨).

أو زادَ على الحَدِّ؛ فهو مذمومٌ.

ومِن الخُلُق الحَسَن: أنَّ تُعامل كُلَّ أَحَدٍ بما يَليق به، ويُناسب حاله مِن صغيرٍ وكبير، وعاقلٍ وأحمق، وعالمٍ وجاهل.

فَمَن اتَّقى اللهَ، وحقَّق تقوَاه، وخالَقَ النَّاسَ على اختِلَاف طبقاتهم بالخُلُق الحسَن؛ فقد حازَ الخيرَ كُلَّه؛ لأنَّه قامَ بحقِّ الله وحُقُوق العباد، ولأنَّهُ كان مِن المُحسنين في عبادة الله، المُحسنين إلى عِباد الله»[(١)].

لقد عَرَف سلفُنا الصَّالحُ رحمهم ربُّ البرِيَّة- أَيُّها الأَحِبَّةُ- قِيمة وأهميَّة هَذِهِ الوصيَّة النبويَّة؛ فاجتَهَدُوا على تحقِيقهَا، وحَثُّوا غيرهم على العمَل بها؛ يَقُولُ الإمامُ محمد بن سِيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا يَتعَلَّمُون الهَدْيَ كما يَتعَلَّمُون العِلم»[(٢)].

لأنَّهم كانوا يَعلمون أنَّ من سِمَات المُسلم التَّحَلِّي بكل فضيلة، والبُعد عن كل رَذيلة؛ يَقُولُ الشَّيخُ بَكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد تَوَارَدَتْ مُوجبات الشَّرع على أنَّ التَّحَلِّي بمَحاسِن الأدب، ومكارم الأخْلَاق والهَدْي الحَسَن، والسَّمت الصَّالح: سِمَة أهل الإسْلَام»[(٣)].

وأنَّ حُسْنَ الأدب عُنوانُ الفَوْز والسَّعادة، وقِلَّته علامةُ الحرمان

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٣٥٥).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع» للخطيب البغدادي (٩).

(٣) «حلية طالب العلم» (ص٢).

والشَّقاوة؛ يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَدَبُ المَرء: عنوان سعادته وفَلاحه. وقِلَّةُ أَدَبِه: عُنوان شقاوته وبَوَاره»(١).

وأنَّه كلما كَمُل إيمَانُ العَبْد حَسُن خُلُقه؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٢).

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغي أن يَكُون هَذَا الحديث دائمًا نُصْبَ عَين المؤمن؛ لأَنَّ الإنسَانَ إذا عَلِم بأنه لن يَكُون كاملَ الإيمَان إلا إذا أَحْسَن خُلُقَه كان ذَلِكَ دافعًا له على التَّخلُّق بمكارم الأخْلَاق، ومَعالي الصِّفات، وتَرك سفَاسِفَها ورَدِيئها»(٣).

وأنَّ المُسلمَ الحقيقيَّ هو الَّذِي يَسْلَمُ النَّاسُ مِن أَذَاه؛ فعن عَبْدِ الله بن عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٤).

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذَلِكَ أنَّ الإسْلَامَ الحقيقيَّ: هو الاستِسْلَامُ لله، وتَكْمِيل عُبُودِيَّته، والقِيَام بحقوقه، وحقوق

---

(١) «مدارج السَّالكين» (٢/ ٣٩٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «مكارم الأخلاق» للشَّيخ ابن عُثيمين (ص١٠).

(٤) رواه البخاري (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٤٠).

المُسْلِمِينَ، ولا يَتِمُّ الإِسْلَامُ حتَّى يُحِبَّ للمُسْلِمِين ما يُحِب لنفسِه، ولا يتحقَّق ذَلِكَ إلَّا بسَلامتهم مِن شَرِّ لِسانه وشَرِّ يَدِه، فإنَّ هَذَا أصلُ هَذَا الفَرْض الَّذِي عليه للمُسْلِمِين، فَمَن لم يَسْلَم المُسلمون مِن لسانه أو يَده كيف يَكُون قائمًا بالفرض الَّذِي عليه لإخوانه المُسْلِمِينَ؟! فسَلامتُهم مِن شرِّه القولي والفِعْلي عُنْوَانٌ علَى كمَال إسلَامه»(١).

بل مع اتِّصَافهم بكلِّ خُلُقٍ نَبيل، ووصفٍ كريم كانوا يرَوْن أنفسَهُم- رضي الله عنهم ورحمهم- أنَّهم في هَذَا الباب مِن أهل التَّقصِير؛ **يَقُولُ الإمامُ عبدُ الله بن المُبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٨١ هـ):** «قال لي مَخْلَد بن الحُسين [البَصْري (ت ١٩١هـ)]: نحن إلى كثير مِن الأدب أَحْوَج مِنَّا إلى كثيرٍ مِن الحَديث»(٢).

فأين نحن- يا طلبةَ العِلم الكِرَام- مِن هَدْي هؤلاء الأعلام؟!

إننا- والله- لنَحْزَن أشدَّ الحُزن عندما نرَى أنَّ بعض مَن هو معدود مِن أهل الاستِقَامة- إلَّا مَن رحم الله- بعيد كلَّ البُعد عن التَّحلي بالأَخْلَاق الحَسَنة والصِّفات الكَرِيمة، بل يَزيد الحُزن، ويَعظُم الأَسَى إذا كان مِن هؤلاء مَن يُحسب على طلبة العلم!

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص١٧).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع» للخطيب البغدادي (١١).

أليس الواجبُ والأجدرُ- أَيُّها الأفاضلُ- أنْ يَكُون طلَّابُ العِلم مِن السَّابقين الأوَّلين لكل أنواع الخيرات؟!

يَقُولُ الإمامُ الحَسَنُ البَصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الَّذِي يَفُوق النَّاس في العِلم جدِيرٌ أنْ يَفُوقَهُم في العَمَل»[١].

يَقُولُ الخَطِيبُ البَغْدَادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ أن يَكُون طَلَبة الحديث أكمل النَّاس أَدَبًا، وأَشَدَّ الخَلْق تواضعًا، وأعظمهم نزاهةً وتديُّنًا، وأقلهم طَيْشًا وغضبًا؛ لِدَوام قَرْع أسماعهم بالأخبار المُشتملة على محاسن أخلاقِ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وآدابه وسيرة السَّلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المُحَدِّثين، ومآثر الماضين؛ فيَأخذوا بأجملِها وأَحْسَنِها، ويَصْدِفوا عن أَرْذَلِها وأَدْوَنِها»[٢].

فاللهَ اللهَ يا طالبَ العلم؛ احْرِصْ- وفَّقك العزيز العظيم- على الاتِّصَاف بالآدابِ الرَّفيعة، والصفات الكَرِيمة، وعامِل النَّاس كمَا أَمَرَك بذَلِكَ دينُك القَويم، كُلٌّ على حَسب مكانته ومنزلته.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا الأدَبُ مع الخَلْق: فهُوَ مُعاملتُهم- على اختِلَاف مَرَاتبهم- بما يَلِيق بهم، فلكلِّ مَرتبةٍ أدَب، والمَرَاتبُ فيها أدبٌ خاصٌّ، فَمَعَ الوَالِدين: أدبٌ خاصٌّ، وللأبِ

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠).
(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٧٨).

منهما: أدبٌ هو أخصُّ به، ومع العَالم: أدبٌ آخر، ومع السُّلطان: أدبٌ يَليق به، وله مع الأَقْرَان أدبٌ يليق بهم، ومع الأجَانب: أدبٌ غير أدبِه مع أصحابه وذوي أُنْسِه، ومع الضَّيف: أدبٌ غير أَدَبِه مع أهلِ بَيته»[(١)].

واحْذَرْ- وَفَّقك الرَّحمن- أشدَّ الحَذَر مِن معاملتهم بالأخْلَاق السَّيئة والصِّفات القَبيحَة؛ فتُنَفِّر النَّاسَ عن دين الإسْلَام، وتَذَكَّر دائمًا ما قاله العَزيزُ العَلَّام للمَعصوم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: برحمة الله لك ولأصحابك، مَنَّ اللهُ عَليك أنْ أَلَنْتَ لهم جَانِبَك، وخَفَضْتَ لهم جَناحك، وترَقَّقت عليهم، وحسَّنت لهم خُلُقَك؛ فاجْتَمعُوا عليكَ وأحَبُّوك، وامتثَلُوا أمْرَك.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: سَيِّئ الخُلُق، ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي: قاسِيه، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾؛ لأنَّ هَذَا يُنفِّرهُم، ويُبغِّضُهم لِمَنْ قام به هَذَا الخُلُق السَّيِّئ.

فالأخْلَاقُ الحَسَنةُ مِن الرَّئيس في الدِّين تَجذبُ النَّاسَ إلى دين

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٠).

اللهِ، وتُرَغِّبهم فيه، مَع ما لصَاحبه من المَدْحِ والثَّواب الخاص.

والأَخْلَاق السَّيئة مِن الرَّئيس في الدِّين تُنَفِّر النَّاس عن الدِّين، وتُبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذَّمِّ والعِقَاب الخَاصِّ.

فهَذَا الرسولُ المَعصومُ يَقُولُ اللهُ له ما يَقُولُ؛ فكيف بغيرِه؟!

أليس مِن أَوْجَب الواجبات، وأهمِّ المُهمَّات: الاقتِدَاء بأخلَاقه الكَرِيمة، ومعاملة النَّاس بما يُعاملهم به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن اللِّين وحُسْن الخُلُق والتَّأليف؟! امتثالًا لأمر الله، وجَذْبًا لعباد الله لدين الله»(١).

واعلَمْ أنَّ العِلمَ الشَّرعيَّ إنْ لم يُزيَّن بالأَدَب وحُسْن الخُلق كان وبالًا وذمًّا لصاحبه.

يَقولُ الإمامُ عبدُ الله بن المُبَارك رَحِمَهُ اللهُ: «لا يَنبُل الرَّجُل بنوعٍ مِن العِلم ما لم يُزيِّن عِلْمَه بالأدبِ»(٢).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقَنا- وإيَّاكُمْ- لكلِّ ما يُقرِّبُنا إليه، ومِن ذَلِكَ التَّحَلِّي بالأَخْلَاقِ الفاضلة والصفات الكَرِيمة.

وأن يُجنِّبَنا كلَّ ما يُبْعِدُنا عنه سبحانه، ومن ذَلِكَ الاتِّصاف

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٥٤).

(٢) «الآداب الشرعيَّة» لابن مُفلح (٣/ ٥٢٣).

بكلِّ ما هو مذمومٌ ومُشينٌ، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَمُ الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

نُوَّابُ إبليسَ في الأرض!

نوَّاب إبليس في الأرض!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعْدُ:

فإنَّ العَزيزَ العَظِيمَ أخبَرنا في كِتَابه الكريم أنَّ الشَّيطَان الرجيم سَيَسْعَى بكلِّ الوسائل وشَتَّى الطُّرُق لإبعاد النَّاس عن الطَّريق المُستقيم، بل أَقْسَم إبليسُ اللَّعِينُ على أن يجتهد في إغواء النَّاس أَجْمَعِين إلا مَن لم يتمكن منه مِن عباد أرْحَمِ الرَّاحِمين المُخلَصين، حيث قال كما أخبرنا عنه أرْحَمُ الرَّاحِمين: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

يَقُولُ الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَأَقْسَم- أي: الشَّيطَانُ- بعزَّة الله أنه يُضِلُّ بنِي آدم بتزْيين الشَّهوات لهم، وإدخَال الشُّبَه عليهم؛ حتى يَصِيرُوا غاوين جميعًا، ثُمَّ لمَّا عَلِم أنَّ كيدَه لا يَنْجع إلَّا في أتْبَاعه، وأحزابه من أهل الكُفر والمعاصي استَثْنَى مَن لا يَقدر على إضلاله، ولا يجِد السَّبيلَ إلى إغوائه؛ فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: الَّذِين أَخْلَصْتَهم لطاعتك، وعَصِمْتَهم من

الشَّيطَان الرَّجِيم»(١).

وقد انتهجَ عَدُوُّ العَزِيزِ العَلَّام في محاولة صَرْفِ بعض أهل الإِسْلَام عمَّا جاء به خيرُ الأنَام علَيهِ أفضَلُ الصَّلاة والسَّلام- أَيُّها الكِرَامُ- أسَاليبَ مُتنوِّعَةً، وطرُقًا ماكِرَةً؛ فجاء لطائفَةٍ مِن المُسْلِمِينَ فزيَّن لهم الغُلو والتَّشدُّد في الدِّين، وجاء لجماعة أُخرى فَزَيَّن لهم التَّقصِير والتَّفريط في العَمَل بما أمرهُم ربُّ العالمين، فاللَّعين لا يُبالي بمن يَظفر من الصِّنفين؛ لأنَّ همَّهُ الوَحِيد هو إفساد الدِّين، وانْحِرَاف المُسْلِمِينَ عن الطَّريق المُستقِيم والحقِّ القَويم.

يَقُولُ الإمامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال بعضُ السَّلف**: ما أَمَرَ اللَّهُ تعالَى بِأَمْرٍ إلَّا وللشَّيطان فيه نَزْغتان: إمَّا إلى تَفْرِيطٍ وتَقصِير، وإمَّا إلى مُجاوزةٍ وغُلو، ولا يُبالي بأيِّهما ظَفرَ»(٢).

ولكي ينْجَح في هَذَا المُخطَّط الخبيث، والعمَل المشِين جَنَّدَ أعوانًا له من الآدمِيِّين؛ لأنَّه يعلم أنَّ هؤلاء تأثِيرُهم أشَدُّ وأخطَرُ علَى عامَّة المُسْلِمِينَ؛ فَتنَوَّعت أعمالُ هؤلاء الأعوَان بيْنَ الإضْلَال في الدِّين، وتزْيِين معْصِيَةِ ربِّ العَالمين.

فَمِنْ جنُودِه ونُوَّابه مَن أعانُوه علَى مُحاربَة التَّوحيد وأهله، والدَّعوة إليه، واجتَهدوا معه في نَشْرِ الشِّرك، والخُرَافَات، والتَّنديد، وتَنكِيس

(١) «فتح القدير» (٤/ ٤٤٦).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

الفِطْرة الَّتي خلَق العَزيزُ الحَميدُ عليها العَبيدَ؛ فَعن عِيَاضِ بن حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّياطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيهم ما أَحْلَلْتُ لهم، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي ما لم أُنْزِل بِهِ سُلطَانًا**»[١].

يَقُولُ القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ**»، يعني: الشَّياطِين، أي: استخَفَّتهم؛ فَذَهَبت بهم، وساقَتْهُم إلى ما أرَادُوه منهم»[٢].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ عِبَادَهُ حُنفَاءَ مَفطُورين علَى قَبُول الحَقِّ وإيثاره؛ فَجاءتهم الشَّياطِينُ فَاجْتَالتهُم عَن هَذَا الخُلُقِ الجَميل، وزَيَّنت لهم الشَّرَّ، والشِّرك، والكُفر، والفُسوق، والعِصْيَان، فإنَّ كلَّ مَولود يُولَد على الفِطْرَة، ولكن أبَواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرَانه، أو يُمَجِّسانه، ونحو ذَلِكَ مما يُغيِّرون به ما فَطَر اللهُ عليه العِبَاد مِن توحيده، وحبِّه ومَعْرِفَته، فافتَرستْهُم الشَّياطِينُ في هَذَا المَوْضِع افتِرَاس السَّبُع والذِّئاب للغنَم المُنفردة، ولوْلَا لطفُ الله وكرَمُه بعبادِهِ المُخلِصين لجرَى عليهم ما جرَى على هؤلاء المَفتونين، وهَذَا الَّذي جرى عليهم مِن تَوَلِّيهم عن

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ١٦٥).

ربِّهم وفاطِرهم، وتوَلِّيهم لِعَدوهم المُريد لهم الشَّرَّ مِن كل وجه، فَخَسِرُوا الدُّنيا والآخِرَة، ورجعوا بالخَيْبَة والصَّفقة الخَاسرة»(١).

ومِن أوليائه مَن تَكَفَّل بمهمَّةٍ أُخرى، أَلَا وهِيَ: دعوة النَّاس إلى البِدَع والمُحدَثات، وإبعادهم عن سُنَّة وهَدْي خيرِ البَرِيَّات، وهؤلاء المُضلِّين هم مِن أحبِّ الجُنود إلى إبليس اللَّعين مِن أهل المعاصي المُفسِدين؛ لأنَّ البدعةَ في الدِّين أحبُّ إليه من معصِيَة ربِّ العالمين، **يَقُولُ الإمامُ سُفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** «البدعةُ أَحَبُّ إلى الشَّيطَانِ مِن المَعصية؛ المعصيةُ يُتابُ مِنها، والبدعةُ لا يُتاب منها»(٢).

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى قولهم: «أنَّ البِدعةَ لا يُتاب منها»: أنَّ المُبتدع الَّذِي يَتَّخذ دِينًا لم يَشْرَعْهُ اللهُ ولا رَسُوله، قد زُيِّن له سوءُ عمَلِهِ فرآه حَسَنًا، فهو لا يَتُوب ما دام يَراه حسَنًا؛ لأنَّ أوَّلَ التَّوبة العِلم بأنَّ فِعْلَهُ سَيِّءٌ لِيتوب منه، أو بأنَّه ترَك حسَنًا مأمورًا به أمْرَ إيجابٍ أو استِحْبَاب؛ ليَتُوب ويفْعَله، فما دام يرَى فعله حَسَنًا، وهو سيِّءٌ في نَفْس الأَمْر فإنَّه لا يَتوب، ولكن التَّوبة منه ممكِنَةٌ وواقعةٌ بأنْ يَهْدِيَهُ اللهُ ويُرشده حتَّى يَتبيَّن له الحَقُّ كما هَدَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَن هَدَى مِن الكُفَّار والمُنافقين، وطوائف من أهل البِدع والضَّلال، وهَذَا يَكُون بأنْ يَتَّبع مِن الحقِّ ما عَلِمهُ،

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٠٤).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٣٢).

فمَن عمِلَ بما عَلِم أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْم ما لم يَعْلَم»[١].

ومِن جُنودِه أيضًا: مَن اجتهَد في تَشْويه صُورة العلماء الرَّبانيِّين، والطَّعن فيهم، وذَلِكَ برمي هؤلَاء الأجلَّاء الأتقِيَاء، الَّذِين هم ورثة الأنبياء بمَا ليس فيهم مِن عُيوب ونقائص.

ومِن ذَلِكَ قولهم وادِّعَاؤهم: أنَّ هؤلاء العُلماء لا يَفقهون واقِعَ الأُمَّة اليوم، وما يَدور في الخفاء!

وهَذَا كُلُّه مِن أجْل صَرْفِ عَوام المُسْلِمِينَ عن علمائهم الرَّبَّانِيين؛ يَقُولُ الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لئن كان في الخروج على الحكَّام مِن الشَّر ما بَرْهَن عليه تَوَاطؤ النُّصوص الشَّرعية مع الأخبار الواقعيَّة، كما ظَهَر مِن صَنيع حُدَثاء الأَسْنان في كلِّ الأزمان، فَشَرٌّ منه الخُروج على العلماء بإهدارِ حَقِّهم، وعدم اعتِمَاد فتاواهم إلَّا ما وافقَ أهواء الحركِيِّين، واستِصْغَار شأنهم في السِّياسة، ورَمْيِهم بعُلماء بيت الوضوء، وما أَشْبهها من الألقَاب التي يَنْبِز بها المبتدعةُ صاغرًا عن صَاغِرٍ العلماءَ السَّلفيين كابرًا بعد كَابِر، وفي هَذَا إهدَار للشَّريعة بتجريح حمَلَتِهَا وشُهُودِها، واللهُ المَوْعِدُ»[٢].

وكذَلِكَ مِن أعوَان ونُوَّاب الشَّيطَان- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- مَن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩).

(٢) «مدارك النظر» للشيخ عبد المالك الرَّمضاني (ص٢٣٢).

يُزَهِّد ويُثَبِّط المُسْلِمِينَ عن حُضُور مَجَالس العُلماء الربَّانِيين وطُلَّاب العِلم المُجتهدين مِن أجْل صَدِّهم عن التَّفَقّه في الدِّين.

يَقولُ الإمامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نوَّابُ إبليس في الأرض، وهُم الَّذِي يُثَبِّطون النَّاس عن طَلَب العِلم والتَّفقه في الدِّين، فهؤلاء أضَرُّ عليهم مِن شَياطين الجِنِّ، فإنَّهم يَحُولون بين القلوب وبيْنَ هُدَى الله وطريقه»(١).

وأيضًا مِن أوليائه المُقرَّبين: جماعةٌ مِن الأشْرَار الحاقدِين المُفرِّقين الَّذِين يُعينُونَهُ على إفسادِ ذات البَين؛ فَعن جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ؛ فَأَدْنَاهُمْ منه مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فيَقُولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا! قال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: ما تَرَكْتُهُ حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قال: فَيُدْنِيهِ منه، وَيَقُولُ: نِعْمَ أنتَ! فَيَلْتَزِمُهُ**»(٢).

يقول الإمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**فَيُدْنِيهِ منه، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**) هو بِكَسر النُّون وإسكان العين، وهى (نِعْمَ) المَوضوعة للمَدْح، فيَمدحه لإعجابه بصُنعه، وبلوغه الغاية التي أرَادهَا.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٣).

قوله: «**فَيَلْتَزِمُهُ**»، أي: يَضُمُّه إلى نَفْسِه، ويُعانِقُه»[(١)].

ويقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**فَأَدْنَاهُمْ**»، أي: أَقْرَبهم، «**مِنْهُ**»، أي: مِن إبليس، «**مَنْزِلَةً**»: مَرتبة، «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»، أي: أكبرُهم إِضْلَالًا، أو أَشَدُّهم ابتلاء، «**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ**»: جُملة مُبَيِّنة لقوله: «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»؛ «**فيَقُولُ**»، أي: أحدُهم، «**فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا**»، أي: أَمَرْتُ بالسَّرقة وشُرب الخَمْر مَثَلًا؛ «**فيَقُولُ**»، أي: إبليس، «**مَا صَنَعْتَ شيئًا**»، أي: أمرًا كبيرًا، أو شيئًا مُعْتَدًّا به، «**قَالَ**»، أي: النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: ما تَرَكْتُهُ**»، أي: فُلانًا، «**حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ**»، هَذَا وإن كان بحسب الظَّاهر أمرًا مُبَاحًا، وظاهرُه خيرٌ، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]، ولكنَّه مِن حيث إنَّه قد يَجُرُّ إلى المَفاسد يَصير مَذمومًا، ويَحُثُّ عليه الشَّياطِينُ، ويَفرح به كبيرُهم»[(٢)].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهَذَا الوِصال -أي: بين الزَّوجين- لما كان أحبَّ شيء إلى الله ورسوله كان أبغضَ شيء إلى عَدُوِّ الله، فهو يَسْعى في التَّفريق بين المُتَحابّين في الله المَحبة التي يُحبُّها الله، ويُؤلِّف بين الاثنين في المحبَّة التي يُبغضها الله ويَسخطها،

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٧/ ١٥٧).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٣٢).

وأكثر العُشَّاق مِن جُنده وعَسكره، ويرتقي بهم الحال حتى يَصير هو مِن جُندهم وعَسكرهم؛ يَقودُ لهم ويُزَيِّن لهم الفواحشَ، ويُؤلف بينهم عليها»(١).

ومِن جُنُود إبْلِيس في الأرض اليوم أيضًا: مَن يُصوِّر المرأة المُسلمة بمفاتنها، ويجعل منها المُمثلة، والمُغنية، والراقصة، ويُثني على تَبَرُّجِها، ويُزَيِّن لها الاختلاطَ بالأجانب؛ مع ما فيه مِن ضَرَرٍ كبير، وشَرٍّ مُستطير.

يَقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختِلَاطُ أحد الصِّنفين بالآخَر سبَبُ الفتنة؛ فالرِّجَالُ إذا اختلَطُوا بالنِّساء كان بمنزلة اختِلَاط النَّار والحَطَب»(٢).

ومِن نُوَّابه كذَلِكَ- أيُّها الإِخْوَةُ والأَخَوَاتُ- مَن أنْشَأوا جمعيَّات، وأسَّسوا مُنظَّمات، ورَفَعُوا شَعارات، وعَقدوا مُؤتمرات تُنادي بالمسَاواة بين الرِّجال والنِّسَاء في جميع الحُقوق والواجبات حتَّى في القَوَامة، مع أنَّ ربَّ الأرض والسَّموات يَقولُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

---

(١) «روضة المُحِبِّين» (ص٢١٨).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٣٦١).

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر -تعالى- أنَّ الرِّجَال ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: قوَّامون عليهن بإلزَامهِنَّ بحقوق الله تعالى؛ مِن المُحافظة على فرائضه، وكَفِّهن عن المَفَاسد، والرِّجَال عليهم أن يُلزموهن بذَلِكَ، وقَوَّامون عليهن- أيضًا- بالإنفاق عليهن، والكسوة والمَسْكَن، ثم ذكر السَّبب المُوجب لقيام الرِّجال على النِّساء، فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، أي: بسببِ فَضْلِ الرِّجال على النِّساء، وإِفْضَالهم عليهن.

فتَفْضِيلُ الرِّجال على النِّساء مِن وجوهٍ مُتَعَدِّدة: مِن كون الوَلَايات مُختصَّة بالرِّجال، والنُّبوة، والرِّسالة، واختِصَاصهم بكثير مِن العبادات كالجهاد، والأعياد، والجُمَع.

وبما خَصَّهم اللهُ به مِن العَقْل، والرَّزانة، والصَّبر، والجَلَد الَّذِي ليس للنِّساء مِثْله.

وكذَلِكَ خصَّهم بالنَّفَقات على الزَّوجات، بل وكثير مِن النفقات يختصُّ بها الرِّجال، ويَتميَّزون عن النِّساء، ولَعَلَّ هَذَا سِرُّ قوله: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾، وحَذَفَ المَفعول؛ لِيَدُلَّ على عُموم النفقة؛ فعُلِمَ مِن هَذَا كله أنَّ الرَّجُل كالوالي والسَّيِّد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة؛ فوظيفته أن يَقوم بما استرعاه اللهُ به. ووظيفتها: القيام

بطاعة ربِّها، وطاعة زوجها»(١).

ولم يَكتَفُوا بهَذَا الشَّرِّ والمَكْر، بل زادوا عليه بأنْ انتَقصوا مِن مكانة المُسلمة العفِيفَة المُتحجِّبة المُمتثلة لأمر ربها العزيز المُقتدر، الَّذِي قال لها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأحزاب:٣٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: اقررن فيها؛ لأنَّه أَسْلَم وأحفظ لَكُنَّ، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾، أي: لا تُكْثِرنَ الخروجَ مُتجمِّلَات أو مُتطيِّبات، كعادة أهل الجاهليَّة الأُولى، الَّذِين لا عِلْم عندهم ولا دِين، فكلُّ هَذَا دفْعٌ للشَّرِّ وأسْبَابه.

ولما أمَرهُن بالتقوى عُمومًا، وبجزئيات مِن التَّقوى- نَصَّ عليها- لحاجة النِّساء إليها، كذَلِكَ أمرَهُنَّ بالطاعة، خصوصًا الصَّلاة والزكاة اللَّتان يحتاجهما ويَضطر إليهما كُلُّ أحدٍ، وهما أكبرُ العِبَادات، وأجَلُّ الطاعات، وفي الصَّلاة الإخلَاص للمَعبود، وفي الزَّكاة الإِحسَان إلى العَبيد»(٢).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٧٧).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٢٢).

وكذَلِكَ مِن جُندِ الشَّيطَان مِن الأنام- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- مَن يَستغلُّون وسائل الإعلَام؛ لإبعاد أبناء أُمَّة رسول العَزِيز العَلَّام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن تعاليم الإسْلَام، وذَلِكَ بتزيين المعاصي والآثام؛ مِن شُرب المُسكرات، وتَعاطي المُخَدِّرات، وغير ذَلِكَ من المُنكَرَات والمُلهيات؛ كالغناء الَّذِي هو مِن أخطر الأدواء، ومن أسباب البلاء حيث أشغل الكثير عن قِراءة كلام العزيز القَدير، ودَعاهم لكل رذيلة، وجَنَّبهم كلَّ فَضيلة.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغِناءُ قرآنُ الشَّيطان، فلا يجتمع هو وقرآن الرَّحمن في قلب أبدًا.

وأيضًا: فإنَّ أساسَ النِّفاق: أن يُخالف الظَّاهرُ الباطنَ، وصاحب الغناء بين أمرين، إمَّا أن يَتهَتَّك فيَكُون فاجرًا، أو يُظهر النُّسُك فيَكُون منافقًا، فإنَّه يُظهر الرَّغبة في الله والدَّار الآخِرَة وقلبه يَغلي بالشَّهوات، ومحبَّة ما يكرهه الله ورسوله مِن: أصْوَات المعازف، وآلات اللهو، وما يَدعو إليه الغناءُ ويُهَيِّجه، فقلبه بذَلِكَ معمورٌ، وهو مِن محبةِ ما يُحِبُّه اللهُ ورسولُه وكراهةُ ما يَكرهه قَفْرٌ خالٍ، وهَذَا محضُ النِّفاق»[(١)].

ومِن نُوَّاب إبليس- أيضًا- وإخوانِه مَن يدعو النَّاس إلى الإسْرَاف والتَّبذير، مع ما في هَذَا الفِعْل مِن زَجْرٍ وتحذِير؛ يَقُولُ

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٠).

العزيز القدير: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنَّ الشَّيطَان لا يدعو إلَّا إلى كل خَصلةٍ ذميمة؛ فيدعو الإنسَانَ إلى البُخل والإمسَاك، فإذا عصَاهُ دعاه إلى الإسرَاف والتَّبذير، والله تعالى إنَّما يأمر بأعْدَل الأمور وأقسَطها، ويمدح عليه، كما في قوله عن عِبَاد الرَّحمن الأبرار»[(١)].

فهؤلاء- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- هم مِن نُواب الشَّيطَان؛ فيَنبغي الحذَر مِن الوقوع في شِراكهم، أو التأثُّر بهم، وعلينا أن نُبيِّن للمسلمين خَطَرَهُم وضررهم، وأنهم لهَذِهِ الأمَّة داءٌ، وعلى الكثير من أبنائها وبَاءٌ.

ولنحذر أشدَّ الحذر مِن خُطواتهم، فإنَّها مِن خُطُوَات كبيرهم اللَّعين التي حذَّرنا منها أرْحَمُ الرَّاحِمين، حيث قال ربُّ العالمين: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن مكايده: أنه يَسْحَرُ العَقل دائمًا حتى يَكيده، ولا يَسْلَم مِن سِحْره إلَّا مَن شاء الله؛ فيُزيِّن له الفِعْلَ الَّذِي يضرُّه حتى يُخَيِّل إليه أنَّه مِن أنفع الأشياء، ويُنَفِّر مِن الفِعْل الَّذِي هو أنفع الأشياء له حتى يُخَيِّل له أنَّه يَضره.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٥٦).

فلا إله إلا الله؛ كَم فُتِن بهَذَا السِّحْر مِن إنسانٍ!

وكم حالَ به بين القلب وبين الإسْلَام والإيمَان والإحسَان!

وكم جَلَا الباطلَ وأبرزَهُ في صُورة مُسْتحسَنة، وشنَّع الحَقَّ وأخرجه في صورةٍ مُستهجَنة!

وكم بَهْرَج من الزُّيوف على النَّاقدين!

وكَمْ رَوَّج مِن الزَّغَل على العارفين»(١).

ولنعلم أنَّنا إذا صَدَقنا النِّيَّةَ مع العزيز الوهَّاب، ثم بذلنا معه ما يُعيننا على جهادِ ودَفْعِ الشَّيطان وأعوانه وجُنده ونُوَّابه مِن أسباب؛ فسنوفَّق بإذن القدير التَّواب إلى كل خيرٍ وصوَاب؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عَلَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمَلُ النَّاس هدايةً أعظمهم جهادًا، وأفرضُ الجهاد جهادُ النَّفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشَّيطان، وجهاد الدُّنيا؛ فمَنْ جاهدَ هَذِهِ الأربعَة في الله هَدَاه اللهُ سُبُل رضاه المُوصلَة إلى جنَّته، ومَن ترك الجهاد فَاتَه مِن الهُدى بحسب ما عَطَّل من الجهاد»(٢).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُعيذنا- وإيَّاكُمْ-

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٠).

(٢) «الفوائد» (ص٥٩).

مِن إبليس وذُرِّيته وجُنوده وأعوانه ونُوَّابه.

وأن يَحفظ المُسْلِمِينَ في كلِّ الأقطار والأمصار مِن شَرِّ الأشرار، وكيدِ الفُجَّار، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيزُ الجَبَّارُ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

وقفاتٌ مع سُورة التَّكاثر

وقفات مع سورة التكاثر

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّ كلَّ نفس مخلوقة- أيُّها الأحباب- لا بُدَّ لها أنْ تَذُوق طَعْمَ المَوت، وأَلَم مُفارقة الأهل والأصحاب مَهْمَا طال بها الأمَدُ، وبَذَل صاحبُها من أسبابٍ؛ يَقُولُ العزيزُ الوَهَّابُ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

قال الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كلُّ نَفْسٍ من النُّفوس واجدةٌ مَرَارةَ المَوت لا محالة، فلا يَصعب عليكم ترك الأوطَان، ومفارقة الإخْوَان والخِلَّان، ثم إلى الله المَرجع بالموت والبَعْث لا إلى غيره؛ فكل حيٍّ في سَفرٍ إلى دار القَرَار، وإن طال لُبْثُه في هَذِهِ الدَّار»(١).

فالموتُ سيلحق- بإذن الله جَلَّجَلَالُهُ- كلَّ مخلوق مهما طال عمُره،

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٢١٠).

وامتدَّ أجلُه، وارتفعَتْ مكانتُه، وعلَتْ منزلتُه، ولو جعَل اللهُ سبحانه البقَاءَ لأحدٍ مِن عباده لكان لِخَيرِ خَلْقِه، وأفضل رُسُلِه، الَّذِي خاطبه بقوله جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

يقول الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى هَذِهِ الآية: أنَّكُم ستَنقلُون من هَذِهِ الدَّار لا محالة، وستَجْتمِعُون عند الله تعالى في الدَّار الآخِرَة»[١].

فإذا كان العبدُ يَعلم أنَّهُ ولابُدَّ سيَرحلُ عن الدُّنيا التي هي دارُ عُبُور؛ أوَلَيْسَ الأجدرُ به أن يَسْتعِدَّ لِسَكرات الموت، وسُكنى القُبور، والبَعث يوم النُّشور؟!

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجِبُ على مَن لا يدري متَى يَبغته الموتُ أنْ يَكُون مستعِدًّا، ولا يَغتَرر بالشَّباب والصِّحة، فإنَّ أقلَّ مَن يموت الأشيَاخ، وأكثر مَن يموت الشُّبان»[٢].

فَفِعْلًا حريٌّ بكلِّ عاقلٍ- أيُّها الإخوةُ والأخوات- أن يَستعد ليوم العَرْض؛ فيُبادر بالتَّوبة عن تَقصيره في الواجبَات، وفِعْلِه للمُحرَّمات، ويَغتَنِم ما بقِيَ مِن عمُرِه فيما يُرضِي ربَّ البريات.

يَقُولُ الإمَامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقٌّ على كلِّ مَن يَعلم أنَّ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٣).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٦٣).

الموتَ مَوْرِدُه، وأنَّ الساعةَ مَوعِدُه، وأنَّ القيامَ بين يَدي ربِّ العالمين مَشهده: أنْ يَطُول حُزْنُه»(١).

قبل أنْ يندَم على ما ارتَكب مِن المُنكرَات، ويتحسَّر على ما ضيَّع مِن الطَّاعات، فلا ينفعه حِينها أن يَقُولُ كما أخبَرنا عنه ربُّ الأرْض وَالسَّموات: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبِر تعالى عن حال مَن حَضَرَه الموتُ مِن المُفرِّطين الظَّالمين: أنه يَندمُ في تلك الحال، إذا رأى مآلَه، وشَاهَدَ قُبْحَ أعماله، فيَطلب الرَّجعة إلى الدُّنيا لا للتَّمتع بلذَّاتها، واقتِطَاف شهَواتها، وإنَّما ذَلِكَ ليَقُولُ: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ مِن العمَل، وفَرَّطتُ في جَنْبِ الله»(٢).

أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام:

إنَّنا نعِيشُ اليَوْمَ في زمنٍ طَغَى على كثيرٍ مِن المُسْلِمِينَ- إلَّا مَن رحمه ربّ العالمين- الحِرصُ على الدُّنيا الفانية، والسَّعيُ وراء الشَّهوات الزائلة؛ لأنَّ قلوبهم قد أفسدَها داءٌ عُضال، ومرض قتَّال ألَا وهو طول الأمَل.

---

(١) «الكُنى والأسماء» للدُّولابي (٣/ ١٠٠٥).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٥٩).

يَقُولُ عنه الإمامُ القُرْطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «داءٌ عُضالٌ، ومرض مُزمِن، ومتى تمكَّن مِن القلب فَسَدَ مِزَاجُه، واشتدَّ عِلَاجُه، ولم يُفارقه داءٌ، ولا نَجَح فيه دواءٌ، بل أعْيَا الأطباءَ، ويَئِسَ مِن بُرْئه الحكمَاءُ والعُلماءُ»(١).

فضيَّعُوا بسبب ذَلِكَ الغايَة الحميدة التي مِن أجْلِهَا خَلَقَهم ربُّ البرِيَّة، أَلَا وهي تحقيق العُبُودية له؛ يَقُولُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

يقولُ الإِمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا تصْرِيحٌ بأنهم خُلِقُوا للعبادة، فحقَّ عليهم الاعتِنَاءُ بما خُلِقوا له، والإِعْرَاض عن حظُوظ الدُّنيا بالزَّهادة، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لَا مَحَلُّ إِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبورٍ لا مَنْزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفِصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ، فلهَذَا كان الأيقاظُ مِن أهلِها هُم العُبَّاد، وأَعْقَل النَّاس فيها هم الزُّهَّاد»(٢).

لقد أحببتُ أنْ أقِفَ مَعَكُم- أَيُّها الأفاضلُ- في هَذَا المَقال المُختصَر على معاني سُورة كريمة، حذَّرتْنَا مِن الحرص على التَّكاثر في الأمور الدُّنيويَّة التي تَشْغل العبدَ عن طاعة ربِّ البرِيَّة، وتَجُرُّه إلى أعمالٍ غَير مَرضِيَّة.

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣).

(٢) «رياض الصالحين» (ص٣).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ كل ما يُكاثر به العَبدُ غيره سِوى طاعة الله ورسوله، وما يعود عليه بنفع مَعاده، فهو داخلٌ في هَذَا التكاثر.

فالتَّكاثر في كلِّ شيء مِن مال، أو جاه، أو ريَاسة، أو نِسْوةٍ، أو حديث، أو عِلم، ولا سِيَّما إذا لم يَحتج إليه.

والتَّكاثرُ في الكُتُب والتَّصانيفِ، وكثرةِ المَسائل وتَفْريعها وتوليدِها.

والتَّكاثر: أن يَطلب الرَّجُل أنْ يَكُون أكثرَ مِن غيره، وهَذَا مذمومٌ إلَّا فيما يُقرِّب إلى الله؛ فالتكاثرُ فيه مُنافسَةٌ في الخَيرات ومُسابقَة إليها»[١].

سورةٌ- أيُّها الكِرَامُ- قَرَأها نبيُّنا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محذِّرًا بعدها العبدَ مِن الاغترَار بماله، ومِن نِسيان فَضْلِ خالقِه ورَازقِه عليه؛ فعن عبد الله بن الشِّخِّير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو يَقْرَأُ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: «**يَقُولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي! قال: وَهَل لك يابْنَ آدَمَ من مَالِكَ إلا ما أَكَلتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**»[٢].

---

(١) «الفوائد» (ص ٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨).

يَقُولُ المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو يقرأُ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، أي: أَشْغَلَكم طَلَبُ كَثْرة المال، «**قال: يَقُولُ ابنُ آدَمَ**»، أي: لكونه ظَلُومًا جَهُولًا في حَمْل الأمانة المانعة عن الخيانة. «**مَالِي، مَالِي**»، أي: يَغتر بِنِسبة المال تارة، ويَفتخر به أُخرى. «**قال**» أُعيد للتأكيد، ودَفْعًا لِتَوهم أن يَكُون من قول الرَّاوي. «**وهَل لَكَ**»، أي: وهل يَحصل لك من المال، ويَنفعك في المآل. «**يابن آدَمَ من مَالِكَ إلا ما أَكَلتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**»، أي: فَأَمْضَيْتَه من الإفناء والإبلاء، وأَبْقَيته لنفسِك يوم الجَزَاء»(١).

سورةٌ- أيُّها الإِخْوَةُ والأَخَوَاتُ- مع قِصَرها وقِلَّة كلماتها إلَّا أنها تضَمَّنَتْ مَعاني جليلة، ونصَائح عظيمة، ووَعْظٍ وتذكِير، وزجرٍ وتحذِير، يَستفيد منها بإذن العزيز المُقتدر مَنْ وَقَفَ عند ألفاظِها بتمَعُّنٍ وتدبُّر، ألا وهي سورة (التكاثر).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: أخلصَت هَذِهِ السُّورة للوَعْد والوَعِيد، والتَّهديد، وكَفَى بها مَوْعظة لِمَن عَقَلَها!»(٢).

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٦٤).

(٢) «الفوائد» (ص٣٠).

لقد حرصتُ- أَيُّها الأفاضلُ الكِرَامُ- في هَذِهِ الأَسْطُر القليلة التي تَطَرَّقْتُ فيها إلى معاني آيات هَذِهِ السُّورة الكَرِيمة على نقل ما قال فيها الأئمَّةُ الأعلام؛ فلعلَّ العزيزَ المنَّانَ أن ينفعنا بما نقلناه، وأن يجعلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يَتَدَبَّر كلامَ الرَّحمن؛ لأن هَذِهِ الغاية الحميدة التي مِن أجلها أُنزل القرآن.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنْزَلَ اللهُ القُرآنَ لِيُتَدَبَّر، ويُتفكر فيه، ويُعمل به، لَا لِمُجَرَّد تلاوتِه مع الإعراضِ عنه»(١).

فأقول مُستعينًا بالعزيز الوَهَّاب، أيُّها الأحبابُ:

- سورة التكاثر: هي سورة مكِّيَة، عدد آياتها ثَمان(٢).

يَقُولُ الإمامُ السيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخرَج ابنُ مَرْدَوَيْه عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نَزَلَتْ بمكة سُورة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾»(٣).

قال اللهُ تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ أبلغ في الذَّمِّ مِن شَغَلَكم، فإنَّ العَامل قد يَسْتَعمل جوَارِحَهُ بما يعمل، وقلبُه غير لَاهٍ به، فاللّهو هو ذُهولٌ وإعْرَاضٌ، والتَّكاثر تفاعلٌ مِن

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٥).

(٣) «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٩).

الكثرة، أي: مُكاثرة بعضكم لبعض، وأَعْرَضَ عَن ذِكْرِ المُتَكَاثر به إرادَة لإطلاقه وعمُومِه»(١).

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَقُولُ تعالى مُوَبِّخًا عباده عن اشتِغَالهم عمَّا خُلقوا له مِن عبادته وحْدَهُ لا شرِيكَ له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتَقْدِيم محبَّته على كلِّ شيء: ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ عن ذَلِكَ المذكور ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ولم يذكر المُتَكاثَر به؛ لِيَشْمَلَ ذَلِكَ كل ما يَتَكاثر به المُتكَاثِرُون، ويَفْتَخِر به المفتَخِرُون؛ مِن التَّكاثر في الأَمْوَال، والأَوْلَاد، والأنصار، والجنود، والخَدَم، والجاه، وغير ذَلِكَ مما يُقصَد منه مُكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصودُ به الإخْلَاص لله تعالى»(٢).

- ثم قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ يعني: حتى صِرْتُم إلى المقابر فدُفِنْتُم فيها؛ وفي هَذَا دلِيلٌ على صحَّة القول بعَذاب القبر؛ لأنَّ الله- تعالى ذِكْرُه- أخبَرَ عن هؤلاء القوم الَّذِين ألْهَاهُم التَّكاثر: أنَّهم سيَعلمُون ما يَلقون إذا هم زَارُوا القبور

(١) «الفوائد» (ص٣٠).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٩٣٣).

وعيدًا منه لهم وتَهَدُّدًا»(١).

ويقولُ الإمامُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال العُلماءُ:** يَنبغي لمن أرادَ علاج قلبه، وانقياده بسَلاسل القَهْر إلى طاعة ربِّه أن يُكثر مِن ذِكر هَاذِمِ اللَّذات، ومُفَرِّق الجماعات، ومُوَتِّم البنين والبنات، ويُواظب على مُشاهدة المُحتضرين، وزيارة قبور أموَات المُسْلِمِينَ؛ فهَذِهِ ثلاثَةُ أمور يَنبغي لِمَن قَسَا قلبُه ولَزِمَه ذنبُه أنْ يستَعِينَ بها على دواء دائه، ويَستصرخ بها على فِتن الشَّيطَان وأعوَانه، فإنْ انتَفع بالإكْثار مِن ذِكر الموت، وانجلَتْ به قَساوةُ قلبه؛ فذاكَ.

وإنْ عَظُم عليه رَانُ قلبه، واستحكمت فيه دواعِي الذَّنب؛ فإنَّ مُشاهدة المُحتَضِرين، وزيارة قبُور أموات المُسْلِمِينَ تَبلغ في دفع ذَلِكَ مَا لا يَبلغه الأوَّل؛ لأنَّ ذِكْرَ المَوت إخبَارٌ للقَلب بما إليه المصِير، وقائم له مقام التَّخويف والتَّحذير، وفي مشاهدة مَن احتضر، وزيارة قَبر مَن مات مِن المُسْلِمِينَ مُعاينة ومشاهدة؛ فلذَلِكَ كان أبْلَغ مِن الأوَّل»(٢).

- ثم قال جَلَّوَعَلَا: ﴿**كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤**﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

---

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨٤).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٧١).

يقول الإمام الشَّوكَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣﴾: رَدْعٌ وزَجْرٌ لهم عن التَّكاثر، وتَنْبِيهٌ على أنَّهم سيَعلمُون عاقبة ذَلِكَ يوم القِيَامة، وفيه وعيدٌ شديدٌ.

قال الفَرَّاء: أي: ليس الأمر على ما أنتم عليه من التَّكاثر والتَّفاخُر.

ثُم كرَّر الرَّدع والزَّجر والوعيد، فقال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤﴾، و﴿ثُمَّ﴾ للدَّلالة على أنَّ الثَّاني أبلغ من الأوَّل.

وقيل: الأوَّل: عند الموت، أو في القبر. والثَّاني: يوم القيامة.

قال الفَرَّاء: هَذَا التِّكرار على وجه التَّغليظ والتَّأكيد.

قال مجاهدٌ: هو وعيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ. وكذا قال الحَسَنُ، ومجاهدٌ»[(١)].

- ثم قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥].

يقول الإمام ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ أي: لو علِمتُم حَقَّ العِلم، لَمَا أَلْهَاكم التكاثرُ عن طَلَب الدَّار الآخِرَة، حتى صِرْتُم إلى المَقابر»[(٢)].

يَقُولُ الطَّاهِرُ بنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أُعِيد الزَّجر ثَالِثَ مرَّةٍ زيادة

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٤٨٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٦).

في إبْطَال ما هم عليه مِن اللَّهو عن التَّدبر في أقوال القرآن، لعلَّهم يُقلِعُون عن انكِبَابهم على التَّكاثر مما هُم يتكَاثرون فيه، ولهوهم به عن النَّظر في دعوة الحق والتَّوحيد»(١).

ثُم قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧﴾ [التكاثر: ٦- ٧].

يَقولُ الإمامُ البغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ أي: ترونها بأبصاركم مِن بَعيد. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ مُشاهدةً ﴿عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾»(٢).

ويقول الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جوَاب قسَمٌ محذُوف، وفيه زيَادةُ وَعِيد وتَهْدِيد، أي: واللهِ لَتَرَونَّ الجَحيم في الآخِرَة»(٣).

- ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

يقولُ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ليَسْألَنَّكُم اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن النَّعيم الَّذِي كُنتم فيه في الدُّنيا: ماذا عَمِلتم فيه؟ مِن أين وصَلتم إليه؟ وفيم أَصَبْتُموه؟ وماذا عَمِلتُم به؟»(٤).

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).

(٢) «تفسير البغوي» (٤/ ٥٢١).

(٣) «فتح القدير» (٥/ ٤٨٩).

(٤) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨٥).

ويقولُ الإمَامُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ثم لَتُسألُنَّ يومئذٍ عن شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللهُ به عليكم، من الصِّحَّةِ والأمْنِ والرِّزق، وغير ذَلِكَ، ما إذا قابَلتُم به نِعَمهُ مِن شُكره وعِبَادته»(١).

ويقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الَّذِي تَنعَّمتُم به في دار الدُّنيا، هل قمْتُم بشُكْرِه، وأدَّيتُم حقَّ اللهِ فيه، ولم تسْتَعِينُوا به علَى معَاصِيه؟! فَيُنَعِّمكُم نعيمًا أعلَى منه وأفضَل، أَمْ اغترَرتُم به، ولم تقُوموا بشُكْرِهِ؟ بل ربَّما استَعنتُم به علَى معَاصي الله؛ فيُعاقبكم على ذَلِكَ»(٢).

وفي الختام: فاللهَ اللهَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإخوانُ- بالتَّدبر عند قراءة كلَام المنَّان، فإنَّ هَذَا مِن أعظم الأسباب الَّتي بعون العَزِيز الرَّحمن تُعِين على العمَل والانتفاع بمَا جاء في القرآن.

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذَا أردْتَ الانتِفَاع بالقرآن؛ فاجْمَع قَلبَكَ عند تِلاوته وسَماعه، وأَلْقِ سَمْعَكَ، واحضر حضور مَن يخاطبه به مَن تكَلَّم به- سبحانه- منه إليه، فإنَّه خِطابٌ منه لك على لسان رسوله»(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٦).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٩٣٤).

(٣) «الفوائد» (ص٣).

والبِدَارَ البدَارَ- أيُّها الإخوةُ والأَخَواتُ- قبْلَ أنْ لَا ينفع النَّدَم، ولا تُغني الحَسَرات إلى طاعَة العَزيز الرَّحمن، وذَلِكَ بفِعْل الوَاجبات، والتَّزوُّد مِن الخيْرَات، واجتِنَاب المعَاصِي، وتَرْك المُنكرَات.

ولْنَحْذَر أَشَدَّ الحذَر مِن أنْ نُعَلِّق قُلوبنا بدُنيا فانية، أو شهوة زائلة، ولنَربطها بما يُرضي عنَّا ربَّ البريَّة، وينْفَعنا في الحيَاة الأخروِيَّة.

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِفتاح الاستِعْدَاد للآخِرَة: قِصَرُ الأمَل، ومِفْتاح كل خَير: الرَّغبة في اللهِ والدَّار الآخِرَة، ومِفْتَاح كل شَرٍّ: حبُّ الدُّنيا، وطُول الأمَل»[(١)].

فاللّهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقنا جميعًا لكل ما يُحِبُّه ويَرضاه.

ومن ذَلِكَ أنْ يَجعل القُرآنَ الكَريم رَبيع قُلُوبنا، ونُور صدُورِنَا، وذَهاب هُمُومنا، وجِلَاء غمُومِنَا، وأنْ يُجَنِّبَنا ما يُبغضه ويَأْبَاه؛ فلَا يجعل الدُّنيا أكبَرَ همِّنا، ومَبْلغ عِلمِنا، فهو- سبحانه- خَالِقُنا ورازقنا ووليُّ نِعمتنا.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «حادي الأرواح» (ص٤٨).

التحذير من التَّحريش
بين المُسْلِمِينَ

التحذير من التحريش بين المسلمين!

الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الابتِعَادَ عن الوسَائل المُؤدِّية إلى قَطْع روابط المحبَّة، وأوَاصِر الإخَاء، والمُتسَبِّبة في نشْرِ العدَاوة والبغْضَاء بين المُسْلِمِينَ مِن أعظم مقاصد الدِّين.

يَقولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظِيفَة المسلم مع إخوَانه: أنْ يَكُون هَيِّنًا لَيِّنًا بالقول وبالفِعْل؛ لأنَّ هَذَا مما يُوجِب المودَّة والأُلفَة بين النَّاس، وهَذِهِ الأُلفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع، ولهَذَا نهَى النَّبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن كل ما يُوجب العَداوة والبَغْضَاء»(١).

وإنَّ مِن بين الأعمَال التي يجب علَى كل مسلِمٍ أنْ يَبْتَعِد عنها، وأن يحذر أشدَّ الحذَر من الوقوع فيها لما فيها مِن ضَرَر، ولعواقبها مِن

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٤٤).

خَطَرٍ ليس على الفرد فقط- أيُّها الإخوة والأخوات- بل حتَّى على المُجتَمعَات: (التَّحريش بين المُسْلِمينَ).

يَقُولُ الإمامُ البَغويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التَّحريش**: إيقَاع الخصومة والخشُونة بينهم»[(١)].

ويَقُولُ الإمامُ ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التَّحريش**: الإغْرَاء بيْنَ النَّاس بعْضُهم ببَعْض»[(٢)].

فهُوَ فِعْلٌ وَضِيع وعَمَلٌ شَنِيع يَحرِصُ أشدَّ الحرص علَى القِيَام به إبْلِيسُ اللَّعين في كل وقتٍ وحِين؛ فعن جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيطَان قد أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[(٣)].

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في إغْرَاء بعضهم على بعض، والتَّحريض بالشَّرِّ بين النَّاس مِن قَتْلٍ وخُصُومَة.

والمعنى: لكن الشَّيطَان غير آيِسٌ مِن إغراء المُؤمِنينَ، وحَمْلهم على الفتن، بل له مَطْمَعٌ في ذَلِكَ»[(٤)].

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٣/ ١٠٤).

(٢) «جامع الأصول» (٢/ ٧٥٤).

(٣) رواه مسلم (٢٨١٢).

(٤) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٣٤).

لِذَا؛ يُرسل أولياءه لتَحْقِيقه، ويُحرِّض جنوده على الإتْيَان به؛ فعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ؛ فَأَدْنَاهُمْ منه مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا. فيَقُولُ: ما صَنَعْتَ شيئًا! قال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيقُولُ: ما تَرَكْتُهُ حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قال: فَيُدْنِيهِ منه، وَيقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ! فَيَلْتَزِمُهُ**»(١).

يقول الإمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فَيُدْنِيهِ منه، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**» هو بِكَسر النُّون وإسكان العين، وهي (نِعْمَ) المَوضوعة للمَدْح، فيَمدحه لإعجابه بصُنعه، وبلوغه الغاية التي أَرَادهَا.

قوله: «**فَيَلْتَزِمُهُ**»، أي: يَضُمُّه إلى نَفْسِه، ويُعانِقُه»(٢).

ويَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فَأَدْنَاهُمْ**»، أي: أَقْرَبهم، «**مِنْهُ**»، أي: مِن إبليس، «**مَنْزِلَةً**»: مَرتبة، «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»، أي: أكبرُهم إِضْلَالًا، أو أَشَدُّهم ابتلاء، «**يَجِيءُ أَحَدُهُمْ**»: جُملة مُبَيِّنة لقوله: «**أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً**»؛ «**فيَقُولُ**»، أي: أحدُهم، «**فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا**»، أي: أَمَرْتُ بالسَّرقة وشُرب الخَمْر مَثَلًا؛ «**فيَقُولُ**»، أي: إبليس، «**مَا صَنَعْتَ شيئًا**»، أي: أمرًا كبيرًا، أو شيئًا مُعْتَدًّا به، «**قَالَ**»، أي: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فيَقُولُ: ما تَرَكْتُهُ**»، أي:

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٣).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٧/ ١٥٧).

فُلانًا، «**حتى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ**»، هَذَا وإن كان بحسب الظَّاهر أمرًا مُبَاحًا، وظاهرُه خيرٌ، ولذا قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ** ﴾ [النساء: ١٣٠]، ولكنَّه مِن حيث إنَّه قد يَجُرُّ إلى المَفاسد يَصير مَذمومًا، ويَحُثُّ عليه الشَّياطِينُ، ويَفرح به كبيرُهم»(١).

فيَبُوء مَن يقومُ بهَذَا العمَل بالوِزْر، ويَلحقه بسببه الإثمُ؛ **يَقُولُ الإمامُ ابنُ عبد البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «التَّحريش بين الآدمِيِّين حُوبٌ كَبِير»(٢).

فيَا- مَن ابْتُلِيت بهَذَا الدَّاء المشِين- مَا الَّذِي- بالله عليك- تَجنيه من نَشْرِك العَداوة بين المُتآخِين، وحِرْصِك على التفريق بين المُتَحَابِّين، والفَصْلِ بين الزَّوجين، وقَطْعِك أَوَاصِر المَحبَّة بين المُسْلِمِينَ؟!

أَلَا تَعْلَم أنَّك تُعِين بذَلِكَ إبلِيسَ اللَّعينَ على تحقيق غَايَتِه وهدَفِه الَّذي يسْعَى إليه!

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو- أي: الشَّيطان- يَسْعَى في التَّفريق بين المُتَحَابِّين في الله المَحبَّةَ الَّتي يُحبُّها الله، ويُؤَلِّف بين

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (١/ ٢٣٢).

(٢) «الكافي» لابن عبد البَرِّ (ص٦١٥).

الاثْنَيْن في المحبَّة التي يُبغضها اللهُ»[١].

أمَا تدري يا هَذَا أنَّكَ نمَّامٌ!

يَقولُ الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنَّمَّام: هو الَّذِي يَنقل الحديث بين النَّاس، وبين اثنَيْن بما يُؤذِي أحدهما، أو يُوحِش قَلْبه على صاحِبه، أو صَدِيقه، بأنْ يَقُولُ له: قال عنْكَ فلانٌ كذا وكذا، وفعَل كذا وكذا، إلَّا أنْ يَكُون في ذَلِكَ مصْلحَة، أو فائدة؛ كتَحذِيره مِن شرٍّ يحدث، أو يَترتَّب»[٢].

ويقول الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**التَّمِيمَة على قِسمين**: تارة تَكُون علَى وَجْهِ التَّحريش بين النَّاس وتفريق قُلوب المُؤمِنينَ؛ فهَذَا حرَامٌ متَّفَقٌ عليه...»[٣].

وأنك تُعين على إفسَاد ذات البَيْن الَّتي الإضرار بها مما يَقدح في الدِّين؛ فعن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَل مِن دَرَجَةِ الصِّيام وَالصَّلاة وَالصَّدَقَةِ؟**». قالوا: بَلَى. قال: «**صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ؛ فإنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ**»[٤].

يَقُولُ ابنُ الأثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الحالِقَة**: الخَصْلَة الَّتي مِن شَأْنِها أَنْ

---

(١) «روضة المُحبين» (ص٢١٨).

(٢) «الكبائر» (ص٢١١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٤٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٠٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تَحلق، أَرَاد: أَنها خَصْلةُ سُوء تُذْهِبُ الدِّين، كما تُذْهب المُوسى الشَّعر»(١).

ويَقُولُ الطِّيبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه حَثٌّ وترْغِيبٌ في إِصْلَاح ذات البَيْن، واجتِنَاب عن الإفسَاد فيها؛ لأَنَّ الإِصْلَاحَ سببٌ للاعتِصَام بحبلِ الله، وعدم التَّفرق بين المُسْلِمِينَ، وفسَاد ذات البين ثُلْمَةٌ في الدِّين، فَمَن تَعَاطى إِصلَاحها، ورَفع فسَادها نال درجةً فوق ما يَنالُه الصَّائم القائِم المُشتغل بخُوَيْصَة نفسه»(٢).

فعليك أيُّها المُذْنِب: أنْ تُبادر بالتَّوبة والغُفران والرُّجُوع إلى العَزيز المنَّان، وإصْلَاح ما أفسَدت بين المُسْلِمِينَ، فأبْوَاب التَّوبة- ولِلّهِ الحمدُ- مَفتوحةٌ قبل فوَات الأوَان.

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامُكَ مَكتُوب، وقولُك محسُوب، وأنتَ- يا هَذَا- مَطْلُوب، ولك ذُنوبٌ وما تَتُوب، وشَمْسُ الحياة قد أخذَت في الغُرُوب، فما أَقْسَى قلبُك مِن بين القلوب»(٣).

وعلينا- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنْ لَا نُعِين صاحِبَ هَذَا العمَل الشَّنيع، وذَلِكَ بأنْ لا نَسْمَع ولا نهتم بما ينقله هَذَا المُحَرِّش النَّمام؛ عملًا بقول العَزِيز العَلَّام: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ

---

(١) «جامع الأصول» (٦/ ٦٦٨).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٢٤١).

(٣) «التبصرة» (٢/ ٢٧٢).

مَشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠- ١١].

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ﴾ أي: كثير الحَلِف، فإنَّه لا يَكُون كذَلِكَ إلَّا وهو كذَّاب، ولا يَكُون كذَّابًا إلَّا وهو ﴿مَّهِينٍ﴾ أي: خَسِيس النَّفس، ناقص الهِمَّة، ليْسَ له هِمَّة في الخير، بل إرادَتُه في شَهَوَات نفسه الخَسِيسَة.

﴿هَمَّازٖ﴾ أي: كثير العَيْب للنَّاس، والطَّعن فيهم بالغِيبَة والاستِهْزَاء، وغير ذَلِكَ.

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ أي: يَمْشِي بين النَّاس بالنَّمِيمَة، وهي: نَقْل كلَام بعض النَّاس لبعضٍ؛ لقَصْد الإفسَاد بينهم، وإلقَاء العدَاوة والبَغْضَاء»(١).

بل يجب علَيْنا أنْ نَنصحَهُ بالتَّوبة والرُّجوع إلى العَزيز العَلِيم، وبتَرْك هَذَا الفِعْل الذَّميم، فإنْ أبَى وبقِيَ في غيِّه زجَرْنَاه، فإنْ استمرَّ في شرِّه أبغَضْناه وترَكْنَاه حتى يتُوبَ ويرجع إلى الصَّواب.

يَقُولُ الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّمام يَنبغي أنْ يُبغَض، ولا يُوثَق بقوله، ولا بصدَاقته، وكيف لا يُبغَض وهو لا يَنفكُّ عن الكَذِب، والغِيبة، والغَدْر، والخيانة، والغلِّ، والحَسَد، والنِّفاق، والإفسَاد بين النَّاس، والخَديعة وهو ممن يَسْعَوْنَ في قَطْعِ ما أمرَ اللهُ به أنْ يُوصَل ويُفسِدُون

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٧٩).

في الأرض»(١).

وعلَيْنا جميعًا- أَيُّها الأفاضلُ- إِذَا أَرَدْنا النَّجَاح والفلَاح في الدَّارَيْن أنْ نُطَهِّر قلوبنا مِن كل الشَّوائب، والقَوادح؛ كالغِلِّ، والحَسَد، والحِقد، وأنْ نحفظ ألسِنَتنا مِن كل سوء أو ما يَجُرُّ إليه.

يقولُ الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّه يَنبَغِي لكل مُكلَّفٍ أنْ يَحفظ لسَانه عن جميع الكلام، إلَّا كلامًا تَظهر المَصلحة فيه، ومتَى استوَى الكلَامُ وتركُه في المَصلحة، فالسُّنةُ الإمسَاكُ عنه؛ لأنه قد ينجَرُّ الكلامُ المُباح إلى حرامٍ أو مَكروه، بل هَذَا كثيرٌ أو غالبٌ في العادَة، والسَّلامة لا يَعدلها شيءٌ»(٢).

فاللّٰهَ أَسْأَلُ بأَسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَحفظ جميع المُسْلِمِينَ مِن كَيْدِ الفُجَّار، ومَكْرِ الأشرار.

وأنْ يَنشر بينهم المَحَبَّة والإخاء، ويُبعد عنهم العداوَةَ والبغضاءَ، وأن يَجمع كلِمَتَهم على الحَقِّ؛ فهو- سبحانه- قديرٌ، وبالإجابةِ جَدِيرٌ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «إحياء علوم الدِّين» (٣/ ١٥٦).

(٢) «الأذكار» (ص٢٦٢).

بين نُور الطاعة والاتِّباع
وظُلمة المعصية والابتداع

بين نور الطاعة والاتباع، وظلمة المعصية والابتداع!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما قدَّره العزيزُ العَلِيمُ أنَّ ما في قلوب العِبَاد مِن خير أو شرٍّ لابد لِأَثَرِه مَع مُرور الأيَّام والأوقاتِ أنْ يَظْهَر؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «فإنَّ ما في القلب مِن النُّور والظُّلمة والخير والشَّر يَسْرِي كثيرًا إلَى الوَجْهِ والعين، وهما أعظم الأشياء ارتباطًا بالقلب»(١).

لأنَّ الطاعاتِ بشتَّى أنواعها- أيُّها الإخوة والأخوات- لها ثمارٌ كريمة، ولذَّات طيِّبةٌ لا بد لصاحبها- بإذن ربِّ البريات- أنْ يَقطفها في الدُّنيا قبل الآخِرَة؛ **يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وقد جعَلَ اللهُ- سبحانه- للحسَنات والطَّاعات آثارًا محبُوبةً لذيذةً طَيِّبة»(٢).

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٥٥).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٢٣).

فهي- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- نورٌ وضياءٌ يَظهر أثرُهَا على وجوه أهلها، وإنْ تَقَدَّم بهم العُمر فهُم دومًا- بفضل الكريم المُقتدِر- في بهاءٍ وجمالٍ مُستمِر؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فنرى وجوهَ أهلِ السُّنَّة والطاعة كلما كَبروا ازداد حُسْنُها وبَهاؤها، حتى يَكُون أحدُهم في كِبره أَحْسَن وأجمل منه في صِغَرِه»[١].

وكُلَّما كثُرَتْ أعمالُ العَبْد الصَّالحة، وعمَّ نفعُها، وازداد خيرُها؛ ازداد حُسْنه وجماله؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكُلما كَثُر البِرُّ والتَّقوى قوِيَ الحُسْنُ والجَمَالُ»[٢].

بل إنَّ عوائدَ الطَّاعات الطَّيبة، وثِمَارها الكَرِيمة- أَيُّها الأفاضلُ- تظهر حتَّى على باقي الجوَارح والأعضاء؛ يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن حَفِظَ اللهَ في صِبَاه وقوَّته حَفِظَه اللهُ في حال كِبَره وضَعْف قوَّته، ومَتَّعَه بسمعه وبصره وحَوْله وقُوَّتِهِ وعقله.

وكان بعضُ العلماء قد جاوز المِائَةَ سنة وهو مُمَتَّعٌ بقُوَّته وعقله؛ فوثَب يومًا وثبةً شديدة، فعُوتِبَ في ذَلِكَ، فقال: هَذِهِ جَوَارِحُ حَفِظْنَاها عن المعاصي في الصِّغَر؛ فَحَفِظها اللهُ علينا في الكِبَر.

وعَكْسُ هَذَا: أنَّ بعض السَّلف رَأى شيخًا يَسأل النَّاس؛ فقال:

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٥٥).

(٢) «الاستقامة» (ص٣٦٥).

إنَّ هَذَا ضعيفٌ ضيَّع اللهَ في صِغَرِه- فَضَيَّعهُ اللهُ في كِبَرِه»(١).

وأهلها بسببها -بفضل العزيز المنَّان- أَعِزَّة أقوياء؛ يَقُول سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠].

يقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مَنْ كان يحب أن يَكُون عزيزًا في الدُّنيا والآخِرَة؛ فليَلزَم طاعة الله، فإنَّهُ يحصل له مقصوده؛ لأنَّ اللهَ مالك الدُّنيا والآخِرَة، وله العِزَّة جميعها»(٢).

فهَذَا الخير الكثير والفَضْل الكبير الَّذِي نالَهُ أهلُها، وحصَّلَه أصحَابُها كان- بعد فضل الكريم المَنَّان- بسبب استِنارة قلوبهم، وإقبالها على طاعة العزيز الرَّحمن؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا استَنار القَلبُ أقبلَتْ وُفود الخَيْرَات إليه مِن كلِّ جانب»(٣).

وللبِدَع والمَعاصي كذَلِكَ تَبِعَاتٌ تُجْنَى- أيضًا- في الدُّنيا، ويَلحق أربابها الأَلَم والنَّدَم والحسَرات؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللَّذة المُحرَّمة ممزوجة بالقُبح حال تناوُلها، مُثمِرَة للألم بَعْد انقِضَائها، فإذا اشتدَّت الدَّاعيةُ منك إليها؛ ففكِّر في انقطاعها، وبقاء قُبحها وأَلَمِها»(٤).

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٨٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥٠).

(٣) «الجواب الكافي» (ص١٢٥).

(٤) «الفوائد» (ص١٩٢).

ويُشاهَد على أصحابها إنْ لم يَتُوبوا، ويرجعوا لربِّ العالمين أَثَرَها المشين؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكُلَّمَا قوِيَ الإثمُ والعُدوانُ قوِيَ القُبح والشَّين»[(١)].

وكُلما كثرت البدعُ والمَعاصي ظَهَر أكثر شَيْنها، وازداد على أهلها قُبْحُها؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونَجِد وجُوه أهل البِدْعَة والمعصية كُلَّما كَبروا عَظُم قُبحها وشينها؛ حتَّى لا يستطيع النَّظر إليها مَن كان مُنبهرًا بها في حال الصِّغَر لجمال صورتها، وهَذَا ظاهرٌ لكل أَحَدٍ»[(٢)].

فصَاحبُ البِدَع والمُحدثات مهما تزيَّن فَسَوادها يَظهر ولا بد على وَجْهِه؛ يَقُولُ الإمامُ عبدُ الله بن المُبَارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صاحبُ البِدعة على وجهه الظُّلمةُ وإنْ ادَّهَن كلَّ يوم ثلاثين مرَّة»[(٣)].

وشُؤمها- إن لم يَدَعها- يُلاحقه، ويَظهر على ملامحه وإنْ تقدَّم به السِّن؛ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الرَّافضيَّ كُلما كَبر قَبُح وَجْهُه، وعَظُم شَيْنُه»[(٤)].

وكذَلِكَ تُرى الظُّلمة- أيُّها الأحباب- على وُجُوه المُستغرقين في

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٦٥).

(٢) «الاستقامة» (ص٣٥٥).

(٣) «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢٨٤).

(٤) «الاستقامة» (ص٣٦٥).

الذُّنوب، المُجَاهرين بمعصية علَّام الغُيوب؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وأمَّا أهلُ الفُجور فتَعْلُو وجوهَهم ظُلمةُ المَعصية؛ حتى يُكسف الجَمال المَخلوق»[١].

فبسَببِ انحِرَاف هؤلاء عن الصِّراط المستَقِيم، وابتِعَادهم عن المنهج القَويم أصبحَتْ قلوبُهم غارقة في الظُّلُمَات، وعامرة بالشَّهوات والمُنكرَات؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «كما أنَّه- أي: القلب- إذَا أظلم أقبلَتْ سحائب البلَاء والشَّرِّ عليه مِن كل مكان»[٢].

فلمَّا ابتعَدُوا عن قراءة القرآن والذِّكْر، وترَكُوا طاعة مَوْلَاهم- العزيز المُقتدر- تَسَلَّط عليهم الشَّيطَانُ، وأُصِيبُوا بالهموم، وضِيق الصَّدر؛ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: ٣٦].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخْبِر تعالى عن عقُوبته البَلِيغة، لِمَنْ أعْرضَ عن ذِكره؛ فقال: ﴿**وَمَن يَعْشُ**﴾ أي: يُعرض ويَصُدُّ ﴿**عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ**﴾ الَّذِي هو القُرآن العَظِيم، الَّذِي هو أعْظَم رحمةٍ رَحِمَ بها الرَّحمن عِبادهُ؛ فَمَن قَبِلَها فقد قَبِل خَير المواهب، وفاز

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٥١).

(٢) «الجواب الكافي» (ص١٢٥).

بأعظَم المطالب والرَّغائب، ومَن أعرض عنها وردَّها، فقد خابَ وخَسِرَ خسارةً لا يَسعد بعدها أبدًا، وقَيَّض له الرحمنُ شيطانًا مَريدًا، يُقارنه ويُصاحبه، ويَعِده ويُمَنِّيه، ويَؤزُّه إلى المعاصي أزًّا»[(١)].

وابْتُلوا بالذُّل والهوَان؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ المعصية تُورث الذُّلَّ ولابُدَّ، فإنَّ العِزَّ كل العزِّ في طاعة الله تعالى»[(٢)].

إنَّ ظهورَ نور الطَّاعة وسَوادَ المُخالفة علَى أصحابها ليْسَ قاصرًا على الدُّنيا الفانية، بل يستمر ذَلِكَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- حتَّى في يوم القيامة؛ يَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر تعالى عَن حَال يوم القِيَامة، وما فيه مِن آثار الجزَاء بالعَدْلِ والفَضْلِ، ويتضمَّن ذَلِكَ التَّرغيب والتَّرهيب المُوجِب للخوف والرَّجاء؛ فقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾، وهي وجوه أهل السَّعادة والخير؛ أهل الائتِلَاف والاعتِصَام بحبل الله. ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وهي وُجوه أهل الشَّقاوة والشَّرِّ، أهل الفُرقة والاختِلَاف.

هؤلاء اسودَّت وجوههم بما في قلوبهم مِن الخِزي والهوان والذلَّة والفضيحة، وأولئك ابيَضَّت وجوهُهم لما في قلوبهم من البَهجة

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٧٦٦).

(٢) «الجواب الكافي» (ص٣٨).

والسُّرور والنَّعيم والحُبور الَّذِي ظهرت آثارُه على وجوههم»[(١)].

فعلى العاقل أنْ يَقف مع نفسَهُ لحظات، وينظر- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأخيَارُ- بتمعُّن: أيهما يختار؟!

هل الطَّاعة التي هي ضياء ونور، فيَجني بسببها- بإذن العزيز الغفور- السَّعادة الأبديَّة في الدُّنيا، ويوم وقوفه بيْنَ يدي رب البرِيَّة؟ يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن أراد السَّعادة الأبديَّة؛ فَلْيَلزَم عَتَبَةَ العُبودية»[(٢)].

أو يَغتر بالمُخَالفة التي هي ظُلمة وثُبُور؛ فيَحصد بسببها النَّدم والألَم والحسَرات؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يجدها- أي: ظلمة المعصية- في قلبِه حقيقة يُحس بها كما يُحِسُّ بظلمة الليل البَهيم إذا ادْلهَمَّ، فتَصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسيَّة لبَصَره، فإنَّ الطاعة نور، والمَعصية ظُلمة، وكُلما قوِيَتْ الظلمة ازدادَتْ حَيرته، حتَّى يَقع في البدع والضَّلالَات والأمُور المهلكة وهو لا يَشعر؛ كأعْمى أُخْرج في ظُلمة اللَّيل يَمشي وحْده، وتَقوى هَذِهِ الظلمةُ حتى تَظهر في العين، ثُم تقوى حتى تَعْلُوَ الوجه، وتَصير سوادًا في الوجه حتى يراه كلُّ أَحَدٍ»[(٣)].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٤٣).

(٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٤٣١).

(٣) «الجواب الكافي» (ص٥٤).

فالله أسأل بأسمائه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكل ما يُحِبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ أن يجعل قلوبَنا مُستنيرة بالإيمَان.

وأن يُجَنِّبَنا كلَّ ما يُبغضه ويَأباه، ومن ذَلِكَ الوقوع في البدع والعِصيان.

وأن يُبَيِّضَ وُجوهنا يوم تَبْيَضُّ وجوهٌ، وتَسْوَدُّ وُجوهٌ؛ فهو- سبحانه- الكَريم المَنَّان.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

شُكرِ نعمة الأمن!

شكر نعمة الأمن

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ نِعَم الكريم المَنَّان على عباده- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَانُ- لا يَعُدُّها ولا يُحْصِيها عَبْدٌ كائنًا مَن كان؛ يَقولُ العزيزُ الرَّحمن: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

يقول الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وإنْ تَتعرَّضُوا لتعداد نِعَم الله التي أنعم بها عليكم إجمالًا، فضلًا عن التَّفصيل لا تُطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولا تقوموا بحصرِهَا على حالٍ مِن الأحوَال.

وأصل الإحْصَاء: أنَّ الحاسب إذا بلغ عقدًا مُعَيَّنًا مِن عقود الأعداد وَضَعَ حَصاةً؛ ليحفظه بها، ومعلوم أنه لو رامَ فردٌ مِن أفراد العِبَاد أن يُحصي مَا أنعم اللهُ به عليه في خَلْقِ عُضوٍ مِن أعضَائه، أو حاسَّة من حواسِّه لم يَقدر على ذَلِكَ قَط، ولا أمكنه أصلًا، فكيف

بما عدَا ذَلِكَ مِن النِّعَم في جميع ما خَلَقَه اللهُ في بَدَنه، فكيف بما عدَا ذَلِكَ مِن النِّعَم الواصلة إليه في كلِّ وقتٍ علَى تنَوُّعِهَا، واختِلَاف أجْنَاسها، اللَّهُمَّ إنَّا نَشْكُرك على كل نعمةٍ أنعمت بها علينا مما لا يعلمُه إلَّا أنت...»(١).

وإنَّ مِن المِنَن الدُّنيويَّة على العِبَاد بعد نِعمَة الإيمَان- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- منَّةً عظيمةً، وعطيَّةً كريمةً يَهبُها العَزِيز العَلَّام لمن يَشاء مِن الأنام، أَلَا وهي (نِعمة الأمن في الأوْطَان)؛ يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمن مِن المَخاوف مِن أكبر النِّعَم الدُّنيوية، المُوجِبَة لِشُكر الله تعالى»(٢).

مَن نَالَهَا منهم؛ فقد حَصَل الخيرُ الكبير، والنَّفع الكثير؛ فعن عبيد الله بن مِحْصَن الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنيا**»(٣).

يَقُولُ الإمامُ المُبَاركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**مَنْ أصبَحَ مِنكُم**» أي: أيُّها المُؤمنون. «**آمِنًا**»، أي: غير خائف من عَدُوٍّ.

---

(١) «فتح القدير» (٣/ ١١٠).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٦٠٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«**فِي سِرْبِهِ**»، أي: في نفسِه.

وقيل: السِّرب: الجماعة.

فالمعنى: في أهلِه وعياله.

وقيل- بفتح السِّين- أي: في مَسْلِكه وطريقه.

وقيل- بفتحتين- أي: في بيته...

«**مُعَافًى**» اسم مَفعول من باب المُفاعلة، أي: صحيحًا سالمًا من العِلل والأسقام.

«**فِي جَسَدِهِ**»، أي: بدنه ظاهرًا وباطنًا.

«**عِنْدَهُ قُوتَ يَوْمِهِ**»، أي: كفاية قُوتِه مِن وَجه الحلال.

«**فكَأَنَّمَا حِيزَتْ**»: بصيغة المَجهول من الحيازة، وهي الجمع والضم»(١).

نعمة يتمتع بها- بفضل الكريم القدير- الذُّكور والإنَاث، والغني والفقير، والكبير والصَّغير، وهي عَطِيَّة تُعين على إقامة شعَائر الدِّين، وتحقيق أوَامِرَ ربِّ العالمين، وهي مِن أسباب تَعمير المَسَاجد، وتعليم النَّاس ما ينفعهم في الدَّارَيْن، وعَيْشهم في رغَدٍ واطمئنان.

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١١).

يَقُولُ العلَّامة الشَّيخ الفَوْزَان حفظه الله: «فلَا شَكَّ أنَّ تَوفُّرَ الأمن مَطلبٌ ضَروري، الإنسانيةُ أحوَجُ إليه مِن حاجَتها إلى الطَّعام والشَّراب.

ولذَا قدَّمه إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في دعائه على الرِّزق؛ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]؛ لأنَّ النَّاسَ لا يُهنَّؤون بالطَّعام والشَّراب مع وجُود الخوف، ولأنَّ الخوفَ تَنْقَطعُ معه السُّبل التي بواسِطَتها تَنقل الأرزاق من بلد لآخر»[1].

ولما كانت هَذِهِ النِّعمَةُ العَظيمة بهَذِهِ المكانَة الكبيرة، والفَوائد الكثيرة حَثَّ الشَّرع الكريم على بَذل الطُّرق والوسَائل الَّتي تُعين على تحقِيقهَا وتحصِيلهَا.

ومِن أهمِّ هَذِهِ الأسباب أيُّها الأَحْبَاب: أن يَسود النَّاس حاكم يَسُوسُهم، ويقوم على شُؤونهم الدِّينية والدُّنيوِيَّة؛ يَقُولُ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجب أنْ يعرف أنَّ ولاية أمر النَّاس مِن أعْظَم واجبات الدِّين، بل لا قِيام للدِّين ولا للدُّنيا إلَّا بها، فإنَّ بني آدمَ لا تتمُّ مَصْلَحتُهم إلَّا بالاجتِمَاع لحاجةِ بعضِهم إلى بعض، ولا بد لهم

(١) «الفتاوى الشرعية في القضايا العصريَّة» (ص١٢٥).

عند الاجْتِمَاع مِن رأسٍ»[١].

فَمِن الأعْمَالِ المَنُوطة بالحاكم- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأفاضِلُ- رَدْعُ الظَّالم، وإعطَاء المَظلوم حَقَّه، ومَنْع الفَوْضَى، والاجتِهَاد على توفير الأمن الَّذِي يُعين المُسْلِمِينَ على إقامة شعائر الدِّين، وتحقيق مصَالحهم الدُّنيويَّة التي يَسْتَعِين بها الفردُ على تحقِيق ما ينفعه في دُنياه وأُخْرَاه؛ يَقُولُ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشَّريعة جاءت بتحصيل المَصالح وتَكْمِيلهَا، وتعطيل المفاسد وتقليلهَا، ورَجَّحت خيرَ الخيْرَيْن بتفويت أدناهُما، وهَذَا مِن فوائد نَصْب وُلاة الأمور، ولو كان على ما يظنُّه الجاهل؛ لكان وجود السُّلطان كعدَمِه، وهَذَا لا يَقُولُه عاقلٌ؛ فضلًا عن أن يَقُولَه مُسلم.

بل قد قال العُقَلَاءُ: «سِتُّون سَنة مِن سُلطان ظالمٍ خَيْرٌ مِن ليلةٍ واحدة بلا سُلطان».

ومَا أَحْسَنَ قَوْلَ عبدِ الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لولا الأئمَّةُ لم تَأمن لنَا سُبُلٌ   وكان أضْعَفُنا نَهْبًا لِأَقْوَانـا»[٢]

وقد حذَّرَنا رسولُنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الخُروج على ولاة الأمر، وأَمَرَنا بالسَّمع والطَّاعة لهم في غير معصية؛ لأنَّ في الخروج عليهم

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٩٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٠/ ١٣٦).

فتنةً عظيمةً، وشَرًّا كبيرًا، يُؤدي إلى قتل الأنفس البريئة، وانتهاك الأعراض، وإضعاف شَوْكة المُسْلِمِينَ، ونشر الفوضَى في بلدانهم.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه أَسَاسُ- أي: الإنكار على الوُلاة والمُلوك بالخروج عليهم- كل شَر وفتنة إلى آخر الدَّهر...، ومَن تأمَّل ما جرى على الإسْلَام في الفتن الكِبار والصِّغار رآها من إضَاعة هَذَا الأصل، وعدَم الصَّبر على مُنْكرٍ، فطلب إزَالَتهُ فتَوَلَّدَ منه ما هو أكبر منه»(١).

إنَّ مما يجب على مَن توفَّرَتْ عندهم نعمة الأمن مِن المُسْلِمِينَ: أن يشكروا عليها ربَّ العالمينَ بقلوبهم، وأفعالهم، وأقوالهم.

فإنَّ بالشُّكر- بإذن العزيز المُقتدر- تزيد النِّعَم، وعليهم أن يَسْتَعِينُوا بها على طاعة المَنَّان، واستثمارها فيما يُرضي الرحمن، وليجتنبوا المعاصي والذُّنوب التي هي مِن أسباب زوال النِّعَم، وحُلُول النِّقَم، وهي أصلُ كلِّ بَلَاء، ومَصْدَرُ كلِّ شَقَاءٍ.

يَقُولُ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ جَمَعَ اللهُ له بين عافية بَدَنِه وأَمْن قلبِه حيث تَوَجَّه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله؛ فقد جمع اللهُ له جميعَ النِّعَم التي مَن مَلَكَ الدُّنيا لم يحصل على غيرها؛ فيَنبغي أنْ لا يَستقبل يومَهُ ذَلِكَ إلَّا بشكرها؛ بأنْ يَصرفها في طاعة المُنعِم،

---

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ٤).

لا في معصِيَته، ولا يَفْتُر عن ذِكْره»(١).

وليَحذَرُوا كذَلِكَ أشدَّ الحذَر مِن مَكْر أعداء الدِّين مِن الكفار والمنافقين وسائر المُفسدين، فإنهم لا يَستقر لهم قرَارٌ، ولا يَطمئن لهم بال حتَّى يرَوا الفَوْضَى في بُلدان المُسْلِمِينَ؛ لِعِلمهِم أنَّ بالأمن تقوى شوكةُ المُسْلِمِينَ، وبفُقدَانه تَضعف شَوْكَتُهم، وتَتفرَّق كلمتُهم، ويُمكنهم بعد ذَلِكَ التَّسلُّطُ عليهم؛ فيَستعِينُونَ بكل الوسائل، وشتَّى الطُّرق لإفساده، وقد يَستخدمون في هَذَا المخطَّط المنكر والهدف الخبيث بعضَ أهل الإسْلَام، واللهُ المُستعان!

وليَحْذَرُوا كذَلِكَ مِن دُعاة التَّخريب؛ مِن الجَهلة، وأنصَاف المُتَعالمين الَّذِين يُشَجِّعُون عَلَى الثَّورات ضد الوُلاة، ويُؤيِّدُونَ المظاهرَات والاعتِصَامات؛ لأنَّ هَذِهِ الوسائل غَربية، وليست شرعيَّة.

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامَةُ صَالح الفَوْزَان حَفِظَه اللهُ: «دينُنا لَيْسَ دِينَ فَوْضَى، دِينُنا دِين انضِبَاط، دين نظام، دِين سَكِينَة، والمظَاهرَات لَيْسَتْ مِن أعمَال المُسْلِمِينَ، وما كان المسلمون يَعرفُونها، ودين الإسْلَام دين هدُوءٍ، ودين رحمةٍ، لا فَوضى فيه، ولا تشويش، ولا إثارة فِتَن، هَذَا هو دينُ الإسْلَام، والحقُوق يُتوصَّل إليها دون هَذِهِ الطَّريقة، بالمطالبة الشَّرعية، والطرق الشرعية.

---

(١) «فيض القدير» (٦/ ٦٨).

هَذِهِ المظاهرات تُحْدِث فِتَنًا كثيرة؛ تُحدث سَفْكَ دماء، وتُحدث تخريبَ أموالٍ، فلَا تجوز هَذِهِ الأمورُ»[١].

ولينظُروا وليعتبروا بما جرَى عبر التَّاريخ، وما يَحدث حولهم لكلِّ مَن خالَفَ الوصايا النَّبوية والطُّرق الشَّرعية، وأراد تَغْيِير الظُّلم بوسائل دخيلة غير مرضيَّة، فما جرَّت عليهم إلَّا الوَيْلَات، ولم يَتولَّد عن فِعلهم إلَّا كل ضرر وشَرٍّ، ظهر فيهم الظُّلمُ والعدوانُ والخوفُ والجوعُ والافتراقُ بين أهلها، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون!

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَلَّ مَن خرج على إمامٍ ذي سُلطانٍ إلَّا كان ما تَوَلَّد على فِعله من الشَّرِّ أَعْظم مما تَوَلَّد مِن الخَير...»[٢].

فاللهَ اللهَ- أَيُّها الأَحِبَّةُ والإِخْوَان- في شُكر الكريم المَنَّان على نعمة الأمن في الأوطان، وببذل كل الوسائل المُعينة على المحافظة على هَذِهِ النِّعمة الكَرِيمة والمِنَّة العظيمة، واجتناب كل الأسباب التي تُفسدها، وتُعين على نشر ما يُضادها، فإنَّ ذَلِكَ يُعين على تحقيق الفلَاح والنَّجاح في الدَّارَيْن بإذن أرْحَمِ الرَّاحِمين.

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يجعل ديار

---

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص٢٣٢).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٥٢٧)..

المُسْلِمِينَ ديارَ أَمْنٍ وأَمانٍ.

وأن يُجَنِّب بُلدانهم الفِتن والفَوْضى، وكلَّ سَبب يُفسد عليهم الاستِقرار والاطمِئنَان.

وأنْ يُعينهم على تَطبيق تعاليمِ الإسْلَام، ويُبعدهم عن المعاصي والآثام، ويُولِّي عليهم مَن يَحكمهم بِهَدْي خير الأنام؛ فهو- سبحانه- القادر على ذَلِكَ، والحكيمُ العلَّامُ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

وقفاتٌ مع سُورة الكَوثر

وقفات مع سورة الكوثر

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الاهتِمَامَ بكتاب ربِّ البريَّات تلاوةً وتدبُّرًا وعَمَلًا- أيُّها الإخوة والأَخَوات- هو مِن أشرف وأفضل ما تعمر به الأوقات، وتُصرف فيه السَّاعات؛ يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان القرآنُ العزيزُ أشرفَ العُلُوم كان الفَهْمُ لمعانيه أَوْفَى الفُهوم؛ لأنَّ شَرَفَ العِلم بِشَرف المَعلوم»[1].

لذا، أحببتُ- أَيُّها الأفاضلُ- أنْ أقِف معَكُم في هَذَا المقال القصير مع سُورة كريمة من كتاب العزيز القدير، هي سورة مع قلَّة آياتها، إلَّا أنها تحتوي على فوائد عظيمة، ومعاني جليلة، ألَا وهي: (سورة الكَوْثَر).

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٣).

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أَجَلَّها مِن سورة، وأَغْزَرَ فَوائدها على اختصارها»(١).

أنقل لكُم فيه بإيجاز بعض ما جاء في تفسيرها عن أئمَّتنا الأعْلَام؛ لعلَّ الكريم المنَّان يجعلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يتدبَّر ويَعمل بالقرآن؛ لأنَّ هَذِهِ هي الغاية الحميدة الَّتي مِن أجْلِهَا أنزله العزيز الرَّحمن؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنزل اللهُ القرآنَ ليُتدبر ويُتفكر فيه، ويُعمَل به، لا لمجرَّد تلَاوته مع الإعرَاض عنه»(٢).

فأقولُ- أَيُّها الكِرَامُ- بعد الاستعانة بالعَزِيز العَلَّام:

سورة الكَوْثَر: عدد آياتها ثلاثٌ.

يقول الإِمَامُ ابْن كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي مَدنية، وقيل: مكية»(٣).

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝﴾ [الكوثر: ١].

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تدلُّ هَذِهِ الآيةُ على عطيَّة كثيرة، صادرة عن مُعْطٍ كبيرٍ غنيٍّ وَاسِعٍ»(٤).

لقد وقع الخِلَاف بين العُلمَاء- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- في معنى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٦).
(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٧).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٩).

الكوثر في الآية، وقد ذُكر في ذَلِكَ عِدَّة أقوال.

يقولُ الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأوْلَى هَذِهِ الأقوال بالصَّواب عندي: قول مَن قال: هو اسمُ النَّهر الَّذِي أُعطِيه رسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنَّة، وَصَفه اللهُ بالكَثْرة؛ لِعِظَم قَدْرِه.

وإنَّما قُلنا ذَلِكَ أَوْلَى الأقوال في ذَلِكَ؛ لِتَتابع الأخبَار عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ ذَلِكَ كذَلِكَ»[(١)].

ويُؤيِّد ما قاله الإمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أَيُّها الأفاضلُ- ما جاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَتَدْرُونَ ما الكَوْثَر؟ فَقُلنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فإنَّه نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتِي يوم القِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ»**[(٢)].

يَقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمقْصُود:** أنَّ الكَوْثَر نهر في الجنَّة، وهو مِن الخير الكثير الَّذِي أعطَاهُ اللهُ رسولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّنيا والآخِرَة، وهَذَا غير ما يعطيه الله مِن الأجر الَّذِي هو مثل أُجور أمَّتِه إلى يوم القيامة، فكل مَن قرأ وعَلِم، أو عمِلَ صالحًا أو علَّم غيره، أو تصدَّق، أو حَجَّ أو جاهد، أو رابط، أو تاب، أو صبر، أو توكَّل، أو نال مقامًا من المقامات القلبيَّة مِن

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٣٢٣).

(٢) رواه مسلم (٤٠٠).

خشيةٍ وخوفٍ ومعرفةٍ وغير ذَلِكَ؛ فله مِثْلُ أجْرِه مِن غير أن ينقص مِن أجر ذَلِكَ العامل، والله أعلم»[١].

ثم قال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكَوْثَر: ٢].

يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَمَرَه اللهُ أن يَجمع بين هاتَيْن العِبَادتين العظِيمتَيْن، وهُما الصَّلاة والنُّسك الدَّالَّتان على القُرْب والتَّواضع، والافتِقَار وحُسن الظَّن، وقوة اليَقِين وطُمأنينة القَلب إلى الله وإلى عدته، وأَمْرِه، وفَضله، وخُلْفِه، عَكْسُ حال أهل الكِبْر والنُّفرة، وأهل الغِنَى عن الله، الَّذين لا حاجةَ في صلاتهم إلى ربِّهم يسألونه إيَّاها، والَّذِين لا ينحرون له خوفًا مِن الفقر، وتركًا لإعانةِ الفقراء وإعطائهم، وسوء الظَّن منهم بربِّهم»[٢].

ويقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كمَا أعطيناك الخير الكثير في الدُّنيا والآخِرَة، ومِن ذَلِكَ النَّهرُ الَّذِي تَقَدَّم صِفتُه؛ فأَخْلِصْ لربِّك صلاتَك المَكتوبة والنَّافلة، ونَحْرَك؛ فاعبده وَحْدَه لا شريكَ له، وانْحَرْ على اسمِه وحْدَهُ لا شريكَ له»[٣].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما ذَكَرَ مِنَّته عليه أَمَرَه بشُكرها؛ فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ خَصَّ هاتَيْن العِبَادتين

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٣١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٣١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٩).

بالذِّكر؛ لأنَّهما من أفضَل العِبَادات، وأجَل القُربات.

ولأنَّ الصَّلاة تتضَمَّن الخضُوع في القلب والجوارح لله، وتَنَقُّلها في أنواع العبوديَّة، وفي النَّحر تَقَرُّب إلى الله بأفضَل ما عند العَبد مِن النَّحائر، وإخراج للمَال الَّذِي جُبِلَت النُّفوس علَى محبَّته والشُّح به»(١).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكَوْثَر: ٣].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: إنَّ مُبغضك يا محمد وعَدُوَّك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، يعني بالأبتَر: الأقلَّ والأذلَّ المُنقطع دابِرُه، الَّذِي لا عَقِبَ له»(٢).

ويَقُولُ شيخُ الإِسلامِ ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّه بتر شانِئ رسوله مِن كلِّ خير، فيبتر ذِكره وأهله وماله؛ فيَخسر ذَلِكَ في الآخِرَة، ويبتر حيَاته فلا ينتفع بها، ولا يَتزود فيها صالحًا لمعاده، ويبتر قلبه، فلَا يعي الخير، ولا يُؤهله لمعرفته، ومحبَّته والإيمَان برُسله، ويبتر أعمَاله، فلا يَسْتَعمله في طاعة، ويبتره مِن الأنصَار، فلَا يجد له ناصِرًا ولا عونًا، ويَبْتره مِن جَميع القُرب والأعْمَال الصَّالحة، فلَا يذوق لها طعمًا، ولا يجد لها حلَاوة، وإنْ باشرها بظاهره فقلبه شاردٌ عنها، وهَذَا جزَاء مِن شَنَأَ بعضَ ما جاء به الرسولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورَدَّه

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٣٢٨).

لأجل هَوَاه، أو مَتبوعه، أو شيخه، أو أميره، أو كبيره؛ كمَنْ شَنَأَ آياتِ الصِّفات وأحاديثَ الصِّفاتِ، وتَأَوَّلَها على غير مراد الله ورسوله منها، أو حَمَلها على ما يُوافق مَذهبه ومذهب طائفته، أو تمَنَّى أنْ لَا تكون آيات الصِّفات أُنزلت، ولا أحَاديث الصِّفات قالها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

لذَا- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- فإنَّ نبيَّنا- علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام- لا يَضره أبدًا مَن يستهزأ به، أو بما جاء به مِن عند الكريم العلَّام؛ لأنَّ العزيز العظِيم قد تَكفَّل بنصرة نبيِّه الكريم، ودينه القويم، حيث قال الجبَّار العَلِيم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: المُستهزئين بك، وبما جئتَ به، وهَذَا وَعْدٌ مِن الله لرسُوله، أنْ لا يضره المستهزئون، وأنْ يكفِيَه اللهُ إيَّاهم بما شاء مِن أنواع العُقوبة، وقد فَعَل تعالى، فإنه ما تَظاهر أحدٌ بالاستِهزَاء برسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما جاء به إلَّا أَهْلَكه اللهُ، وقَتَلَه شَرَّ قِتْلَةٍ»(٢).

وفي الختام: أَيُّها الأفاضلُ هَذَا ما تيسَّر لي جمعه في تفسير هَذِهِ السُّورة العظِيمَة التي احتوَتْ كما مَرَّ معنا على فوائد عظيمة، ومعاني

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٦).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٣٥).

جليلة، جديرٌ بكلِّ مسلم أن يَقف عندَها.

ويَنبغِي عليه- أيضًا- أن يَعتني كذَلِكَ بالتِّلَاوة والتَّدبُّر، والعمَل بكل ما جاء في كتَاب العزيز الغَفُور الَّذِي هو حياةٌ للقلوب، وسكينةٌ للنفوس، وشفاءٌ لما في الصُّدور.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو عَلِمَ النَّاسُ ما في قراءة القرآن بالتَّدبر؛ لاشتغَلُوا بها عن كل ما سِوَاها، فإذا قرأه بتفكُّر حتَّى مرَّ بآيةٍ وهو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه كَرَّرَها ولو مِائة مرَّة ولو ليلة، فقراءةُ آية بتفكُّرٍ وتفَهُّم خيرٌ مِن قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقَلب، وأدْعَى إلى حصُول الإيمَان، وذوق حلَاوة القرآن.

وهَذِهِ كانت عادة السَّلف: يردِّد أحدهم الآية إلى الصَّباح.

وقد ثبت عن النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قام بآيةٍ يُردِّدها حتى الصَّباح، وهي قوله: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فقراءةُ القرآن بالتَّفكر هي أصلُ صلاح القلب»[(١)].

ويَنبغي عليه كذَلِكَ: أنْ يَستحضِر دائمًا عند تلَاوته للقُرآن أن ما يقرأه ليْسَ مِن كلام البشَر، وإنَّما هو من كلام العزيز المُقتدر.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

يَقُولُ الإمامُ أحمدُ بن عبد الرَّحمن بن قُدَامة المَقدسي (ت: ٦٨٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَنبغي لتَالي القُرآن العَظِيم أنْ يَنظر كيف لَطَفَ الله تعالى بخلقه في إيصَال مَعاني كلامَه إلَى أفهامهم، وأنْ يَعلم أنَّ ما يقرأه ليس مِن كلام البَشَر، وأن يَستحضر عظمةَ المتكلِّم سبحانه، ويَتدبَّر كلامه، فإنَّ التَّدبر هو المَقصود من القراءة، وإن لم يحصل التَّدبر إلَّا بِتَرْدَاد الآية، فَلْيُرَدِّدها»(١).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لما يُحِبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ الاعتِنَاء والعمَل بالقُرْآن.

وأنْ يُجَنِّبنا كلَّ ما فيه حِرْمَان ويُؤدِّي إلى الخُسْرَان، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز الرَّحمن.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

⁂

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٤٦).

أثر الهديّة على النّفوس

أثر الهدية على النفوس

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّ تبادُل الهدَايَا والعَطايَا بين المُسْلِمِينَ- أيُّها الأَحْبَاب- مِن بين أهَمِّ الأسْبَاب المُعِينَة على نَشْر الأُلفَة والمحبَّة بينهم بإذن العزيز الوهَّاب؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»(١).

يَقُولُ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «نَدْبٌ إلى دَوَام المُهَاداة؛ لَتَزايُد المحبَّة بين المُؤمِنينَ، فإنَّ الشَّيء مَتَى لم يَزِد دَخلَه النُّقصانُ على مَرِّ الزمان، ويحتَمل تَزدَادُوا حُبًّا عند الله لمحبَّة بعضكم لبعض»(٢).

فهي وسيلةٌ حميدةٌ تزيد مِن أوَاصِر التَّرابط والإخاء بَيْن الأهل

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ كما في «صحيح الجامع» (٥٣٥١).

(٢) «فيض القدير» (٣/ ٢٧١).

والأَصْحَاب والأقرِبَاء، وتُساهِم في تصْفِيَة النُّفوس مِن الحِقْد والشَّحناء والبَغْضَاء؛ يقول الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنِّي لأَسْتَحِب للنَّاس بعث الهدايَا إلى الإخوان بينهم، إذْ الهديَّة تُورث المحبَّة وتذهب الضَّغينة»(١).

وهي إذا كانت بين الزَّوْجَيْن فإنَّها تُعين على تقْوِيَة العَلاقة بينَهما، وتزيد مِن المحبَّة والألفة بينهما، وتَكُون كذَلِكَ- بإذن رب البريات- سببًا في إزالة ما قد يحصل بينهما مِن خِلَافات ونِزَاعات؛ لأنَّها تُعين على تطْهِير القلب مِن الشَّوائب والآفَات، يَقُولُ الإمامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهديَّةُ مَنْدُوبٌ إليها، وهي ممَّا تُورث المودَّة، وتُذهب العدَاوة»(٢).

إنَّ تَقْدِيم الهدَايا للآخَرين مهْمَا كانَتْ صِلَة قَرابتهم مِن العادات الجميلة، والصِّفات الحمِيدَة، وهي مِن شِيَم أصحاب النُّفوس الكَرِيمة، ومِن مَناقب أهل الجود والعَطاء؛ يَقُولُ الإمامُ ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والهديَّةُ مِن أفعال المُسْلِمِينَ الكُرَماء والصَّالِحِين والفُضلاء»(٣).

---

(١) «روضة العقلاء» (ص٢٤٢).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٣/ ١٣٢).
(٣) «الاستذكار» (١/ ٥٣١).

ولما كان لهَذِهِ الخصلة الكَرِيمة هَذِهِ المكَانة الرَّفيعة وهَذَا التَّأثير القَوِي على نفوس الآخرين- حَثَّنا خيرُ المُرْسَلِين علَى بَذْلها ورَغَّبنا في أخْذِها مهْمَا قَلَّتْ ما لم يَكُن في ذَلِكَ مخالفة لتَعالِيم الدِّين؛ فَعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أُهْدِيَ إلي ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقبِلتُ**»(١).

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا حضٌّ منه لأُمَّتِه على المُهَاداة، والصِّلة، والتَّأليف، والتَّحاب.

وإنَّما أَخبر أنَّه لا يَحقر شيئًا مما يُهْدَى إليه، أو يُدْعى إليه؛ لئلَّا يَمتنع الباعثُ مِن المَهاداة لاحتِقَار المُهْدِي، وإنَّما أشار بالكُرَاع وفِرْسَن الشَّاة إلى المُبالغَة في قَبُول القَلِيل مِن الهديَّة، لَا إلى إعْطَاء الكُرَاع والفِرْسَن ومُهاداته؛ لأنَّ أحدًا لا يَفعل ذَلِكَ»(٢).

ويَقُولُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هَذَا الحديث دلِيلٌ علَى حُسْن خُلُقِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتَوَاضعه، وجَبْرِه لِقُلوب النَّاس، وعلى قَبُول الهديَّة وإنْ كانت قليلةً»(٣).

بل كان كذَلِكَ مِن هَدْيِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قَبُوله للهديَّة: أنْ يُكرم مَن أَهْدَاه، ويُثِيبه عليها؛ فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان

---

(١) رواه البخاري (٢٤٢٩).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٨٧).

(٣) «عمدة القاري» (٢٠/ ١٦١).

رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقْبَلُ الهديَّة، وَيُثِيبُ عليها»(١).

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «إنَّما كان يَقبلُ الهديَّة؛ لِيَظْهَر حُسْن خُلُقِه، ولِتَتَأَلَّف القُلوب على مَحَبَّته، وإنَّما كان يُثيب عليها؛ لئلَّا يَكُون لأحدٍ عليه مِنَّة»(٢).

وقد أمَرَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقَبول الهديَّة، ونَهَى عن ردِّها وعدم قَبُولها؛ فعن عَبْد اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَجِيبُوا الدَّاعِي، وَلَا تَرُدُّوا الهديَّة، وَلَا تَضْرِبُوا المُسْلِمِينَ**»(٣).

يقول الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُٱللَّهُ: «زَجَرَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هَذَا الخبَر عن تَرْك قَبُول الهَدَايَا بين المُسْلِمِينَ.

فالوَاجِبُ علَى المرء إذا أُهْدِيَت إليه هديَّة: أنْ يَقبلها، ولا يَرُدَّها، ثُم يُثِيب عليها إذَا قَدر، ويَشكر عنها»(٤).

وقد رَغَّبَ أكْثَر صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قَبُول وعدَم ردِّ بعض الهدَايا، ومِن ذَلِكَ الطَّيبُ واللَّبنُ؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٥).

(٢) «كشف المشكل» (٤/ ٣٨٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٥٨).

(٤) «روضة العقلاء» (ص٢٤٢).

اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ: الوَسَائِدُ، وَالدُّهْنُ، وَاللَّبَنُ**»(١).

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ**»، أي: لا يَنبغي رَدُّها، «**الوَسَائِدُ**»: جمع وِسَادة- بالكسر-: المِخَدَّة، «**وَالدُّهْنُ**» قال الترمذي: يعني بالدهن: الطيب، «**وَاللَّبَنُ**».

فيَنبغِي لِمَن أُهديت إليه أنْ لا يَرُدَّها فإنَّها قليلةُ المِنَّة خفيفةُ المُؤنة»(٢).

فعلى المسلم أنْ يحرص على العمَل بهَذِهِ الوصِيَّة النَّبوية، ولا ينبغي عليه أن يَرُدَّ الهديَّة ما لم يَكُن في قبولها مخالفة شرعيَّة؛ **يَقُولُ الإمام ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ويَسْتحِبُّها- الهديَّة- العُلمَاءُ ما لم يُسْلُك بها سَبِيلُ الرِّشوَة لدفع حقٍّ، أو تحقيق باطِل، أو أَخْذٍ على حَقٍّ يجب القِيَام به»(٣).

وأمَّا في حال ردِّه لهدِيَّةٍ قُدِّمَت إليه وجُلِبت مِن أجله؛ فالأَوْلَى به أن يبيِّن سبب ذَلِكَ حتَّى لا يَبقى في نَفْس مَن أَهْدَاه شيئًا عملًا بهدي نبيِّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فعَن الصَّعْبِ بن جَثَّامَة اللَّيْثِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٩٠)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٤٧٢).
(٣) «الاستذكار» (١/ ٥٣١).

أنَّه أَهْدَى لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وهو بِالأَبْوَاءِ أو بِوَدَّانَ[(١)]؛ فَرَدَّهُ عليه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فلمَّا أَنْ رَأَى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما في وَجْهِي قال: «**إِنَّا لم نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلا أَنَّا حُرُمٌ**»[(٢)].

يَقُولُ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفى رَدِّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحِمَار على الصَّعْبِ بن جَثَّامَةَ وهو محرم دليلٌ على أنَّه لا يجوز قَبول ما لا يَحِلُّ مِن الهديَّة؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما ردَّه عليه؛ لأنَّه لا يحل له قتلُ الصَّيد وهو مُحْرِم، وكان الحمَارُ حيًّا.

فدلَّ هَذَا أنَّ المُهدي إذا كان مَعروفًا بكَسْب الحرَام، أو بالغَصْب والظُّلم، فإنَّه لا يجوز قَبُول هدِيَّته.

وفيه: الاعتِذَارُ إلى الصَّدِيق، وإذْهَابُ ما يُخْشَى أنْ يَقَع بنفسه مِن الوَحْشَةِ وسُوء الظَّن»[(٣)].

وليَحْذَر كذَلِكَ أشَدَّ الحَذَر- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- مِن أن يَرجع المُعطي في هَدِيَّة قد أعطَاها لغيره مِن الأنَام، فإنَّ هَذَا الفعل ليس مِن شِيَم الكِرَام، وقد نهانَا عن ذَلِكَ نبيُّنا علَيهِ أفضل الصَّلاة

---

(١) مَوْضِعان بين مَكَّة والمدينة.

(٢) رواه البخاري (١٧٢٩) ومسلم (١١٩٣) واللفظ له.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٩٠).

والسَّلام؛ فَعن عبد الله بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ**»(١).

يَقولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا يَنبغي لنَا مَعْشَر المُؤمِنينَ أنْ نَتَّصِفَ بصفةٍ ذميمة يُشابهُنا فيها أخَسُّ الحيوانات في أخسِّ أحوالها؛ قال الله : ﴿**لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ**﴾ [النحل: ٦٠].

ولعلَّ هَذَا أبلغُ في الزَّجر عن ذَلِكَ، وأدلُّ على التحريم مما لو قال مثلًا: لا تَعودوا في الهِبَة، وإلى القول بتحريم الرجوع في الهبة بعد أن تُقبض»(٢).

ويَقولُ الإمامُ ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا أحمدُ بن حنبل، فقال: لا يَحِلُّ لواهِبٍ أن يَرجع في هِبَته، ولا لِمُهْدٍ أن يَرجع في هدِيَّته وإنْ لم يُثَبْ عليها»(٣).

فاللهَ اللهَ- أَيُّها الأفاضلُ- في الحِرْص على العمَل بهَذِهِ الخَصلة الحميدة، والصِّفة الكَريمة، فكَمْ بسَبَبِهَا- بعد فضل العزيز المَتين- ذهبَتْ مِن ضَغِينة، وجُلِبَت مِن محبَّة وألفة!

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٤).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٢٣٥).

(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٧/ ٢٤٠).

وكم أَسْهَمَت في تقْوِيَة أوَاصِر الأُخُوَّة والقرَابة بين المُسْلِمِينَ!

وكم كانت سببًا في هِدَاية الكثِير مِن الغَافلين، والحمدُ للهِ ربِّ العَالمين!

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُؤَلِّف بين قلوب المُسْلِمِينَ في كلِّ مكان.

وأنْ يُعِينهم على العمَل بكلِّ الوسَائل الَّتي تَنفعهم في الدَّارَيْن.

وأنْ يَحفظهم مِن كَيْدِ الكائدين، ويَرُدَّ عَنهم مَكْرَ المَاكرين، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

تحذير الأحباب

من التَّنابز بالألقاب

تحذير الأحباب من التنابز بالألقاب

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يَنبغِي على كلِّ مسلم- أَيُّها الأَحِبَّةُ الأَفَاضِلُ- أنْ يسْتَعمل لسَانه في كلِّ ما يَنفعه، ويُزينه، ويُجنِّبه ما يضرُّه ويُشينه؛ **يقولُ الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «اعْلَم أنَّه يَنبغي لكلِّ مُكلَّف أنْ يَحفظ لِسَانه عن جَمِيع الكَلَام إلَّا كلامًا ظهرَتْ فيه المصْلحَة، ومتَى استوى الكلَام وتركه في المصلحة، فالسُّنةُ الإمساكُ عنه؛ لأنَّه قد يَنجرُّ الكلَام المباحُ إلى حرَامٍ أو مَكْروه، وذَلِكَ كثيرٌ في العادة، والسَّلامة لا يَعدلها شيءٌ»(١).

ومما يجِبُ علَيْنا جميعًا- أَيُّها الكِرَامُ- أنْ نحفَظ ألسِنَتنا مِن نَبْز الآخَرين بألقَابٍ يَكْرهُونها، وذِكرهم بأوصافٍ لا يحبُّونهَا، ومُنادَاتهم بأسْمَاء فيها انتِقَاصٌ لهم؛ لأنَّ هَذَا عمل ذميم، وفِعْل

---

(١) «رياض الصالحين» (ص٢٧٦).

مشين، قَدْ نهانَا عنه ربُّ العَالمين، حيْثُ قال أرْحَم الرَّاحِمين: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ أي: لا يُعَيِّر أحدُكم أخَاه، ويُلَقِّبه بلقَبِ ذَمٍّ يَكره أنْ يُطلَق عليه؛ وهَذَا هو التَّنابُز، وأمَّا الألقابُ غيرُ المَذْمُومَة، فلَا تَدخل في هَذَا»(١).

ويقولُ الإمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الألقَابُ: جمع لَقَب، وهو اسمٌ غير الَّذِي سُمِّيَ به الإنسانُ، والمراد هُنا: لقب السوء»(٢).

وهو لا يَصْدُر عن أهل الصَّلاح والإيمَان، وإنَّما يُعرَف عن الفُسَّاق الَّذِين هم مِن أولياء الشَّيطَان؛ يَقُولُ العَزِيز الرَّحمن: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

يَقُولُ الإمامُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: المعنى أنَّ مَن لقَّبَ أخاه، أو سَخِرَ منه فهو فاسقٌ»(٣).

بل إنَّ هَذَا الفِعْل القَبِيح، والعمَل الشَّنيع عُرِف كذَلِكَ- أيُّها الإِخْوَة والأَخَوات- عن أهل البِدَع والمحْدَثات، فإنَّ مِن علَاماتِهم

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٠١).

(٢) «فتح القدير» (٥/ ٦٤).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٢٨).

الَّتي اشتُهرت عنهم- قديمًا وحديثًا- الوقيعةَ ونَبزَ أَهْلِ السُّنة والجَماعة بألقَابٍ ليْسَتْ فيهم؛ يَقُولُ الإمامُ أبو حَاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علَامةُ أهل البِدَع: الوقيعةُ في أهْلِ الأَثَر»(١).

يَقُولُ العلَّامةُ عبدُ اللَّطِيف آل الشَّيخ رحمه الله تعالى: «مِن عادة أهل البِدَع إذا أَفْلَسُوا مِن الحُجَّة، وضاقَتْ عليهم السُّبل تَروَّحُوا إلى عيبِ أهل السُّنَّة، وذَمِّهم، ومَدْح أنفُسهم، والواجِب أنْ يتكلَّم الإنسَانُ بعلمٍ وعَدْلٍ»(٢).

وإنَّما سلَكُوا هَذَا المنْهَج الذَّميم وهَذِهِ الطَّريقة المُنكرة بقصدٍ خَبِيث، وغاية فاسِدَة، ألَا وهي تَنفير النَّاس، وإبعادهم عن المنهج القويم، وانتِقَاص أهل السُّنَّة وعُلمائهم، وضَرب مَكانتهم عند عوام المُسْلِمِينَ؛ يَقُولُ الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد رأيْتُ لأهْلِ الأهواء والبِدَع والخِلَاف أسمَاء شَنِيعَة قَبيحة يُسَمُّون بها أهلَ السُّنَّة، يُريدون بذَلِكَ عَيْبَهم، والطَّعنَ عليهم، والوقِيعَةَ فيهم، والإزراءَ بهم عند السُّفهاء والجهَّال»(٣).

فيا مَن عُرِف بالنَّبْز، واشتهر بتَعْيير الآخرين، وذَمِّهم، ووصْفِهم

---

(١) «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٧٩).
(٢) «الدُّرر السَّنية في الأجوبة النجدية» (٤/ ١٠٢).
(٣) «طبقات الحنابلة» لأبي يَعْلى (١/ ٣٥).

بمَا لَيْسَ فيهم مِن ألقاب: ألَا تَدري أنَّ فعلك هَذَا هو مِن نَتاج إصابَتِك بدَاءٍ عُضَال، ومرض قتَّال، الَّذِي نهانا عنه الكبير المُتعال، ألَا وهو مَدْحُ وتَزكية النَّفس، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]؟!

يقول الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تَشْهَدوا لأنفسِكم بأنَّها زَكيَّة، بَريئة من الذُّنوب والمعاصي»(١).

هَذَا الدَّاء الَّذِي قد يَجُرُّ صاحِبَهُ إذا لم يَتدارَكْ نفْسَه إلى الوقُوع في مرَضٍ أشد ضررًا، وأعْظَم خطرًا منه، ألَا وهو العُجب الَّذِي بدَوْرِه قد يَجُرُّه إلى داءٍ هو أفْتَك منه، ألَا وهو الكِبْر!

يَقُولُ الإمامُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إعْجَاب المَرء بنَفْسِه: هو مُلَاحظته لها بعَيْنِ الكمَال، مع نِسْيَان نعمة الله، فإنْ احْتَقَر غيرَه مع ذَلِكَ فهو الكِبْرُ المَذْمُوم»(٢).

ألَا تعلم- كذَلِكَ- أنَّكَ تَحْتَقِر بصَنِيعك هَذَا إخْوَانَك، وقد نُهينا عن ذَلِكَ، وحَذَّرنا منه نبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أشدَّ التَّحذير؛ فَعَن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ من الشَّر أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**»(٣).

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٤٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢٦١).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ دَقيقِ العِيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه تحْذِيرٌ عظِيمٌ مِن ذَلِكَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يحقره؛ إذْ خَلَقَهُ ورزَقَهُ، ثم أحسن تقويمَ خَلقِه، وسَخَّر مَا في السَّموات وما في الأرض جميعًا لأجْلِه، وإنْ كان له ولغَيْره فله مِن ذَلِكَ حصَّة.

ثُم إنَّ اللهَ- سبحانه- سمَّاه مُسْلِمًا ومُؤمنًا وعبدًا، وبَلَغ مِن أمره إلى أنْ جَعل الرَّسُول منه إليه محمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فمن حقَّر مسلمًا مِن المُسْلِمِينَ؛ فقد حقَّر ما عَظَّم الله عَزَّوَجَلَّ وكافيه ذَلِكَ، فإنَّ مِن احْتِقَار المسلم للمُسْلِم أنْ لَا يُسَلِّم عليه إذا مَرَّ، ولا يُرد عَلَيْهِ السَّلَامَ إذا بَدَأَ بِه، ومنها أنْ يَراه دون أنْ يُدخله اللهُ الجَنَّة، أو يُبعده مِن النَّار»(١).

ألَا تَعْلَمْ كذَلِكَ: أنَّ مِن نَتاج التَّنابز بالألْقَاب وانتِقَاص الآخَرين قَطْعَ أوَاصِر الأُخوَّة الإيمَانيَّة، وإفسَاد الألفة والموَدَّات، وتتولَّد بسَبب ذَلِكَ الأحْقَاد والعدَاوَات الَّتي تَجُرُّ إلى المُنَازعَات والخصُومَات التي هي وبَالٌ وضررٌ على الأفرَاد والمجتَمعَات.

يقولُ الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخصُومة تُوغِر الصُّدور، وتُهَيِّج الغضَبَ، وإذا هَاجَ الغضَبُ حَصَلَ الحِقْدُ بينهما، حتَّى يَفرح كل واحدٍ بمسَاءة الآخر، ويَحزن بِمَسَرَّته، ويُطلق اللِّسَان في عِرْضِه»(٢).

---

(١) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق (ص٩٢).
(٢) «الأذكار» (ص٢٩٦).

فعليك- يا مَن ابتُلِيت بهَذَا المرَض الدَّفين والدَّاء المشين- أنْ تُبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى الله ربِّ العَالمين قبل فوَات الأوَان؛ لأنَّ الإنْسَان لا يَجْنِي يوم وقُوفِه بين يدَي الرَّحمن إلَّا ما قدَّم مِن أعمَال، وما جَناه عليه اللِّسَانُ؛ فعن معاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار على وُجُوهِهِمْ- أو على مَنَاخِرِهِمْ- إلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**»[(١)].

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «**إلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**»، أي: محصوداتها؛ شَبَّه ما يَتكلَّم به الإنسَانُ بالزَّرعِ المَحصُود بالمنْجَل، وهو مِن بلَاغة النُّبوَّة، فكما أنَّ المنجل يَقطع، ولا يُمَيِّز بين الرَّطب واليَابس، والجيِّد والرَّديء، فكذَلِكَ لِسَانُ بعض النَّاس يتكلَّم بكُلِّ نوعٍ مِن الكلَام حسَنًا وقبيحًا.

والمعنى: لا يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار إلَّا حصائدُ ألسِنَتهم مِن الكُفر والقَذْف والشَّتم، والغِيبَة، والنَّمِيمَة، والبُهتان، ونحوها»[(٢)].

فليَحْذَر أشدَّ الحذَر مِن أنْ يتورَّع فقط عن القِيَام ببعض الأعمَال المُحَرَّمة الَّتي نهَانا عنها العزيزُ الرَّحمنُ، ويُطلق للسَانه العِنَان في الغِيبَة والنَّمِيمَة، ونَبْز وتَعيير الآخرين، وغير ذَلِكَ مِن أنواع العِصْيَان المُتَعَلِّقة باللِّسان، فإنَّ هَذَا مِن تلبِيس الشَّيطَان.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١/ ١٨٤).

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن العَجَب أنَّ الإنسان يَهون عليه التَّحفُّظ والاحتِرَازُ مِن أكْلِ الحَرام، والظُّلم، والزِّنا، والسَّرِقة، وشُرب الخَمْر، ومِن النَّظر المحَرَّم، وغير ذَلِكَ، ويَصْعُب عليه التَّحفُّظ مِن حركَةِ لِسَانه؛ حتَّى يُرَى الرَّجُل يُشار إليه بالدِّين، والزُّهد، والعِبَادة، وهو يتكلَّم بالكلمة مِن سَخَط الله لا يُلقي لها بالًا يَنزل منها أبْعَد ما بين المشْرِق والمغَرب.

وكم ترَى مِن رَجُلٍ مُتورِّعٍ عن الفَواحِش والظُّلم، ولسَانه يَفْري في أعْرَاض الأحيَاء والأموات، ولا يُبالي ما يَقُولُ!»[١].

فَعَلَى كُلِّ مَن أرادَ النَّجاةَ والفلَاح- بإذن ربِّ البرِيَّة- في الدُّنيا الفَانية والآخِرَة الباقية: أنْ يَعْمَل بهَذِهِ الوصيَّة النَّبوِيَّة؛ فعن سَهْلِ بن سَعْدٍ الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَن يَضْمَنْ لي مَا بَيْن لَحْيَيْهِ ومَا بيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ له الجَنَّة**»[٢].

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلَّ الحديثُ أنَّ أعْظَم البَلاء على العَبْد في الدُّنيا اللِّسَان والفَرْج؛ فَمَن وُقِيَ شَرهُما فقد وُقِيَ أعْظَم الشَّرِّ»[٣].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقنا- وإيَّاكُمْ-

---

(١) «الجواب الكافي» (ص١١١).

(٢) رواه البخاري (٦١٠٩).

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ١٨٦).

لكلِّ ما يُحِبُّه ويَرضاه، ومن ذَلِكَ أن نَستعمل ألسِنَتنا فيما يَنفعنا في الدَّارَيْن.

وأن يُجَنِّبَنا كلَّ ما يُبغضه ويَأْبَاه، ومِن ذَلِكَ انتقاصُ ونَبْزُ الآخرين؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

الصَّبر علىٰ تحصيل العِلم الشَّرْعِي

الصبر على تحصيل العلم الشرعي

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن أعظَم ما يُوفَّق إليه العَبدُ بعد نعمة الإسْلَام، والتمسك بهدي خير الأنام- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكرام- أنْ يُيَسَّر له التَّفقه في دين العَزِيز العَلَّام؛ فعن مُعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ يُرِدْ اللهُ به خَيْرًا يُفقِّهه فِي الدِّين**»(١).

يَقُولُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُٱللَّهُ: «وفيه فَضْلُ الفِقْه في الدِّين على سَائر العُلوم، وإنَّما ثَبَتَ فضْلُه؛ لأنَّه يَقُود إلى خَشْيَة الله، والتِزَام طاعَته، وتجنُّب مَعَاصِيه»(٢).

لـكنَّ نَيْلَ هَذَا الشَّرف الكَريم وتحصيلَ هَذِهِ المرتَبة الرَّفيعة لا

---

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) «شرح ابن بطال على صحيح البخاري» (١/ ١٥٤).

يَكُونُ- بعد تَوْفِيق العَزيز الوهَّاب- إلَّا ببَذْل مَا يُعين على تحصِيلهَا مِن أسباب.

ومِن أهمِّهَا بعد إخلَاص النِّية، وصدق الطَّلب: أنْ تُبذل فيها الأوْقَات، وتُستغل فيها الطَّاقات؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا سَعادةُ العلم فلا يُورثك إيَّاها إلَّا بَذْلُ الوُسْع، وصِدْق الطَّلب، وصحَّة النية»(١).

لأنَّ حِكمة العزيز الحكيم اقتضَتْ أنَّ مَعَالي الأمور لا تُنال بالنَّعِيم، وإنَّما تُدرَك- بعد توفيق ربِّ العالمين- بالعُبور على جِسْر التَّعب، والسَّير على طرِيق النَّصب.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد استقَرَّتْ حِكْمَتُه سبحانه أنَّ السَّعادة والنَّعيم والرَّاحة لا يُوصل إليها إلَّا على جِسْر المشقَّة والتَّعب، ولا يُدخل إليها إلَّا مِن باب المَكاره، والصَّبر، وتحمُّل المشاق؛ ولذَلِكَ حَفَّ الجنَّةَ بالمكاره والنَّارَ بالشَّهوات»(٢).

ويَقُولُ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذْ المَصَالح والخيْرَات وَاللَّذَّات والكمَالَات كلها لا تُنال إلَّا بحظٍّ مِن المَشَقَّة، ولا يُعبر إليها إلَّا على جِسْرٍ مِن التَّعَب.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٠٨).

(٢) «شفاء العليل» (ص٢٢٥).

وقد أجمع عُقلَاءُ كلِّ أمَّةٍ على أنَّ النَّعيم لا يُدْرك بالنَّعيم»[١].

وأنه بحسب البَذْل والعَطاء، والصَّبر على المَشَاق تكون العَواقِبُ والنَّتائج؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِحَسب ركُوب الأَهْوَال واحتِمَال المَشاق تكون الفرحة واللَّذة، فلا فرحَةَ لمن لا همَّ له، ولا لَذَّة لمن لا صَبْر له، ولا نَعِيم لمن لا شقاء لَهُ، ولا راحةَ لمن لا تَعَبَ له»[٢].

لقد عَرف مَن سبقنا مِن الصَّالحِين مَكانةَ العِلم، وأدرَكُوا شرفه، فصرفوا لتحْصِيله مُعظَمَ أوْقَاتهم، وعَمروا به أكثر سَاعاتهم، وبذَلُوا مِن أجْلِ نَيْلِه أعلى طاقَاتهم؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَيْهَات، ما وصل القَوْمُ إلى المَنزل إلَّا بعد مُواصَلة السَّرى[٣]! ولا عَبروا إلى مَقَرِّ الرَّاحة إلَّا على جِسْر التَّعَب»[٤].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلمُ التَّامُّ لا يُنال براَحةِ الجِسْم، لا بُد مِن تَعَبٍ، ولهَذا يقال: «أَعْطِ العِلم كُلَّك تَنَلْ بعضَه، وأعطه بعضك يُفوتك كله»، فلا بُدَّ مِن تعب، لكن إذا قرأت التَّاريخ بالنسبة للعلماء الكبار عرفتَ أنهم يَتعبون تعبًا عظيمًا؛

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٥).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٥).

(٣) سَيْر عَامَّة الليل. «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (١/ ١٢٩٤).

(٤) «بدائع الفوائد» (٣/ ٧٣٥).

يَسهرون اللَّيل مِن أجْلِ مَسْألةٍ واحدة، ومع ذَلِكَ ما يَسهرون على مثل هَذِهِ الأنوار، بل على شَمع يُتعب العين عند القراءة في ضوئه، لكنهم مجتهدون؛ لأنهم يَعلمون أنَّ هَذَا جهادٌ في سبيل الله»(١).

فَمِن هؤلاء الأئمَّةِ الأعْلَام على سَبيل المِثال لا الحَصْر- أَيُّها الأفاضلُ الكِرامُ- **الإمامُ الحافظُ عَامِرُ بن شَرَاحيل الشَّعْبي الكُوفي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: بعد ١٠٠)- قيل له: مِن أين لك هَذَا العلم كلُّه؟**

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «بنفي الاعتِماد، والسَّير في البلاد، وصَبْرٍ كَصَبْر الجَمَاد، وبُكورٍ كبُكور الغُرَاب»(٢).

ومنهم- أيضًا- الإمامُ عبد الرَّحمن بن أبي حَاتم الرَّازي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٣٢٧هـ)؛ صاحب «الجَرح والتعديل» حيث قال: «كُنَّا في مِصْرَ سبعَة أشهر لم نَأكُل فيها مَرَقَة، كل نَهارنا مُقَسَّم لمجالِس الشُّيوخ، وباللَّيل النَّسْخُ والمُقَابَلة؛ فأَتَيْنَا يومًا أنَا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل، فَرَأَيْنا في طرِيقِنَا سَمكة أعجبتنا، فاشتَرَيْناهَا، فلمَّا صِرْنا إلى البَيْت حَضَر وقتُ مجلسٍ، فلَمْ يُمكنا إصْلَاح هَذِهِ السَّمكة، ومَضَيْنا إلى المجْلِس، فلَمْ نزَل حتَّى أتَى على السَّمكة ثلاثةَ أيَّام، وكادَتْ أن تتغيَّر فأكلنَاها نيئة، لم يَكُن لنَا فرَاغٌ أنْ نَشْوِيَ السَّمك. ثم قال:

---

(١) «لقاء الباب المفتوح» (١٤/ ٢٢٠).

(٢) «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي (ص١٩٦).

«إنَّ العِلمَ لا يُستطَاع براحةِ الجَسَد»(١).

ومِن هؤلاء الأعلام كذَلِكَ الحافظُ ابن مَنْدَه؛ أبو عبد الله محمد بن إسحاق الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٩٥هـ)، محدِّث الإسْلَام الَّذِي رَحَل في طلب العلم وعُمُره عشرون سنة، ورجع وعُمُره خمس وسِتُّون سنة، وكانت رحلته خمسًا وأربعين سنة.

يَقُولُ الإمام الذَّهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعلِّقًا على رحلته: «ولم أعلم أحدًا كان أوسع رحلةً منه، ولا أكثر حديثًا منه، مع الحِفْظ والثِّقة، فبَلغنا أن عِدَّة شيوخه ألف وسبع مئة شيخ»(٢).

ومنهم- أيضًا- الإمامُ، الحافظُ، الرَّحالُ، صاحبُ التَّصنِيفَات الكثيرة، والكتب المفيدة- أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٥٠٧هـ) حيث يَقُولُ عن نفسه: «بُلْتُ الدَّمَ في طلَبِ الحدِيث مرَّتين؛ مرَّة ببَغْدَاد، ومرَّة بمكَّة، كنت أمشي حافيًا في الحرِّ فلَحِقَني ذَلِكَ، وما رَكِبتُ دابةً قطُّ في طلَبِ الحديث، وكنت أحمِلُ كتبي على ظَهري»(٣).

فهَذِهِ التَّضحياتُ وهَذَا البَذْل مِن هؤلاء الأئمَّة الأعلَام في سبيل

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٣٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٣٠).

(٣) «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي (ص٢١٢).

تحصيل العِلم لا يُستغرب منهم؛ لأنَّه مَن ظهرت له قيمةُ الشَّيء ومَكانته ضَحَّى وبَذَل ما يَملك مِن أجْلِ تحْصِيله، والظَّفر به، فهَؤلاء عَلِمُوا أنَّ العِلم الشَّرعي المُثمر للخَيرات غالٍ ونفيس فلا يُنال بشيء دنيء وخَسيس، بل لا بد- بعد توفيق رب البرِيَّة- من البذل والتَّضحية.

يَقُولُ ابنُ الجَوْزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمَّلتُ عَجَبًا، وهو أنَّ كل شيء نفيس خطير يَطول طريقُه، ويَكثر التَّعبُ في تحصيله؛ فإنَّ العِلم لما كان أشرَف الأشياء لم يَحصل إلَّا بالتَّعَب والسَّهر والتَّكرار، وهَجر اللَّذات والرَّاحة»(١).

فيا طالبَ العِلم، إيَّاك ثُم إيَّاكَ أنْ تُفرِّط في هَذِهِ النِّعمة الكَرِيمة، والمِنَّة الجليلة بَعْد أنْ وفَّقَك العَزيز الرَّحمن لسُلوك طرِيقهَا!

أَخْلِص نيَّتك لخالِقكَ الكريم، واصْدُق في طلبك للعِلم، واحرص- رعاك الله- علَى الاقتِدَاء بِمَن سَبَقَ مِن الصَّالحِين، وعلى سَماع أخبَارهم، وقِراءة سِيَرهم.

واحذَرْ أشدَّ الحَذَر مِن المعاصي والذنوب التي هي أصْل كل بلَاء، ومصدر كل شقاء، ومِن أسْباب مَنْع التَّحصيل، وحِرْمَان التَّوفيق، وعليك دائمًا بالصَّبر، والمُصابرَة في طلب العلمِ وإنْ قلَّ الأعْوَانُ،

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٤٤٥).

ولم تجد سَنَدًا من الأهل والأصحاب والإخوان.

والصَّبرَ الصَّبرَ على الأهْوال والخُطوب إذا أردت الوصول، ونَيْل المرغوب؛ يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصَّبر هو المعُونة العَظِيمَة علَى كل أمر، فلَا سَبيلَ لغير الصَّابر أنْ يُدرك مَطْلُوبَهُ خصوصًا الطَّاعات الشَّاقة المستمرة، فإنَّها مُفتَقِرة أشد الافتِقَار إلى تحمُّل الصَّبر، وتجرع المرَارة الشَّاقة، فإذا لَازم صاحِبها الصَّبر فاز بالنَّجاح، وإنْ ردَّه المكروه والمشقة عن الصَّبر والملَازمة عليها لم يُدرك شيئًا، وحَصل على الحرمان»[١].

واحذَرْ- أيضًا- أشدَّ الحذَر- قوَّاك الله- مِن أنْ تُصاب بالكسَل الَّذي هو داءٌ خطِير، ومرض عسِير يُثبِّط النَّفس عن فِعْل الطَّاعات، ويمْنَعها من عمل الخيرات؛ يَقُولُ الفُضَيلُ بن عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكسَلُ فترة تقع بالنَّفس، وتُثَبِّط عن العمل»[٢].

واحرِصْ- رعاك الله- أنْ تكون دومًا همَّتك عالية في طلب العِلم والمبادرة لكلِّ خير؛ لأنَّ علُو الهمَّة مِن أسبَاب النَّجاح والفلَاح، وضعفها ودُنوها سببٌ للحِرْمَان والخسْرَان؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَنْ عَلَتْ همَّتُه، وخَشَعت نفسُه اتَّصَف بكل

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٧٥).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/ ٣٤٧).

خلق جميل، ومَن دَنَتْ همَّته، وطغَتْ نفسُه اتَّصَف بكل خلُقٍ رَذِيل»[(١)].

فالعِلمُ عَزيزٌ وشَرِيفٌ، والشَّريف لا يُنال برَاحةِ الجِسْم؛ **يَقُولُ الإمامُ يَحْيَى بْن أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «لَا يُسْتَطَاعُ العِلمُ بِرَاحَةِ الجِسْمِ»[(٢)].

يَقُولُ العَلَّامَةُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعُلمَاءُ وطلَبَةُ العِلم في دور العِلم الشَّرعي على خَيْر عظِيم، وعلَى طريق بحمد الله مُستقيم، لمن وفَّقه اللهُ لإخلاص النِّية، والصِّدق في الطَّلب.

وهنيئًا لطلبة العِلم الشَّرعي أن يتفقَّهوا في دِين الله، وأن يَتَبَصَّرُوا فيما جاء به رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الهُدى والعلم، وأن يُنافسوا في ذَلِكَ، وأنْ يصبروا على ما في ذَلِكَ من التَّعب والمشقَّة، فإنَّ العِلم لا ينال براحة الجِسْم، بل لا بد مِن الجد والصَّبر والتَّعب، وهَذَا الإمام مسُلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» في أبواب (المواقيت)، من كتاب (الصَّلاة) لما ساقَ عدَّة أسَانيد ذكر فيها، **عن يَحْيَى بْن أَبِي كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:** «لا يُنال العِلمُ براحة الجِسْم».

ومقصوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن هَذَا التَّنبيه على أنَّ تحصيل العِلم والتَّفقه

---

(١) «الفوائد» (ص١٤٤).

(٢) «صحيح مُسلم» (١/ ٤٢٨).

في الدِّين يحتاج إلى صَبْرٍ ومُثابرة، وعناية وحِفْظ للوقت، مع الإخلاص لله، وإرادة وَجْهه»(١).

وفي الأخير: عليكَ أنْ تَعْلَم- يا مَن وُفِّقْتَ لطلَبِ العلم- أنَّ ما تَبْذله مِن تَعَبٍ ومَشقَّة لتَحْصِيل العِلم في صِغَرك وشبَابك، ستجده بعونِ خالِقكَ عند تقدُّم سنِّك وكِبَرك؛ يَقُولُ ابنُ الجوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأمَّا مَن أنفق عصر الشَّباب في العِلم، فإنَّه في زمَن الشَّيخوخة يَحمد جَنْيَ ما غرس، ويَلتذُّ بتَصْنِيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد مِن لذَّات البدن شيئًا بالإضَافة إلى ما يناله مِن لذَّات العلم، هَذَا مع وجُود لذَّاته في الطَّلب الَّذِي كان تأمل به إدراك المطْلُوب»(٢).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكلِّ ما يُحبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ تحصِيل العِلم النَّافع، والصَّبر عليه، والتَّوفيق للعمل الصَّالح، ولكل أنوَاع الخيْرَات، وأنْ يُجنِّبَنا جميعًا ما يُبغِضُه ويأبَاه، ومِن ذَلِكَ الجهل والكسَل، وجميع أنواع المُنكرَات، فهو- سبْحانَهُ- ربُّ البريَّات، وقريبٌ مُجيبُ الدَّعوات.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبه أجْمَعِين

---

(١) «مجموع فتاوى الشَّيخ» (٧/ ١٧٩).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٧٧).

تذكير الأنام
بمكانة الأيتام في الإسلام

تذكير الأنام بمكانة الأيتام في الإسلام

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ دينَ الإسْلَام- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- قد أمرَنا بالإِحسَان إلى الأَيْتَام، وحثَّنا كثيرًا على إعطائهم مزيدًا مِن الاهتمام؛ **يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وقد حَثَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ على الإِحسَان في عِدَّة آيات مِن كتابه، وبين أنَّه يُحِبُّ المُحْسِنين، والَّذِين هُم في حاجة إلى الإِحسَان يَكُون الإحسَانُ إليهم أفضل وأكمل؛ فَمِنهم اليتامى»[(١)].

ومما يَنبغي أن نعلمه- أَيُّها الأفاضلُ- أنَّ اليَتيم في شرعنا الكريم هو مَنْ فقدَ أباه لا أمَّه؛ **يَقُولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «اليَتيمُ في الآدميِّين مَن فَقدَ أباه؛ لأنَّ أباه هو الَّذِي يُهذِّبه ويَرْزقُه، ويَنصُره بمُوجب الطَّبْع المَخلوق»[(٢)].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٧٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١٠٨).

وأنْ يَكُون الفَقْدُ قد حصل له قَبل سِنِّ البُلوغ؛ فعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ...**»[(١)].

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيْ: لَا يجري عَلَى البَالغ حُكم اليَتيم، والحُلم ما يُرى مِن أمَارة البَلوغ»[(٢)].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «واليَتِيم: هو الصَّغيرُ الَّذِي مات أبوه قبل بلوغه؛ سواء كان ذكرًا أو أُنثى، ولا عِبْرةَ بوفاة الأم، يعني: أنَّ اليتيم هو الصَّغير الَّذِي مات أبوه قبل بلوغه وإنْ كان له أُمٌّ، وأمَّا مَن ماتَتْ أمه، وأبوه موجود فليس بيتيم، خلافًا لما يَفهمه عوَامُّ النَّاس؛ حيث يظنُّون أنَّ اليَتِيمَ هو الَّذِي ماتَتْ أمه، وليس كذَلِكَ، بل اليَتِيم هو الَّذِي ماتَ أبوه، ويُسمَّى يتيمًا ليُتمِه.

واليُتم: هو الانفراد؛ لأن هَذَا الصَّغير انفرد عن كاسِب، وهو صغيرٌ لا يَستطيع الكَسب»[(٣)].

وإنَّ مِن أعظم أنواع البر والإِحسَان التي يُقَدِّمها المُسْلِم

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٥٠٤).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٧٩).

لليَتِيم- أَيُّها الأفاضلُ والإِخْوَانُ- أنْ يَكفُلَه، ويَحرص أشدَّ الحِرص على القِيَام بمصَالحه، ومَدِّ يَد العَوْن له؛ لعلَّه بفعله هَذَا يُعوِّضه- بإذن العَزيز الودود- شيئًا مِن عَطْفِ وحنَان الأب المفقود؛ يقولُ الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كافلُ اليَتِيم: القائم بأموره مِن نفقةٍ وكِسْوةٍ، وتأديبٍ وتربية، وغير ذَلِكَ»(١).

ويَقُولُ الإمامُ الذَّهبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كفالة اليتيم هي: القيام بأمُوره، والسَّعي في مصالحِهِ مِن طعامه وكِسْوَته، وتنْمِيَة ماله إنْ كان له مال، وإنْ كان لا مال له أَنْفَقَ عليه وكساهُ ابتغاء وجه الله تعالى»(٢).

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكفالة اليَتِيم هي: القِيَام بما يُصلحه في دينه ودنياه؛ بما يصلحه في دِينه مِن التَّربية، والتَّوجيه، والتَّعليم، وما أشبه ذَلِكَ، ومَا يُصلحه في دُنياه مِن الطَّعام والشَّراب والمَسْكَن»(٣).

ويَكفي هَذَا العمَل النَّبيل والفِعْل الجليل شرفًا وفضْلًا أنَّ مَن أخلص نِيَّته لربِّ العالمين؛ كان له- بإذن القوي المتين- سببًا في مُرافقة

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٨/ ١١٣).

(٢) «الكبائر» (ص٦٧).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٩٧).

خير المرسَلِين في جنَّة أرْحَم الرَّاحِمين؛ فعن سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجنَّة هَكَذَا**»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شيئًا[(١)].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَقٌّ على كل مُؤمن يسْمَع هَذَا الحديث أنْ يَرْغب في العمَل به؛ ليَكُون في الجنَّة رَفيقًا للنبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولجماعة النَّبيِّين والمرسَلِين صلوات الله عليهم أَجْمَعِين، ولا مَنْزِلَةَ عند الله في الآخِرَة أفضَلُ مِن مُرافقة الأنبيَاء»[(٢)].

ولشِدَّة عناية دِينِنَا القويم بحقِّ اليتيم لَمْ يكْتَف بالحثِّ على إكرامه والإحسَان إليه، بل حذَّرَنا أشد التَّحذير مِن ظُلمِه، وإساءة معاملته، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾ [الضحى: ٩].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾ أي: لا تُسِئ مُعاملة اليتيم، ولا يَضِقْ صدرُك عليه، ولا تَنْهَره، بل أكْرِمْهُ، وأعْطِهْ ما تيسَّر، واصنع به كمَا تُحِبُّ أنْ يُصنع بولَدِكَ مِن بعدك»[(٣)].

وجعَلَ أَكْلَ مَالِه -أيُّها الإخْوَة والأَخَوَات- مِن المُوبِقَات المهلكات؛ يقول الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وثبَتَ في «الصَّحيح» أنَّ

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩٨).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢١٧).

(٣) «تفسير السعدي» (ص٩٢٨).

أكلَ مال اليَتِيم أحدُ السَّبع المُوبقات، فالواجب على مَن ابتلي بيتيم أنْ يقف على الحدِّ الَّذِي أباحه له الشَّارعُ في الأكل مِن ماله ومخالطته؛ لأنَّ الزِّيَادَةَ عليه ظُلمٌ يَصْلَى به فاعِلُه سعيرًا، ويَكُون مِن المُوبَقِينَ؛ نسأل الله السَّلامة»[١].

يُشير- رحمه ربُّ العالمين- إلى ما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**». قِيلَ: يا رَسُولَ الله، وما هُنَّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ الله إلا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يوم الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصِنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ**»[٢].

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُٱللَّهُ: «وخَصَّ اليَتيم؛ لأنَّه لا أَحَدَ يُدافع عنه؛ ولأنَّه أَوْلَى أن يُرحَم، ولهَذَا جعل اللهُ له حقًّا في الفَيْءِ، وإذا كان أحق أن يُرحم؛ فكيف يَسْطُو هَذَا الرَّجُل الظالم على ماله فيأكله؛ ويقال في أكل مال اليتيم ما قيل في أكل الرِّبَا؛ فليس خاصًّا بالأكل، بل حتَّى لو استَعْمَلَهُ في السَّكَن، أو الفَرش، أو الكتب، أو غيرها؛ فهو داخِلٌ في ذَلِكَ.

وأكل مال غير اليتيم لَيْسَ مِن الكبائر؛ لأنَّ اليتيم له شأنٌ

---

(١) «نيل الأوطار» (٥/ ٣٧٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩)، واللفظ له.

خاصٌّ...»(١).

بل توعَّد العزيزُ الوهَّاب مَن ظلمَهُ وأكل مالَهُ بأشد العِقَاب، حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ أي: بغير حقٍّ.

وهَذَا القَيْدُ يخرج به ما تقدَّم مِن جوَاز الأكل للفقِير بالمعروف، ومِن جوَاز خَلْط طَعَامهم بطَعامِ اليتامى.

فَمَنْ أكلها ظُلمًا فإنَّما ﴿يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ أي: فإن الَّذِي أكلوه نارٌ تتأجَّج في أجوافهم، وهم الَّذِين أدخلوها في بطونهم، ﴿وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ أي: نارًا محرقة متوقدة، وهَذَا أعظم وعيد ورَدَ في الذُّنوب، يدلُّ على شناعة أكل أموال اليَتامى وقبحها، وأنَّها مُوجبة لدخول النَّار؛ فدلَّ ذَلِكَ أنها مِن أكبر الكبائر؛ نسأل الله العافية»(٢).

إنَّ قسوةَ القلب وعدم تأثره عند ذكر العزيز الكبير- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- داءٌ عُضالٌ، ومرضٌ قتَّال يُعاني منه الكثير إلَّا مَن

---

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٥٠٣).

(٢) «تفسير السعدي» (ص١٦٦).

رحمه العَلِيم القدير؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ما ضُرب عبدٌ بعقُوبةٍ أعْظَم مِن قسْوَة القَلب، والبُعد عن الله»(١).

فمَنْ أراد التَّخلُّص مِن هَذَا الدَّاء، والتَّغَلُّب على هَذَا الوباء؛ فعليه أوَّلًا بالتَّوبة والرُّجوع إلى رب البرِيَّة، ثم ببذل ما يُعينه على التَّغلب عليه من الوسائل الشَّرعية، والأدوية الإيمَانية التي حثَّنا عليها رسولُ العَزيز العَلَّام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ كالبُعد عن المعاصي والآثام، وأيضًا المَسح على رأس الأيتام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رَجُلًا شَكَا إلى رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلبِهِ! فقال له: «**إن أَرَدْتَ أن يَلين قَلبُكَ فَأَطْعِمِ المِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ**»(٢).

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَسْوَة قَلبِه»، أي: قَساوته وشِدَّته وقِلَّة رِقَّتِه، وعدم أُلفَتِه ورحمته، قال: «**امْسَحْ رَأْسَ اليَتِيم**»؛ لِتتذكر الموت فيغتنم الحياة، فإنَّ القسوةَ مَنشؤها الغفلة، «**وأطْعِمْ المِسْكِين**»؛ لِتَرى آثارَ نعمة الله عليك، حيث أغْنَاك، وأحوج إليكَ سِوَاك، فيَرِق قلبُك، وتَزُول قسوتُه؛ ولعلَّ وجه تخصيصهما بالذِّكْر: أنَّ الرَّحمَة على

---

(١) «الفوائد» (ص٩٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٣)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٨٥٤).

الصَّغير والكبير مُوجِبَة لرحمة الله تعالى على عبده المُتخلِّق ببعض صفاته، فيُنزل عليه الرَّحمَة، ويَرفع عنه القَسْوَة.

وحاصله: أنَّه لَا بُدَّ مِن ارتِكَاب أسباب تحصيل الأخْلَاق بالمعالجة العِلميَّة، أو بالعمَلية، أو بالمعجون المُرَكَّب منهما على ما بَيَّنَه في «الإحياء»(١).

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَم أنَّ الرِّفق بالضُّعفاء واليَتامى والصِّغار يجعل في القلب رحمة ولِينًا وعطفًا، وإنابة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لا يُدركها إلَّا مَن جرَّب ذَلِكَ، فالَّذِي يَنبغي لك أن ترحم الصِّغار، وتَرحم الأيتام، وترحم الفُقرَاء، حتى يَكُون في قَلبِك العَطْفُ والحنانُ والرَّحمَةُ»(٢).

فالبِدَارَ البدَار- أيُّها الإِخوةُ والأَخَوَاتُ- لاغتِنَام ما بقِيَ مِن أعمَارنا مِن أيَّامٍ وساعات، واستثمارها في أنوَاع البر والخيرات، ومِن ذَلِكَ الحرص على كفالة الأيتام، والعمَل بتعاليم دين الإسْلَام قَبْل أن نندم على ما ضيَّعْنا مِن أوقات، فلا تنفعنا يومها الحسَراتُ، ولا حول ولا قوة إلَّا بربِّ البريَّات؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «اشتَرِ

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٢٠٦).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٨٩).

نفْسَكَ اليوم؛ فإنَّ السُّوقَ قائمةٌ، والثَّمَنَ موجودٌ، والبضائعَ رخيصةٌ، وسيأتي على تلك السُّوقِ والبَضائع يومٌ لا تَصِل فيه إلى قليلٍ ولا كثير: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]»[١].

فالله أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكل فِعل كريم، وعَمل قويم، ومِن ذَلِكَ مَد يَدِ العون لليتيم.

وأن يُجَنِّبَنا كلَّ فِعل ذَميم، وعَمل غير مُستقيم؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز العظيم.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «الفوائد» (ص٤٩).

وقفاتٌ مع سُورة القَارِعَة

وقفات مع سورة القارعة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلاة وَالسَّلامُ عَلَى أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما يُقَوِّي إيمان العبد بربِّ البرِيَّة، ويجعل قلبَه متعلقًا بالآخِرَة الباقية، لا بهَذِهِ الدُّنيا الفانية: أنْ يَتذَكَّر دائمًا أحوال يوم القيامة، وما فيه مِن الأهوال والشَّدائد، وما يَسبقه مِن علاماتٍ تدلُّ على تغيُّر وتبَدُّلِ الأحْوَال؛ يَقُولُ العَزِيز المتعال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخاطِبُ اللهُ النَّاسَ كافَّة بأنْ يَتَّقُوا ربَّهم، الَّذِي ربَّاهُم بالنِّعم الظَّاهرة والباطنة؛ فحقِيقٌ بهم أن يتَّقوه بترك الشِّرك والفُسُوق والعِصيان، ويَمْتَثِلُوا أوامِرَه مَهْما استَطاعوا.

ثُم ذَكر ما يُعِينهم على التَّقوى، ويُحذرهم مِن تركها، وهو الإخْبَار بأهوال القيامة، فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ لا

يُقدَرُ قدره، ولا يُبلغ كُنهه، ذَلِكَ بأنها إذا وقعت السَّاعةُ رَجفت الأرض وارْتجَّتْ، وزُلزِلَتْ زِلزالها، وتَصَدَّعَت الجبالُ، واندكَّت، وكانت كثيبًا مَهِيلًا، ثم كانت هباءً مُنبثًّا، ثُم انقسم النَّاسُ ثلاثةَ أزواج.

فهناك تَنْفَطِر السَّماءُ، وتُكوَّر الشمسُ والقمَرُ، وتنْتَثِر النُّجومُ، ويَكُون مِن القَلاقل والبَلابِل ما تنصدعُ له القلوبُ، وتَجِلُ منه الأفئِدَة، وتَشيب منه الولدان، وتذُوب له الصُّمُّ الصِّلَابُ[١]»[٢].

ولهَذَا التَّذكُّرِ والتفكُّرِ- أيُّها الإخوةُ والأخواتُ- فوائدُ كريمة، وعوائدُ عظيمة، ترجع على العبد في دنياه، مِن أهمِّها: تقوية صِلَتِه برب البريَّات؛ فنجد منه بعد ذَلِكَ الحِرْصَ على فِعْل الطاعات، والتَّزود مِن الخيرات، والاجتِهَاد في الابتِعَاد عن المحرَّمات، وسائر المُنكرَات؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَن استقرَّ في قلبه ذِكْرُ الدَّار الآخِرَة وجَزَاؤها، وذِكر المعصِيَةِ والتَّوعد عليها، وعدم الوُثوق بإتيانه بالتَّوبة النصوح هاج في قلبه مِن الخوف ما لَا يَمْلكُه، ولا يُفارقه حتَّى يَنْجُوَ»[٣].

(١) أي: الجبال القوية الصلبة.

(٢) «تفسير السعدي» (ص٥٣٢).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص٤٢٥).

وإنَّ مِن أهمِّ الأسباب التي تُعين العبد على تحقيق هَذِهِ المنزلة العظيمة، وتُساهم في ربط قلبه بالحياة الأُخرويَّة: اعتناؤه بكتاب ربِّ البريَّة، تلاوةً وعَمَلًا وتدبُّرًا؛ لأنَّ الاهتِمَام بالقُرآن الكَرِيم طرِيقُ كل نجاح، ومَصْدَر كل فلَاح؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «فلو عَلِمِ النَّاسُ ما في قراءة القرآن بالتَّدبر؛ لاشتَغلُوا بها عن كلِّ مَا سِوَاها»[(١)].

لذا، أحببتُ أن أقف مَعَكُم- أَيُّها الأفاضلُ- في هَذَا المقَال المختصَر مع سورةٍ عظيمةٍ مِن كتاب العزيز المُقتدر؛ فيها ذكرى للعَبْدِ بأحوال اليوم الآخر أنقل لكُم فيه بإيجاز بعض ما جاء في تفسِيرهَا عن بعض أئمَّتنا الأعلَام؛ لعلَّ الكريمَ المنَّان يجعَلنا- وإيَّاكُمْ- ممن يتدبَّر ويَعمل بالقرآن؛ لأنَّ هَذِهِ هي الغاية الحميدة الَّتي مِن أجْلِهَا أنزله العزيز الرَّحمن.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنزَلَ اللهُ القرآنَ لِيُتدبر، ويُتفكَّر فيه، ويُعمَل به، لا لمجرَّد تِلَاوته مع الإعراض عنه»[(٢)].

فأقول- أيُّها الأحبابُ- بعد الاستِعَانة بالعَزِيز الوهَّاب:

- سورة القارعة: هي سُورة مَكِّيَّة[(٣)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٣) «تفسير البَغوي» (٤/ ٥١٩)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).

يَقُولُ الإمامُ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخرج ابن مَردويه عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: نَزلت سورةُ القارعة بمكة»(١).

يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة: ١،٢].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: السَّاعةُ التي يَقرع قلوبَ النَّاس هولُها، وعظيمُ ما يَنزل بهم من البَلاء عندها، وذَلِكَ صبيحة لا ليلَ بعدها»(٢).

ويقول الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ مِن أسماء يوم القيامة؛ كالحاقَّة، والطامَّة، والصَّاخة، والغاشية، وغير ذَلِكَ»(٣).

ويَقُولُ الطَّاهِرُ بنُ عَاشُور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجمهور المُفَسِّرين علَى أنَّ هَذِهِ الحادِثَةَ هي الحَشرُ؛ فجَعلُوا القارعةَ مِن أسماء يوم الحَشْر، مثل القِيَامة»(٤).

يَقُولُ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تهويل وتعْظِيم»(٥).

- ويَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣].

---

(١) «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٥).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).

(٤) «التحرير والتنوير» (٣٠/ ٥١٠).

(٥) «تفسير البغوي» (٤/ ٥١٩).

يَقولُ القُرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾: كلمة استِفْهَام على جهة التَّعظِيم والتَّفخيم لشأنها»(١).

- ويَقُولُ تعالى: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

يقول الإمَامُ الطَّبَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفَرَاش: وهو الَّذِي يتَساقط في النَّار والسِّراج، ليْسَ ببعوضٍ ولا ذُبابٍ، ويَعني بـ﴿ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾: المفرَّق»(٢).

ويقول الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ أي: في انتِشَارهم وتفرُّقِهم، وذَهابهم ومجيئهم، مِن حَيرتهم مما هم فيه»(٣).

- ويَقُولُ سبحانه: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفَراش: هي الحيَوانات الَّتي تَكُون في اللَّيل، يَموجُ بعضُها ببعض، لا تَدري أين توجَّه، فإذا أُوقِد لها نارٌ تَهافتَتْ إليها لضَعْف إدرَاكِها، فهَذِهِ حالُ النَّاس أهْل العُقول،

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٦٤).
(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨١).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).

وأمَّا الجبالُ الصُّمُّ الصِّلَاب فتكون ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾، أي: كالصُّوف المَنفوش، الَّذِي بقِيَ ضعيفًا جدًّا، تَطير به أدنى ريح»(١).

- ويَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧﴾ [القارعة: ٦، ٧].

يقول الإمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يَقُولُ: فأمَّا مَن ثقُلَت مَوازينُ حسَناته، يعني بالموازين: الوزن، والعرب تقول: لك عندي درْهَمٌ بميزان دِرْهَمِك، ووزن درْهَمِك، ويَقُولُون: داري بميزانِ دارِك، ووزن دَارِك»(٢).

- ويَقُولُ جلاله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾ [القارعة: ٨، ٩].

يقول الإمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَخْبَر تعالى عمَّا يَؤُول إليه عمَلُ العامِلين، وما يَصِيرُون إليه مِن الكرامة أو الإهانة بحَسَب أعمَالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رَجَحت حسَناتُه على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ يعني: في الجنَّة. ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٨٢).

مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رَجَحَتْ سيِّئاتُه على حسَناتِه»(١).

يَقولُ القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ يعني: جهنم، وسمَّاها أُمًّا؛ لأنَّه يَأوي إليها كما يَأوي إلى أُمِّه»(٢).

ويَقولُ البَغَويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُمِّي المَسْكَنُ أمًّا؛ لأنَّ الأصل في السُّكون إلى الأُمَّهات.

والهاويةُ: اسْمٌ مِن أسماء جهنم، وهو المهوَاةُ لَا يُدْرَكُ قَعْرُهَا»(٣).

- ويَقُولُ تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١٠، ١١].

يَقُولُ الشوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾أي: قد انتهى حرُّها، وبلغ في الشِّدَّة إلى الغاية»(٤).

وفي ختام هَذِهِ الذِّكرى- أَيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- التي أسألُ اللهَ العَزِيزَ العَلَّام أنْ يَنْفعَ بها مُقَيِّدها، وكلَّ مَن قرأها مِن أهل الإِسْلَام، أَوَدُّ أَنْ أُذكِّر نفسي- وإيَّاكُمْ- بأمرٍ قد يَغفل عنه الكثيرُ مِنَّا بسبب تعلُّق القلوب بالدُّنيا الفانِيَة، ألَا وهو: أنَّ الوَاحِدَ مِنَّا مَهما طال

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٦٧).

(٣) «تفسير البغوي» (٤/ ٥١٩).

(٤) «فتح القدير» (٥/ ٤٧٨).

عمُره، وامتَدَّ أجلُه؛ فهو عن هَذِهِ الدُّنيا راحِل، وللأهل والأصْحَابِ والأحبَابِ مُفارِق؛ يَقُولُ العزيز الجبَّار: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

يقول الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: كلُّ نفسٍ مِن النُّفوس واجِدَةٌ مرَارة الموت لا محالة، فلا يَصعب عليكم ترْكُ الأوطان، ومُفارقة الإخْوَان والخِلَّان، ثم إلى الله المرجع بالموت والبَعْث لا إلى غيره، فكلُّ حيٍّ في سَفَرٍ إلى دار القَرار، وإن طال لُبْثُه في هَذِهِ الدَّار»(١).

فاللهَ اللهَ- أيُّها الأحبابُ- علَى التَّزوُّد بالأعْمَال الَّتِي تنْفَع يَوْمَ الحِسَاب.

والحِرْصَ الحِرْصَ علَى أنْ نَكُون مِن أبناء الآخِرَة الباقية لا الدُّنيا الفَانية قبل أن يُباغِتَنا الموت، وتَأْخُذنا المَنِيَّة، فلا يَنفعَنا بعد ذَلِكَ النَّدَم، ولا تُغنِي عنَّا الحسَراتُ.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كُن مِن أبنَاء الآخِرَة، ولَا تَكُن مِن أبناء الدُّنيا، فإنَّ الوَلَدَ يَتبع الأُم.

الدُّنيا لَا تُساوي نَقْل أقدَامك إليها فكَيْف تعْدُو خلفها؟!

الدُّنيا جِيفَةٌ والأسَدُ لا يقع علَى الجِيَف؟!

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٢١٠).

الدُّنيا مَجازٌ والآخِرَةُ وطَنٌ؛ والأوْطَار إنَّما تُطلَب في الأوْطَان»[١].

ولنَحْذَر أَشَدَّ الحَذَر مِن أنْ نُعلِّق قلُوبنا بدُنْيَا فانِيَة، أو شهوة زائلة، ولنَربِطَها بما يُرضِي عنَّا ربَّ البرِيَّة، ويَنفعنا في الحياة الأُخروية.

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِفْتَاحُ الاستِعْدَاد للآخرة: قِصَرُ الأمَل، ومِفتاح كل خير: الرَّغبة في الله والدَّار الآخِرَة، ومِفتاح كل شَرٍّ: حُبُّ الدُّنيا، وطُول الأمَل»[٢].

فالله أَسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا جميعًا لكلِّ ما يُحبُّه ويَرْضاه؛ ومِن ذَلِكَ: أنْ يَجعل القُرآن الكَرِيم ربيعَ قلوبنا، ونُورَ صدُورنا، وذَهاب همُومنا، وجلَاء غمومنا.

وأن يُجنبنا- وإيَّاكُمْ- كلَّ ما يُبغضه ويأباه؛ ومِن ذَلِكَ: الاغترار بالدُّنيا، والوقوع في المُنكَرَات، وعمَل المحرَّمات؛ فهو- سبحانه- ربُّ الأَرْض وَالسَّمَوات.

وصلّ اللهُمَّ وسلّم على نَبِيّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «الفوائد» (ص٥١).

(٢) «حادي الأرواح» (ص٤٨).

ماذا يُريد أعداءُ الدِّين مِن بلاد الحَرَمَيْن؟!

ماذا يُريد أعداءِ الدين من بلاد الحرمين؟!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، وَالصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما هو مُلاحَظٌ في زمَنِنا هَذَا أنَّ أُمَّتنا الإسْلَامية أُمَّةٌ تمُرُّ بوقتٍ عصِيب، ومرحلةٍ خطيرة لم تشهدها مِن قبل، وذَلِكَ لعدة أسبابٍ من أهمها- أيُّها الأحباب- بُعْدُ الكثير من أبنائها عن تعاليم دينهم القويم، وتركهم لهدي نبيِّهم الكريم، وكذَلِكَ ما نَراه ونسمعه مِن تَكالُب الأعداء عليها، وتَحالف أهل الشَّرِّ مِن جميع المِلَل مِن أجْل إفساد دينها، ونشر الفَوْضَى في بلدانها، وزرْع الشَّحناء بين أبنائها مِن أجل تفريق كَلِمتِهم، وتَشتيت شَمْلِهم، وتضعيف شَوْكَتِهم.

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شريعةُ الله تعالى مُستهدفة؛ مِن حين خرجت في مكَّة إلى يَوْمِنا هَذَا وهي مُستهدفة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾ [الفرقان: ٣١]؛

فكل نبيٍّ له عدُوٌّ، وكل أتْباعِ نبيٍّ لهم أعدَاء ولا بُدَّ، فهَذِهِ سُنة الله عَزَّوَجَلَّ، وليس الدَّربُ مَفروشًا بالورود والزُّهور، بل الدَّرْبُ صعبٌ وشاقٌّ، وَلا بُد أن يجعل الله عَزَّوَجَلَّ بحِكمَتِه للحق مُضادًّا مِن أجْل أن يُعْرَف الحقُّ، ويَظهر ناصِعًا غالبًا على البَاطل، ومِن أجْل أن يَعلم اللهُ المجاهدين منَّا والصَّابرين»[(١)].

وإنَّ مِن أكثَر البلدَان الإسْلَامية اليَوْم استِهْدافًا مِن قِبَل أعداء الدِّين من الكُفار، والمنافقين، وأهل البِدَع المارقين، وسائر المفسْدِين؛ أيها الأفاضل الكرام: دولةٌ مباركةٌ أعزَّها الحكِيمُ الحميدُ بالتَّوحِيد، ووفَّقها لمحاربة الشِّرك والتنديد، وكل ما يخالف دين العزيز المجيد؛ يَقولُ الشَّيخُ ابنُ باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهَذِهِ الدولةُ السُّعوديةُ دولةٌ مباركة، نصَرَ اللهُ بها الحقَّ، ونصَر بها الدِّينَ»[(٢)].

دولةٌ يَعتز حُكَّامُها منذ تأسِيسهَا بأنَّ دستورَهم هو الكِتَاب والسُّنة على فَهم سَلَفِ الأُمَّة، بل لا يُعلم في وقتِنَا الحاضِر دولةٌ تُطبِّق أحكامَ الشَّريعة، كما تفعل هَذِهِ الدَّولة المباركة.

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أُشْهِدُ اللهَ- تَعَالى- على ما أقول، وأُشهدكُم- أيضًا-: أنِّي لا أعلمُ أنَّ في الأرض اليوم مَن

---

(١) «لقاء الباب المفتوح» (٣/ ٦٦).

(٢) «مجموع فتاوى الشيخ» (٩/ ٩٧).

يُطبِّق شريعةَ الله ما يُطَبِّقُه هَذَا الوطَن، أعني: المملكة العربية السُّعودية»(١).

دولةٌ تُنفق مبالغ طائلَة لا يُمكِن حَصْرُها مِن أجْل خدمة الحرمَيْن، وخاصة بيت ربِّ العالمين، وتبذل جهودًا كبيرةً مِن أجْل راحَة وسلامة الحُجَّاج والمُعتمرين.

يَقُولُ الشَّيخُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحِبُّ أنْ أُشِيرَ إلى أنَّ هُناك جهودًا كبيرةً تَبْذُلها هَذِهِ الحكُومةُ الرَّشيدة في سبيل خدمة الحُجَّاج ضُيوف الرَّحمن، وفي مُقدِّمَتها تجنيد مجموعة كبيرة مِن الدُّعاة، والمترجِمينَ بأغلَبِ لُغات المُسْلِمينَ لتعليم وتوجيه الحجَّاج، وتبصيرهم بأمور دينهم وحَجِّهم- في أماكِن تجمعاتهم- حتى يَكُونوا على بيِّنةٍ منها»(٢).

فنرى أعداءَ الدِّين مِن الكُفَّارِ والمشركين اليوم يبْذُلونَ وُسعَهُم، وأموالهم من أجل تشويه صورة بلاد الحرمين في المحافل الدولية، وتجمُّعات القادَة السَّنوية للضَّغط على هَذِهِ الدولة المباركة مِن أجْل تعطِيل ما تُطَبِّق مِن الحدود الشَّرعيةِ؛ كالقصاص، ومحاولة سَنِّ قوَانين دولية؛ لتُلْزِم بلادَ التَّوحِيد إعْطَاءَ حُقوق زائفة للمرأة؛ لأنَّها-

---

(١) «وجوب طاعة السلطان» للعريني (ص٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ١٦٥).

بزَعْمِهم- تُعاني فيها مِن الظُّلم والاضْطِهَاد، وغير ذَلِكَ مِن المطالب التي فيها الانحِرَاف والفَساد.

وللأسف قد استعَانَ هؤلاء مِن أجْل تَسْوِيق أهدَافهم الماكِرَة، وإمْرَار خُطَطِهم الخبيثة ببَعْضِ مَن يُحسَبُون علَى المُسْلِمِينَ، سواء كانوا من خارج بلاد التَّوحِيد أو حتى بشِرذِمَةٍ ممن وُلِدُوا ونشأوا فيها، جعلوهم مَطِيَّةً لتحقيق مَآربهم المنحرفة.

فنجد أنَّ هؤلاء المارقين قد سخَّروا أقلَامهم في بعض الصُّحف والمجلَّات، ووظَّفوا ظهُورهُم على بعض القَنوات لدَعْوة حُكَّام بلاد التَّوحِيد لتَحكِيم القَوانين الوضعِيَّة، والدَّساتير الكُفريَّة، وإعطَاء المرأة أكبَر قَدْرٍ مِن الحريَّة.

وهم في الحقِيقَة لا يريدون حرية المرأة، وإنَّما يُريدون سُهولة الوصول إليها، يُريدون- أخزاهم الله- نزعَ الحِشْمَة والعفَّة عنها، يُريدونها أن تُساوي الرِّجَال في جميع الحقوق، حتَّى فيما هو مِن خصائص الرِّجال؛ مخالفين حُكْمَ الكبير المتعَال، الَّذِي قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤].

قال الشَّيخ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبر -تَعَالَى- أنَّ الرِّجَال ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، أي: قوَّامون عليهن بإلزَامهنَّ بحقوق الله تعالى؛ مِن المحافظة على فرائضه، وكفِّهِنَّ عن المفاسد، والرِّجَال

عليهم أنْ يُلزمُوهنَّ بذَلِكَ.

وقوَّامُونَ عليهن -أيضًا- بالإنفاق عليهن، والكِسْوَة والمَسكن.

ثُمَّ ذَكَرَ السَّبَبَ المُوجِب لقيام الرِّجال على النِّسَاء؛ فقال: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء:٣٤]، أي: بسبب فَضْلِ الرِّجَال على النِّساء، وإفضَالهم عليهِنَّ.

فتَفْضِيلُ الرِّجال على النِّسَاء مِن وجوه مُتعدِّدة: مِن كَوْن الولَايات مختَصَّة بالرِّجَال، والنُّبوة، والرِّسالة، واختِصَاصهم بكثيرٍ مِن العبادات؛ كالجهاد، والأعياد، والجُمَع، وبما خَصَّهم الله به مِن العقل، والرَّزانة، والصَّبر، والجلَد الَّذي ليْسَ للنِّسَاء مثله، وكذَلِكَ خصَّهم بالنَّفقات على الزَّوجات، بل وكثير مِن النَّفقات يختص بها الرِّجَال، ويتمَيَّزون عن النِّسَاء»[١].

وإنَّ مِن شَرِّ أعدَاء هَذِهِ الدَّولة المُباركة خاصَّة، وأهل السُّنة والجماعة في كل البلدَان عامَّة أيضًا- أيها الأحبة والإخوان-: طائفةٌ عن الدِّين مارِقَة، ولسُنَّة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبغضة، قومٌ منهم مَن يعيش في بلاد الحرمَيْن، ومنهم وهم الأكثر في خارجها؛ الكذب دينُهم، والغَدْرُ والخيانةُ سَمْتُهم؛ ألَا وهم الرَّافضة.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا الرَّافضيُّ فلا يُعاشِرُ

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٧٧).

أحدًا إلَّا استعمل معه النِّفاق، فإنَّ دِينَهُ الَّذِي في قلبِهِ دينٌ فَاسِدٌ يحملُه على الكَذِب والخيانة وغِش النَّاس، وإرادة السُّوء بهم، فهو لَا يَألُوهُم خَبالًا، ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلَّا فَعَلهُ بهم»[١].

إنَّ ما نرَاهُ اليوم- أيُّها الأفاضلُ- من حِرص الدَّولة الصَّفوية- إيران- وأفراخها وأعوانها في دُوَل الخليج والشَّرق الأوْسَط على ضرب مكانة الدَّولة السُّعودية السُّنِّيَّة السَّلفية في قلوب المُسْلِمِين، وسعيهم لِتَشْويه صُورتها في العَالَم ليس بعجيبٍ ولا بغريب؛ لأنَّ عداء الرَّافضة لأهل السُّنة والجماعة قديمٌ وليس بجديد.

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الفتنةُ فإنَّما ظهرت في الإِسْلَام مِن الشِّيعة، فإنهم أساسُ كل فتنةٍ وشَر، وهُم قُطْب رَحَى الفتن»[٢].

إنَّ الدولة الرَّافضية- إيران- لا تدَع محفلًا دوليًّا، ولا مناسبةً تمرُّ على العالَم عامَّة، والعالم الإسْلَامي خاصَّة دون أنْ تَطْعَن في بلَاد التَّوحِيد، وتشكِّك في عقِيدَتها، وتقْدَح في حكَّامها، بل إنها تبذل في سبيل ذَلِكَ الأموَال الطَّائلة، وتحرك مِن أجْل ذَلِكَ أفراخها في الدول الإسْلَامية عامَّة، ودول الخليج خاصَّة.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٤٢٥).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٦٤).

فالمنصفُ العاقلُ عليه فقَطْ أنْ يَعقِدَ مقارنةً يسيرةً في ذهنه، ويتساءل في نفسه، ماذا قدَّمَتْ الدَّولة الصَّفوية- إيران- للإسْلَام والمُسْلِمِينَ منذ ظهورها؟! وماذا قدَّمَتْ دولةُ التَّوحِيد (المملكة العربية السعودية) للمُسلِمين في جميع الأقطَار والأمصَار منذ تأسيسها؟!

فيجد أنَّ دولةَ إيران الرَّافضية لم تُقَدِّم للمُسلمين إلَّا الشُّرور؛ كالحِرْص على إفسَاد عقيدتهم السُّنية الصَّافية، ولم تُصَدِّر لبلدانهم إلَّا الفَوْضَى والدَّمار، وهَذَا مُشاهَد اليوم في اليَمَن، وسُوريا، وغيرها مِن الدُّوَل الَّتي طالَتْهَا يدُ الغَدْر الصَّفوية، بل إنَّهم يُوالُون حتَّى الكُفار والمشركين مِن أجْل تحقيق هَذِهِ الأهداف الخبيثة.

يَقُولُ شَيْخُ الإسْلَامِ ابْنُ تَيْمِية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهُم- أي: الرَّافضة- دائمًا يُوالون الكفَّار من المشركين، واليهود، والنَّصارى، ويُعاوِنُونَهُم علَى قِتَال المُسْلِمِينَ ومُعادَاتهم»[(١)].

أمَّا دولةُ التَّوحِيد المُباركَة- حَرَسَها اللهُ- فلم يُعرَف عنها منذ تأسِيسهَا على يدِ المَلِك السَّلفي عبد العزيز بن عبد الرَّحمن آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٣٧٣هـ) إلَى زمَنِنا هَذَا إلَّا الاهتِمَام بقضَايا المُسْلِمِينَ، ومدِّ يد العَوْن لهم أينما كانوا، والحرص على نشر عقيدة السَّلف

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٧٨).

الصَّالح في كلِّ مَكانٍ مِن العالَم، وطباعة كُتُب السَّلف، وتَوْزِيعها، وبالأخص كتب شَيْخ الإسْلَام ابن تيمية، والإمام ابْن القيِّم، وكتب الشَّيخ الإمام المجدِّد محمَّد بن عبد الوهَّاب، وغيرهم مِن الأئمَّة وعُلمَاء السَّلف الأعْلَام رحمهم اللهُ العَزِيز العَلَّام، وسَعْيها لبِنَاء المسَاجد، وتوزيع المصَاحف في العَدِيد مِن البُلدَان الإسْلَاميَّة.

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامَةُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّ مِن جهودها منذ عهد المَلك عبد العَزِيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نَشْرَ كتُب السَّلف، والعنايةَ بها وتَدْرِيسهَا، ومُعاوَنة الجماعات والأفْرَاد الَّذِين يَهْتَمُون بها، ويحرصون على انتِشَارها- مَشهورة معلومة- لَدَى الخاصِّ والعام، وذَلِكَ مِن فضل الله علَيْهَا، ومما تُشْكر عليه هَذِهِ الدَّولةُ الَّتِي قامَتْ على مذهب السَّلف، وطبَّقَتْهُ في مجتمعها»[(١)].

ويَقُولُ الشَّيخُ حمَّادٌ الأنصَاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الدَّولةَ السُّعودِيَّةَ لها الحظ الأوْفَر في هَذَا الزَّمان بنشر العلم، وعليكم بالدُّعاء لها بالنَّصر على جميع الأعدَاء»[(٢)].

وإنَّ مِن أعداء هَذِهِ الدَّولة المباركة أيضًا- أيُّها الأَفَاضِلُ- قومًا هم -وللأسف- مِن بَنِي جِلدَتِنا، ويَنتسبون لسُنة نبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ٤٠٢).

(٢) «المجموع» (٢/ ٥٨٢).

يَرفعون- بزَعْمهِم- راية الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، لم تَنَل الأمَّةُ الإسْلَاميَّةُ منهم منذ ظهورهم إلَّا المآسِي والوَيْلَات حيثُ ساهموا كذَلِكَ مُنذ نشأتهم في تفْرِيق كلِمَةِ أهل الإسْلَام، ونشر القَتْل، والفَوْضَى بين الأنام!

قومٌ غالبهم- أيُّها الكِرَامُ- هم مِن حُدَثَاء الأسْنَان، وسُفهاء الأحْلَام؛ ألَا وهُم الخوارِجُ!

يَقُولُ عنهم الإمامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يختلف العلماءُ قديمًا وحديثًا أنَّ الخَوارج قومُ سُوءٍ، عُصَاةٌ لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنْ صَلَّوا وصَامُوا، واجتهَدُوا في العبادة، فليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم، وإنْ أظهَرُوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذَلِكَ بنافعٍ لهم؛ لأنَّهم قومٌ يتأوَّلُونَ القرآن على ما يهوون، ويُمَوِّهُونَ على المُسْلِمِينَ.

وقد حذَّرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ منهم، وحذَّرنا النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذَّرَنَا مِنهُم الخلفاء الرَّاشِدُون بَعْدَه، وحَذَّرَنَا منهُم الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومَن تبِعَهُم بإحْسَانٍ»(١).

فخروجُهم على حُكَّامِ بِلاد التَّوحِيد، وسَعْيُهم لِقَتْل جُنُودها السَّاهرين على أمْنِهَا لا يُستغرَب؛ لأنَّ تاريخهم يشهد على أفعَالهم

(١) «الشريعة» (١/ ٣٢٥).

الخبيثة! فسَلَفُهم قد خرَجُوا على حُكم أفضَل الخلق بعد الأنبياء وهُما عثمان وعلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإن كانوا قد خرجوا في زمَنٍ هو مِن أفضل الأزْمَان، فكيف إذًا لا يخرج في زمَنِنا على حُكَّام بلاد الحرمين مَن رضَعَ مِن عقيدة الخوارج، وأخَذَ مِن إرْثِهم الخبيث؟!

يَقولُ الإمامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والخوارج**: هُم الشُّرَاةُ الأَنْجَاسُ الأَرْجَاسُ، ومَن كان على مَذْهَبهم مِن سائر الخَوَارج، يتوَارثُون هَذَا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجُون على الأئمَّة والأُمَراء ويستحِلُّون قَتْل المُسْلِمِينَ»(١).

إنَّ تنظيمَ دَاعِش المُسَمَّى زُورًا وبُهتانًا بـ(الدَّولة الإسلَاميَّة)- والإسلَام منها ومِن أفعال أفرَاخِهَا بريءٌ- وأُمَّهم الصَّغيرة القَاعِدَة، وحَاضِنتهم الكبيرة جماعة الإخوان المُسْلِمِينَ الَّذِين يُكفِّرون حُكَّام دولة التَّوحِيد، ويَسْتبيحُون دماءَ جُنودها البَواسل مِن الجيش والشُّرطة، وغيرهم ممَّن يُساهِم ويَسْهَر علَى حِفْظ الأمن فيها، ويُساهِمُونَ أيضًا في نَشْر الفَوْضَى، وسَلب الأمن مِن المواطنين، هُم كذَلِكَ أعظم خطَرًا وضَرَرًا تُواجهه الأُمَّة الإسْلَامية عامَّة، ودولة التَّوحِيد خاصَّة؛ لِذَا يجب علَى كُلِّ مسلمٍ مُحِبٍّ لدِينه وغَيُورٍ على أُمَّته وحريصٍ علَى دِمَاء المُسْلِمِينَ أنْ يجتَنِبَهُم، ويحذر أشدَّ الحذَر مِن

---

(١) «الشريعة» (١/ ٣٢٥).

مَنْهَجهم الخبيث، ومِن دعَواتهم للخُروج في المَظاهرَات، والاعتِصَامات الَّتي لا تؤدِّي إلَّا للفوضَى، ولا يَنْتج عنها إلَّا القَتْل والدَّمار.

يَقُولُ الشَّيخُ العَلَّامةُ صَالح الفَوْزَان حَفِظَه اللهُ: «دِينُنا ليس دين فوْضَى، دينُنا دين انضِبَاط، دين نِظَام، دين سَكِينَة، والمظاهرات ليْسَتْ مِن أعمَال المُسْلِمِينَ، وما كان المسْلِمُون يعرفونها، ودين الإسْلَام دين هدوء، ودين رحمة، لا فَوْضَى فيه، ولا تشويش، ولا إثارة فِتَن؛ هَذَا هو دين الإسْلَام، والحقوق يُتوصَّل إليها دون هَذِهِ الطَّريقة، بالمطالبة الشَّرعية، والطَّرق الشرعية.

هَذِهِ المظاهراتُ تُحْدِث فتنًا كثيرة، تُحْدِث سفك دمَاء، وتُحْدِث تخريب أمْوَال، فلا تجوز هَذِهِ الأمُور»[١].

وليَحْذَر كذَلِكَ المسلم في بلاد المُسْلِمِينَ عامَّة، وبلاد الحرمين خاصَّة مِن قوم عُرِفُوا بالمكر والتَّلوُّن على حسب الوقَائع والأحْدَاث، حيث هُم مَن يُزيِّن الخروج على حُكَّام المُسْلِمِينَ، ويرمُونَ بفتاويهم شباب الإسْلَام في مَواطِن الصِّراع؛ ليتلقَّفهُم هُناك أصحاب المذَاهب الرَّدِيَّة، فيرجع بعضُهم إلى أوْطَانهم وقد تَشَرَّبوا مِن فِكْر الخوارج المنحرفين؛ فيَخرجُون بعد ذَلِكَ على حُكَّام بلدانهم، ويتَسَبَّبون في نشر الفَوْضَى، وترويع الآمِنِين، وقَتْل المُسْلِمِينَ، ألَا وهُم فرقة «القَعَديَّة»!

---

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص٢٣٢).

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقعَدُ الخوارج كانوا لا يرَوْنَ بالحرب، بل يُنكِرُونَ على أُمَراء الجَوْر حَسب الطَّاقة، ويَدعون إلى رأيِهم، ويُزيِّنُون مع ذَلِكَ الخرُوجَ ويحسِّنُونَه»(١).

إنَّ هؤلاء القَعَدِيَّة، ومَن يحمل لِوَاءهم اليوم مِن جماعة الإخوان المُسْلِمِينَ، وما تَفرَّع عنها- أيُّها الأحبَّةُ الكِرَام- هم أشدُّ خطرًا، وأكثر ضررًا على الأُمَّة ممن يخرج بالسَّيف؛ لأنَّ شرَّهُم ليس بظاهرٍ لكثيرٍ مِن عوامِّ المُسْلِمِينَ، وذَلِكَ بسبَبِ تلَوُّنِهم، وحِرْصِهم على إخفاء عقيدتهم الحقيقِيَّة تجاه حكَّام المُسْلِمِينَ؛ يَقُولُ الإمام عبد الله بن محمد بن يَحْيَى الضَّعيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَعَدُ الخوارِجِ هم أخبثُ الخوَارج»(٢).

أيُّها المسْلِم الموحِّدُ في كلِّ مكَان: إنَّ مما يَنبغِي أنْ تعلمه جيِّدًا أن العداء الَّذِي ينصبه كثير مِن أعداء الدِّين لبلاد الحرمين وحُكامها هو في الحقيقة ليس بسبب مناصب دنيوية، أو مِن أجلِ مَكانةٍ وشُهرة عالميَّة، وإنَّما مِن أجل تمَسُّك وُلاتها بدِين ربِّ العالمين، وحِرْصِهم على تطْبيق سُنة خير المرسَلِين.

وأعداءُ الدِّين مِن الكُفار والمُنافقين وسائر المُفسِدين يعْلَمُون

---

(١) «تهذيب التهذيب» (٨/ ١١٤).

(٢) «مسائل الإمام أحمد- رواية أبي داود» (ص٣٦٢).

أنَّ دولة التَّوحِيد السعودية هي اليوم حِصْن الأُمَّة الإسْلَاميَّة، وحامية توحيد ربِّ البرِيَّة، وأنَّ بسقوطها والقضَاء على دعوتها المباركة التي تتبَنَّاها، وتدافع بأغلى ما تَمْلك مِن أجْل المحافظة عليها؛ يَسهل عليهم بعد ذَلِكَ إفسَاد عقيدة الكثير من المُسْلِمِينَ الَّذِين قلوبهم مُتعلِّقة ببلاد الحرمين؛ يَقُولُ العَلَّامَةُ الشَّيخُ ابنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعَدَاءُ لِهَذِهِ الدَّولةِ عَدَاءٌ للحَقِّ، عَدَاءٌ للتَّوحيدِ»[1].

فاللهَ اللهَ- أيُّها المُسلم- بالذَّبِّ عن بلاد الحرَمَيْن، والحرص على كشْفِ وفضْحِ مُخَطَّطات أعداء الدِّين، فواللهِ إنَّ هَذَا الفِعْل الكريم اليوم لهو مِن أعظم أنواع الجهاد؛ لما فيه مِن مُساهمةٍ في حماية الدِّين، والذَّب عن بلَاد الحرَمَيْن.

وفي خِتَام هَذَا المَقَال- أيُّها الأَحِبَّة الكِرَام- **أريد أنْ أُبيِّن أمرًا مُهِمًّا، ألَا وهو:** أنني لم أكتب هَذَا المقال طلبًا لشهرة، أو رغبة في دُنيا، أو إرضاءً لأحدٍ مِن النَّاس، ولا أعتقد أبدًا أنَّ حكام بلاد التَّوحِيد لا يقع منهم التقصير- لكنه يُعالَج بالوسَائل الشَّرعية والطُّرق النَّبوية- فَهُم أنفسُهم لا يَقُولُون بذَلِكَ، فلا عِصْمةَ لأحدٍ بعد نبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) مَنقول من كتاب «الدرر السَّنية في ثناء العلماء على المَملكة العربية السُّعودية» لأحمد بازمول (ص٩)

وإنَّما كان الدَّافع لي ورَاء كتابته- نسأل الله الإخلَاصَ والقَبول- النُّصح للمسلمين، والذَّب عن بلاد الحرمين.

ولم أَكْتُبه كذَلِكَ عصبيَّةً أو قومِيَّةً؛ لأنني لسْتُ مِن سُكَّان بلاد الحرَمَيْن، وإنَّما كتَبْتُه دِينًا واعتِقادًا، وسيَسْألُني عنه العزِيزُ العظيم، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلَّا مَن أتَى اللهَ بقلبٍ سليم.

يَقولُ الإمامُ ابنُ قُتيْبَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَن أيْقنَ أنه مسؤولٌ عمَّا ألَّفَ، وعمَّا كَتَبَ؛ لم يَعْمَل الشَّيء وضده، ولم يَستفرغ مجهوده في تثْبِيت البَاطل عنده»[1].

ويَقُولُ الشَّاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وما مِنْ كاتِبٍ إلا اسْتَبْقَى كِتَابَتهُ وإنْ فَنِيَتْ يَدَاهُ

فلا تَكْتُبْ بخطِّكِ غيْرَ شيء يَسُرُّك في القِيامَة أنْ تَرَاهُ [2]

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أنْ يحفَظ بلاد الحرمين وحُكَّامها، وأهلها وسائر بلاد المُسْلِمينَ مِن كيْدِ الكَائدين، وشَر كل المفسِدين، وأنْ يجعَلهَا الحِصْن الحَصِين أمَام أعداء الدِّين، فهو سبحانه ولي ذَلِكَ وأرْحَم الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص٥٩).

(٢) «محاضرات الأدباء» لأبي القاسم الأصفهاني (١/ ١٣١).

الحثُّ على الإكثار
من الصيام في شهر اللّٰه الحرام

الحث على الإكثار من الصِّيام في شهر الله الحرام

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين، وَالصَّلاة وَالسَّلامُ عَلَى أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ شهر المحرَّم- أيها الإخوة والأخوات- مِن الأشهُر التي لها مكانة عند ربِّ الأرْض وَالسَّموات، فهُوَ موسم لفِعْل الطَّاعات، وفرصة للمُسْلِم ليتزوَّد مِن الخيرات، وهو أوَّل شُهور السَّنة الهجريَّة وهو كذَلِكَ من أشهر الله الحُرم التي عظَّمها رب البرِيَّة، يَقُولُ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ [التوبة:٣٦].

يقول الإمَامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾، بارتِكَاب الذُّنوب؛ لأَنَّ الله- سبحانه- إذا عظَّم شيئًا مِن جهةٍ واحدة؛ صارَتْ له حُرمة واحِدَة، وإذا عظَّمهُ مِن جهتين، أو جهات؛ صارت حُرمَته متعدِّدة، فيُضَاعف فيه العِقَاب بالعمَل السَّيء، كما يُضاعف الثَّواب بالعمَل الصَّالح، فإنَّ مَن أطاع الله في الشَّهر الحرَام

في البَلدِ الحرَام ليْسَ ثُوابه ثوابَ مَن أطاعه في الشَّهر الحلال في البلد الحرام، ومَن أطاعه في الشَّهر الحلَال في البَلد الحرام ليس ثَوابه ثوَاب مَن أطاعه في شَهْرٍ حلَال في بلد حلَال»(١).

وقد بَيَّنَت ووضَّحَت لنا سُنة خير المرسَلِين- علَيْهِ أفضَل الصَّلاة والتَّسلِيم- الأشهر الحُرُم الَّتي ذكَرها ربُّ العالمين، فعن أبي بكرة الثَّقفي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الزَّمَانَ قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يوم خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؛ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا منها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بين جُمَادَى وَشَعْبَانَ**»(٢).

يقول الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وأمَّا قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ الزَّمَانَ قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يوم خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**»؛ فقال العُلماء: معناه أنَّهم في الجاهلية يَتمسَّكون بمِلَّة إبراهيم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تحريم الأَشْهُر الحرُم، وكان يَشقُّ عليهم تأخِير القِتَال ثلاثة أشهر مُتواليَات، فكانوا إذا احتَاجُوا إلى قِتال أَخَّروا تحريم المُحَرَّم إلى الشَّهر الَّذي بَعْدَه وهو صَفَر، ثم يُؤخِّرونه في السَّنَة الأخرى إلى شهرٍ آخَر، وهكذا يَفعلُون في سَنةٍ بَعْد سَنة؛ حتَّى اختلَط عليهم الأمرُ، وصادفَتْ حجَّةُ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تحريمهم، وقَدْ تطابق الشَّرعُ وكانوا في تِلك

---

(١) «تفسير القرطبي» (٨/ ١٣٤).

(٢) رواه البخاري (٣٠٢٥)، ومسلم (١٦٧٩)، واللفظ له.

السَّنة قد حرَّموا ذا الحجَّة لموافقة الحسَاب الَّذِي ذكرناه، فأخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الاستِدَارة صادفَتْ ما حَكَم الله تعالى به يوم خلق السَّماوات والأرض»(١).

ويَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: الحِكْمَة في جعل المحرَّم أوَّل السَّنة، أن يحصل الابتِدَاء بشهر حرام، ويُختم بشَهْر حرام، وتتوسَّط السَّنة بشهر حرام، وهو رجب، وإنَّما تَوالَى شهران في الآخر لإرادة تفضيل الختام، والأعمَال بالخواتيم»(٢).

وإنَّ مِن الأعمال الجليلة التي يُحبُّها العَزِيز العَلَّام، وينبغي على المُسلم أن يحرص عليها في شهر الله الحرام أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ: الإِكثَارُ مِن الصِّيام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ الصِّيام بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ**»(٣).

يقول الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَصْرِيح بأنَّه -أي: شهر المحرَّم- أفضَل الشُّهور للصَّوم، وقد سَبق الجوابُ عن إكثار النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن صوم شعبان دون المحرَّم، وذكَرْنَا فيه جوَابين:

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١١/ ١٦٨).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ١٠٨).

(٣) رواه مسلم (١١٦٣).

أحدهما: لعَلَّه إنما علم فضله في آخر حيَاته.

والثَّاني: لعلَّه كان يعرض فيه أعذَار مِن سفرٍ، أو مرضٍ، أو غيرهما»(١).

ويَقُولُ الإمامُ ابنُ رجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا الحدِيثُ صَريحٌ في أنَّ أفْضَل ما تُطُوِّعَ به مِن الصِّيام بعد رمضان: صَوْم شهر الله المحرَّم، وقد يحْتَمل أنْ يراد: أنه أفْضَل شهر تطَوَّع بصيامه كاملًا بعد رمضان، فأمَّا بعض التَّطوع ببعض شهر فقد يَكُون أفضل من بعض أيامه؛ كِصيَام يوم عرفة، أو عشر ذي الحجَّة، أو ستَّة أيام من شوال، ونحو ذَلِكَ»(٢).

ويقُولُ الإمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال أبو عُبيد**: إنَّما نَسَبَه إلى الله عَزَّوَجَلَّ- والشُّهور كلها له- لتَشْرِيفه وتَعْظِيمه، وكل مُعَظَّم يُنسب إليه، وإنَّما خصَّه بقوله: «**المُحَرَّمُ**» دون بَاقِي المحرَّمات؛ لأنه كان معروفًا بذَلِكَ الاسم»(٣).

ومِن أهمِّ أيَّام هَذَا الشَّهر الكَريم الَّذِي يَنبغي على المسْلِم: أنْ يحرص علَى صيامه- أيُّها الأفَاضِل- يوم عاشُورَاء- العَاشِر مِن المحرَّم- لما في صَوْمِه من فَضْل كَثير، وأجْر كَبِير عند الكَريم

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٨/ ٥٥).

(٢) «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف» (ص٧٧).

(٣) «كشف المشكل» (٣/ ٥٩٧).

القَدير؛ فعن أبي قَتادة الأنصَاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سُئِلَ- أي: النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؟ فقال: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ**»(١).

يقول الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتَّفَق العُلمَاءُ على أنَّ صَوْمَ يوم عاشُورَاء اليوم سُنَّةٌ ليس بواجبٍ»(٢).

ويُستحبُّ له أنْ يَصُوم معه يوم قبله أو بَعْدَه.

والأفضل: أنْ يَصُوم معه اليوم التَّاسع؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغِب في ذَلِكَ، ونوَى فِعْله، لكنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوفِّيَ قبل فعل ذَلِكَ؛ فعن عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حين صَامَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. قالوا: يا رَسُولَ الله، إنَّه يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، فقَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا كانَ العَامُ المُقْبِلُ- إن شَاءَ اللهُ- صُمْنَا اليَوْمَ التَّاسِعَ**».

قال عبدُ الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَلَمْ يَأْتِ العَامُ المُقْبِلُ حتى تُوُفِّيَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣).

يقول الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الشَّافعيُّ وأصحابُه، وأحمدُ،

---

(١) رواه مسلم (١١٦٢).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٨/ ٤).

(٣) رواه مسلم (١١٣٤).

وإسحاقُ وآخرون: يُستحبُّ صَوْمُ التَّاسع والعاشِر جميعًا؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صام العاشر، ونوى صيام التَّاسع...

قال بعضُ العلماء: ولعلَّ السببَ في صوم التاسع مع العاشر أن لا يَتَشَبَّه باليهود في إفراد العاشر، وفي الحديث إشارة إلى هَذَا.

وقيل: للاحتياط في تحصيل عاشوراء.

والأوَّل أوْلَى، والله أعْلَم»[(١)].

واستَّحبَّ بعضُ العُلمَاء- أيها الأفاضل- صِيَامَ اليَوْم الحادِي عشَر مع التَّاسع والعَاشِر خاصَّة في حالة الشَّك في دخُول الشَّهر حتى لا يَفُوت الصَّائم اليَوْم العَاشِر بعون العَزِيز القَادر.

يَقُولُ الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن اشتَبَه عليه أوَّلُ الشَّهر صام ثلاثة أيام، وإنَّما يفعل ذَلِكَ ليتَيقَّن صوم التَّاسع والعاشر»[(٢)].

ويَقُولُ الإمامُ أحمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: «مَن أراد أنْ يَصُوم عاشُورَاء صامَ التاسع والعاشر إلَّا أن تُشكل الشُّهور؛ فيَصُوم ثلاثة أيام، ابن سيرين يَقُولُ ذَلِكَ»[(٣)].

أيُّها المُسلم: إنَّ مما يَنْبغِي أنْ تَعلمه أنَّ للصِّيام الشَّرعي مكانة

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٨/ ١٢).

(٢) «المغني» لابن قدامة (٤/ ٤٤١).

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (١/ ١٧٦).

عالية، ومنزلة رفِيعَة عند العَزِيز العَلَّام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إلَّا الصَّوم فإنَّهُ لي وأنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِن أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوف فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيح المِسْكِ»(١).

يقول الإمَامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «وإنَّما خَصَّ الصَّوم بأنَّه له- وإنْ كانَتْ العِبَاداتُ كُلُّها له- لأمْرَيْن؛ بَايَنَ الصَّومُ بهما سائرَ العِبَادات:

أحدهما: أن الصَّوم يَمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات.

الثاني: أنَّ الصَّومَ سِرٌّ بين العَبد وبيْنَ ربِّه لا يظهر إلَّا له؛ فلذَلِكَ صار مختصًّا به، وما سِوَاه من العبادات ظاهر، ربما فعله تصَنُّعًا ورياءً، فلهَذَا صار أخص بالصَّوم مِن غيره، وقيل غير هَذَا»(٢).

وله كذَلِكَ تأثيرٌ عجيبٌ على العبد، حيث يُعينه على تهذيب نفسه، ويمنعه مِن المحرَّمات، ويحبسه عن كثير من الشَّهوات.

يَقولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ: «أمَّا الصَّومُ فناهِيكَ به من

---

(١) رواه البخاري (٥٥٨٣)، ومسلم (١١٥١)، واللفظ له.

(٢) «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٧٤).

عبادة تَكفُّ النَّفس عن شهواتها، وتُخرجها عن شِبه البَهائم إلى شِبه الملائكة المقرَّبين؛ فإنَّ النَّفسَ إذا خُلِّيَت ودوَاعي شهواتها التحقَتْ بعَالم البهائم، فإذا كفَّت شهواتها لله ضيقت مجاري الشَّيطَان، وصارت قريبة مِن الله بتَرْك عادتها وشهَواتها محبةً له، وإيثارًا لمرضاته، وتقربًا إليه؛ فيَدَع الصَّائمُ أحبَّ الأشيَاء إليه، وأعْظَمها لصُوقًا بنفسه من الطَّعام والشَّراب والجِمَاع مِن أجْل ربِّه، فهو عبادةٌ، ولا تُتصوَّر حقيقتُها إلَّا بترك الشَّهوة لله؛ فالصَّائمُ يَدَعُ طعامَهُ وشرَابَهُ وشهَواته مِن أجْل ربِّه، وهَذَا معنى كَوْن الصَّوم له تبارك وتعالى»[١].

ويتَذكَّر الصَّائمُ- بإذن أرْحَم الرَّاحِمِين- حالَ الفُقَراء والمسَاكين الَّذِين لا يجدون طعامًا ولا شرابًا، فيرق قلبُه عليهم، ويبذل وسعه في مدِّ يَدِ العَوْن إليهم؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأيُّ حُسْنٍ يَزِيدُ على حُسْنِ هَذِهِ العبادة التي تَكسر الشَّهوة، وتقمع النَّفس، وتُحيي القلب وتُفرحه، وتُزَهِّد في الدُّنيا وشهواتها، وتُرَغِّب فيما عند الله، وتُذَكِّر الأغنياءَ بشَأن المسَاكِين وأحْوَالهم، وأنَّهم قد أخَذوا بنَصِيب مِن عَيشهم؛ فتَعطف قلوبُهم عليهم، ويَعلمُون ما هم فيه مِن نِعَم الله فيزدادوا له شُكْرًا.

وبالجمْلَة: فَعَوْنُ الصَّومِ على تقْوَى الله أمرٌ مَشْهُورٌ؛ فما استَعان

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣).

أحدٌ علَى تقوى الله، وحِفْظ حدوده، واجتِنَاب محارمه بمِثْل الصَّوم، فهو شاهدٌ لِمَن شَرَعَه، وأَمَرَ به بأنَّه أحْكَمُ الحاكِمِين، وأرْحَم الرَّاحِمِين، وأنه إنَّما شرعه إحسَانًا إلى عِبَاده، ورحمة بهم، ولطفًا بهم، لا بُخلًا عليهم برزقه، ولا مجرَّد تكليف وتعذِيب خالٍ مِن الحكمة والمصلحة، بل هو غاية الحكمة والرَّحمَة والمصلحة، وإن شرع هَذِهِ العبادات لهم مِن تمام نِعمَته عليهم ورحمته بهم»[1].

إنَّ مما يُمَيِّز شهرَ الله الحرام هَذَا العام- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَام- أنه قد وَقَعَ في فصل يُعْرَفُ عن أهل الخير والصَّلاح الحرصُ على اغتنامه، واسْتِغْلَالهم لأوقاته؛ أَلَا وهو فصل الشِّتاء؛ يَقُولُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الشِّتاء غنِيمَة العَابدين»[2]؛ لأنَّ نهَاره يَقصر، فيَسْهل على العَبْد الصِّيامُ، وليْلهُ يَطُول؛ فيُعِينه علَى القِيَام.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ المؤمن يَقْدِر في الشِّتاء علَى صِيَام نهَاره مِن غير مَشَقَّة، ولا كُلفة تحصل له مِن جُوعٍ ولا عطَشٍ، فإنَّ نهارَه قَصير بارد، فلا يُحِسُّ فيه بمشَقَّة الصِّيام»[3].

فهو فرصةٌ ثمِينةٌ للعبد للإكثار فيه مِن الصِّيام؛ فعن عَامِر بن

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧).

(٣) «لطائف المعارف» (ص٥٥٨).

مسعودٍ الجُمحي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الصَّومُ فِي الشِّتَاءِ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ**»(١).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُٱللَّهُ: «ومعنى كونها غَنيمة باردة: أنَّها غنيمة حصَلَتْ بغير قِتَالٍ ولا تعَبٍ ولا مشَقَّة؛ فصاحبها يحُوز هَذِهِ الغنيمة عَفْوًا صَفْوًا بغير كُلفة»(٢).

فاللّهَ اللّهَ- أيها الأحبَّة والأخيَار- في اغتِنَام ما بقِيَ من الأوقات والأعمَار فيما يُحب الكَريم الغفَّار، والحِرصَ أشَدَّ الحرص على اجتِنَاب ما يُغضِب العزيز الجبَّار؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُٱللَّهُ:** «ينبغي للإنسان أن يَعْرِفَ شرَفَ زمَانه، وقَدْر وقْتِه، فلا يُضيع لحظةً في غير قُربة، ويُقَدِّم الأفضَلَ فالأفضَل مِن القَوْل والعمَل»(٣).

والبِدارَ البِدَارَ في اغتنام هَذَا الشهر الكريم، والحرص على التَّزود فيه بكل ما يحبُّه العليم العظيم؛ فالسَّعيدُ هو مَن اغتنمَه، والشَّقيُّ مَن فرَّط فيهِ وضيَّعه؛ **يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُٱللَّهُ:** «فالسَّعيدُ مَن اغتنَم

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٣٥)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ بمجموع طُرُقه في «السلسلة الصحيحة» (١٩٢٢).

(٢) «لطائف المعارف» (ص٥٥٨).

(٣) «صيد الخاطر» (ص٢).

مواسم الشُّهور والأيَّام والسَّاعات، وتقرَّبَ فيها إلى موْلَاه بما فيها مِن وظائف الطاعات؛ فَعَسَى أن تُصيبه نفحةٌ مِن تلك النَّفَحات فيسعد بها سعادةً يَأمن بعدَها مِن النَّار وما فيها مِن اللَّفَحَاتِ»[١].

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقنَا- وإيَّاكُمْ- لكلِّ ما يحبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ الحِرْص علَى كلِّ أنواع الخير والبِرِّ.

وأنْ يُجنِّبنا جميعًا كلَّ ما يُبغضه ويَأْبَاه من المعاصي والذنوب، وكل أنواع الشَّرِّ؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز المُقتدر.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبه أجْمَعِين

---

(١) «لطائف المعارف» (ص٤٠).

إجابة الدّعوة

إجابة الدعوة

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مما ينبغي على كلِّ مُسلمٍ- أيها الأحبَّة الأفاضل- هو أنْ يجتهد في أداء ما يجب عليه مِن حُقوقٍ، وما يُستحب نحو إخوَانه المُسْلِمِينَ، سواء كانُوا من الأقرَبين أو مِن الأبْعَدِين، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ**»[1].

يقول الإمَامُ الشَّوكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بقوله: «**حَقُّ المُسْلِمِ**»: أنه لا ينبغي تركُه، ويَكُون فِعْله إمَّا واجبًا أو مَندُوبًا ندبًا مؤكدًا شبيهًا بالواجب الَّذِي لا ينبغي ترْكه، ويَكُون استِعْمَالُه في المَعْنَيَيْن من باب استِعْمَال المُشترك في معْنَيَيْهِ؛ فإن الحقَّ يُستعمل في معنى

(١) رواه البخاري (١١٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٢).

الواجب. كذا ذكره ابنُ الأعْرَابي، وكذا يُستعمل في معنى الثَّابت، ومعنى اللَّازم، ومعنى الصِّدْق، وغير ذَلِكَ»(١).

ومِن حقوق المُسْلِمِينَ التي على العبد أن يحرص عليها، ويجتَهِد في أدائها خاصَّة إذا كانَتْ تجاه الأهل، والأقارب: إجابة دعوة مَن دَعاهُ منهم.

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمِن حَقِّ المسلم على أخيهِ إذا دعاه: أنْ يُجِيبَهُ، والإجَابة إلى الدَّعوة مشروعةٌ بلَا خِلَافٍ بين العُلماء فيما نَعْلَم، إذا كانَ الدَّاعي مُسْلِمًا، ولم يَكُن مُجاهرًا بالمعصِيَة، ولم تَكُن الدَّعوةُ مُشتَمِلةً على معصية لا يستطيع إزالتَها»(٢).

وتتأكَّد الإجابَةُ عليه على الصَّحيح إذا كانت هَذِهِ الدَّعوة لوَلِيمَة عُرسٍ؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَن يَأْتِيها، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَن يَأْبَاهَا، وَمَنْ لم يُجِبْ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ»**(٣).

يَقُولُ ابْنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا الحدِيثُ حُجَّةٌ في وجوب إجابة

---

(١) «نيل الأوطار» (٤/ ٢١).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٩٤).

(٣) رواه البخاري (٤٨٨٢)، ومسلم (١٤٣٢)، واللفظ له.

دعوة الوَلِيمَة»(١).

ويقول الإِمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى هَذَا الحديث: الإِخْبَارُ بمَا يقَع من النَّاس بَعْده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن مُراعَاة الأَغْنِيَاء في الوَلَائم ونحوها، وتخصِيصهم بالدَّعوة وإيثَارهم بطِيب الطَّعام، ورَفْع مجَالسِهم وتقْدِيمهم، وغير ذَلِكَ مما هو الغَالب في الوَلَائم، واللهُ المستعان»(٢).

ولقد حَرص الصَّحابةُ- رضوان الله عليهم- على العمَل بهَذَا الحديث، بل إنَّ بعضهم كان يحضر وليمة العُرس إذا دُعي إليها حتَّى وإنْ كان صائمًا؛ لأنَّ العبرةَ- أيها الأحبَّة الكرام- بتلبِيَة الدَّعوة لا بالطَّعام؛ فعن نَافِعٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سمعت عَبْدَ الله بن عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إذا دُعِيتُمْ لها!**». قال- أي: نافع-: وكان عبدُ اللهِ بن عُمَرَ يَأْتِي الدَّعْوَةَ في العُرْسِ وَغَيْرِ العُرْسِ، وَيَأْتِيهَا وهو صَائِمٌ»(٣).

يَقُولُ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «وَهُوَ صَائِمٌ» الواو فيه لحال، وأشار به إلى أنَّ الصَّوم ليس بعذرٍ في ترك الإجابة، وفائدة حضُوره، إرادة صاحب الوليمة التَّبرك به، والتَّجمُّل به، والانتِفَاع بدعائه، ونحو ذَلِك.

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٢٨٩).
(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٩/ ٢٣٧).
(٣) رواه البخاري (٤٨٨٤) ومسلم (١٤٢٩) واللفظ له.

وهل يسْتَمر على صَوْمِهِ، أو يستحب له أنْ يُفطِر إنْ كان صومه تطَوُّعًا؟

فعند أكثر الشَّافعيَّة وبعض الحنَابلة: إنْ كان يشُق على صاحِب الدَّعوةِ صَوْمه؛ فالأفضَل الفِطْر، وإلَّا فالصَّوم...

وقال أصحابُنا: يَنبغِي للرَّجُل أن يُجيب دعوةَ الولِيمَة وإنْ لم يَفعل فهو آثمٌ، وإن كان صائمًا أجاب ودعَا، وإن كان غيرَ صائم أكَل»[1].

فاعلَمْ أيُّها العبدُ -رعاك الله- أنَّ أخاك المُسلم ما قَدَّم لك الدَّعوة، ورَغِب في زيارَتِكَ له إلَّا لمحبَّةٍ في قلبه يُكِنُّها لك، وأنَّ هَذَا مما يُفْرِحُه، ويُدخِل البَهجة على قلبه، ويُساهِم في انشِرَاح صدره.

يَقُولُ الإمامُ المُهَلَّب بن أحمد بن أبي صُفرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «لا يَبعث على الدَّعوة إلى الطَّعام إلَّا صِدْق المحبَّة، وسُرور الدَّاعي بأكْل المدْعُو مِن طعَامهِ، والتَّحَبُّب إليه بالمُؤاكلَة»[3].

فعليك أن تَحرص -سَدَّدَك اللهُ- على إجابةِ دعوة إخوانك

---

(١) «عمدة القاري» (٢٠/ ١٦٢).

(٢) **الأندلسيُّ:** أحدُ شُرَّاح «صحيح الإمام البخاري»، تُوفِّي في شوال سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (ت:٤٣٥هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٥٧٩).

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٢٤٦).

المُسْلِمِينَ خاصَّة مَن كان منهم مِن الأقربين؛ لأنَّك ستجْنِي مِن هَذَا العمَل الخيرَ الكبير، والفضْلَ الكثير، بإذن العَلِيم الخبير.

ومِن أهم فوائدِه: أنَّك تُساهم في إدخال السُّرور على قلب مَن تستجيب لدعوته، وهَذِهِ الثَّمرة هي مِن أحبِّ الأعمال إلى العزيز القدير؛ فعن عبد الله بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إلى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ على مُسْلِمٍ**»(١).

واعلم- نَفَعَ اللهُ بك- أنك ستساهم- أيضًا- بتَلبِيَتك للدَّعوة على تقوية أوَاصِر المَحبَّة والأُلفة، والتَّراحم بينك وبين إخوانك بإذن ربِّ العالمين.

وهَذَا الَّذِي ينبغي على كل مُسلم أن يحرص دائمًا عليه؛ لأنه مِن صفات المُؤمِنينَ؛ فعن النُّعمان بن بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ المُؤمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٥٣)، وحَسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٧٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، واللفظ له.

يَقُولُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ الأحاديثُ صَرِيحَةٌ في تعْظِيم حقُوق المُسْلِمِينَ بعضهم على بعض، وحَثِّهم على التَّراحُم، والملاطَفَة والتَّعاضُد في غير إثمٍ ولا مَكْرُوه.

وفيه جوَازُ التَّشبيه وضَرْبُ الأمثَال لتَقرِيب المعاني إلَى الأفهَام.

قوله: صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ**»، أيْ: دعَا بعضُه بعضًا إلى المُشَارِكة في ذَلِكَ، ومنه قوله: تَدَاعَت الحِيطان، أي: تَسَاقطت، أو قَرُبَت مِن التَّساقط»(١).

وإيَّاك- أيُّها المسلم وفَّقك الله- أن يَكُون نظرُك إلى مقدار ما تُدعَى إليه من طعامٍ أو شراب، وليكن همُّك وغايتك إجابة دعوة إخوانك، سواء دُعِيتَ لقَلِيلٍ أو كثير؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إلي كُرَاعٌ لَقَبِلتُ**»(٢).

يَقُولُ الحافظُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديثِ دليلٌ على حُسن خُلُقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتواضُعِه، وجَبْره لقلوب النَّاس، وعلى قبول الهديَّة، وإجابة مَن يدعو الرَّجُل إلى منزله، ولو علم أنَّ الَّذِي يَدعوه

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٣٩).

(٢) رواه البخاري (٤٨٨٣).

إليه شيءٌ قلِيل»[١].

واعْلَم كذَلِكَ- سدَّدَك الله- أنه لا يَجُوز لك أنْ تُجيب دَعْوَة- وإن كانت لوَلِيمَةَ عُرْسٍ- إذا كانت تحتوي على المُحرَّمات، ولا يُمكنك إزالة ما فيها مِن مُنكرَات.

يَقُولُ الإمامُ ابنُ قُدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا دُعي إلى وليمة فيها مَعصية؛ كالخمر، والزَّمْرِ، والعُود، ونحوه، وأمكنه الإنكَار وإزالة المنكر لَزِمه الحُضور والإنكَار؛ لأنه يُؤدِّي فَرْضين؛ إجابة أخيه المُسلم، وإزالة المنكر، وإن لم يَقدر على الإنكَار لم يَحضر، وإن لم يَعلم بالمنكر حتى حَضَر أزالَه، فإن لم يقدر انصَرَف»[٢].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان في الدَّعوة مُنكَرٌ؛ فإنْ كان الإنسَان قادرًا على التَّغيير وَجَبَت عليه الإجابةُ مِن وجهين:

الوجه الأوَّل: إزالةُ المنكر.

والوجه الثَّاني: إجابةُ دعوة أخيه إذا كان في العُرس، وكان ذَلِكَ في أوَّل يوم.

وأمَّا إذا كان هُناك مُنكَر في الدَّعوة لا تَستطيع تغييرَه، كما لو كان

(١) «فتح الباري» (٩/ ٢٤٦).

(٢) «المغني» (٧/ ٢١٤).

في الدَّعوة شُرب دُخان، أو شيشةٍ، أو كان هناك أغاني محرَّمة، فإنَّهُ لا يجوز لك أنْ تُجيب»(١).

واحرص- كذَلِكَ- بعد إجابتك للدَّعوة أَشَدَّ الحرص: أنْ تَسْتَغِلَّ زيارتك لِمَن دَعاك فيما ينفع في الدَّارَيْن مِن الحَثِّ على الطَّاعات، والتَّواصِي بالخيرات، وغير ذَلِكَ مما يُحبه ربُّ البريَّات؛ قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عمَّمَ اللهُ الخَسار لكلِّ إنسان إلَّا مَن اتَّصفَ بأربع صفات:

الإيمان بما أَمَرَ اللهُ بالإيمَان به، ولا يَكُون الإيمَان بدون العِلم، فهو فَرْعٌ عنه، لا يَتِمُّ إلَّا به.

والعملُ الصَّالح، وهَذَا شاملٌ لأفعال الخير كلها الظَّاهرة والباطنة المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، الواجبة والمُستحبة.

والتَّواصي بالحق، الَّذِي هو الإيمَان والعمَل الصَّالح، أي: يُوصِي بعضُهم بعضًا بذَلِكَ، ويحثُّه عليه، ويرغبه فيه.

والتَّواصي بالصَّبر على طاعة الله، وعن معصِيَة الله، وعلَى أقدَار

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٩٤).

الله المؤلمة.

فبالأمْرَيْن الأوَّلين يُكمل العبد نفسه، وبالأمرين الأخِيرَيْن يُكمل غيره، وبتَكْمِيل الأمور الأربعة يَكُون العبدُ قد سَلِم مِن الخَسار، وفاز بالرِّبح العظيم»(١).

واحذر أشدَّ الحذر- حفظك الله- أنْ تكُونَ زِيَارتُك لإخوَانك مناسِبةً لفعل المحرَّمات وارتِكَاب المُنكرَات مِن سَماع الأغاني، والوقوع في الغيبة والنَّمِيمَة، والكلام في أعْرَاض الآخرين؛ لأنَّ هَذَا الفعل المشين ليس من صفات المُسْلِمِينَ؛ فعن عَبْدِ الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(٢).

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذَلِكَ أنَّ الإسْلَام الحقيقي: هو الاستِسْلَام لله، وتَكْمِيل عُبوديته، والقِيَام بحقوقه، وحقوق المُسْلِمِينَ، ولا يَتِمُّ الإسْلَام حتَّى يُحبَّ للمُسلمِينَ ما يحب لنفسه، ولا يتحقَّق ذَلِكَ إلَّا بسلامَتهم مِن شَرِّ لِسَانِه وشَرِّ يَده.

فإنَّ هَذَا أصل هَذَا الفرض الَّذِي عليه للمسلمين؛ فمَن لم يَسْلَم المسلمُونَ مِن لسانه أو يَدِهِ؛ كيف يَكُون قائمًا بالفَرْض الَّذِي عليه

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦١١٩)، واللفظ له، ومسلم (٤٠).

لإخوَانه المُسْلِمِينَ؟

فسَلامتُهم مِن شرِّه القولي والفِعْلي عنوانٌ على كمَالِ إسلامه»[(١)].

فالله أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَحفظ المُسْلِمِينَ في كلِّ مكان، وأنْ يجمعهم على كلِّ ما فيه خير لهم في الدَّارَيْن.

وأنْ يُدخِل على قلوبهم الفَرَحَ والسُّرور.

وأنْ يُجنبهم كلَّ أنواع الشَّقاء والشُّرور فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيزُ الغفورُ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص١٧).

تذكير أهل الإسلام

بأهمية صلة الأرحام

تذكير أهل الإسْلَام بأهمية صِلَة الأرْحَام

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ صِلَة الأرْحَام- أيُّها الأَحِبَّة الكِرام- من الأعمَال الصَّالحة الَّتي حثَّنا عليها دين الإسْلَام؛ يقول الإمَامُ القُرطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرَّحم على وجهين: عامَّة وخاصَّة.

فالعامَّة: رَحِم الدِّين ويجب مُواصَلتها بمُلَازمة الإيمَان والمحبَّة لأهله، ونصرتهم، والنَّصِيحَة لهم وترك مضَارَّتهم، والعَدْل بينهم والنصفة في مُعامَلتهم، والقِيَام بحقوقهم الواجبة؛ كتَمْرِيض المرْضَى، وحُقوق الموْتَى مِن غسلهم، والصَّلاة عليهم ودَفْنهم، وغير ذَلِكَ مِن الحقوق المترتبة لهم.

وأمَّا الرَّحِم الخاصَّة: وهي رحم القَرابة مِن طرفي الرَّجُل أبيه وأمه؛ فتَجِب لهم الحقوق الخاصَّة وزيادة؛ كالنَّفقة، وتفقد أحوالهم، وترك التَّغافُل عن تعاهُدهِم في أوقات ضرُورَاتهم، وتتأكَّد في حقِّهم

حقُوق الرَّحِم العامَّة، حتَّى إذا تزَاحمَتْ الحقوق بُدِئ بالأقرب فالأقرب»(١).

ويقول الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا صِلة الرَّحِم فهي الإِحسَان إلى الأقارب على حسَب حال الواصِل والموصُول؛ فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزِّيارةِ والسَّلام وغير ذَلِكَ»(٢).

بل هي من الصِّفات الكَرِيمة والأَخْلَاق الحمِيدَة التي يُعرف بها عباد الله المتقين، الَّذِين قال عنهم رب العالمين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، وهَذَا عامٌّ في كل مَا أمر الله بوصله، مِن الإيمَان به وبرسوله، ومحبَّته ومحبَّة رسوله، والانقِيَاد لعبادتهِ، وحْدهُ لا شريكَ له، ولطاعَةِ رسُولِه.

ويَصِلُونَ آباءهُم وأمَّهاتِهم ببرِّهِم بالقَوْلِ والفِعْل وعدَم عقُوقِهم، ويَصِلُون الأقارب والأرحام بالإِحسَان إليهم قولًا وفعلًا، ويَصِلُونَ ما بينهم وبين الأزواج، والأصحاب، والمماليك بأداء حقِّهم كاملًا

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٤٧).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/ ٢٠١).

مُوفرًا مِن الحقوق الدِّينيَّة والدُّنيويَّة.

والسَّبب الَّذِي يجعل العبد واصلًا ما أمر الله به أن يُوصَل خشية الله، وخوف يوم الحسَاب، ولهَذَا قال: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، أي: يخافونه؛ فيمنعهم خوفهم منه ومِن القُدوم عليه يوم الحسَاب: أن يتجرَّأوا على معاصي الله، أو يُقصِّروا في شيءٍ مما أمر الله به خوفًا مِن العِقَاب ورجَاء للثَّواب»(١).

لأنَّهم يَعلمُونَ- أيُّها الإخوة والأخوات- أنَّ الإتيَان بهَذِهِ العبَادة الجلِيلَة هو مِن الطَّاعات الَّتي أمَرَ بها ربُّ البريَّات، وأنَّ صلة الرَّحِم مِن الأعْمَال التي هي- بإذن ربِّ العالمين- سبب لكل خير في الدَّارَيْن؛ فعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ له في أَثَرِهِ فَلْيَصِل رَحِمَهُ**»(٢).

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا الحديثُ فيه الحثُّ على صلة الرحم، وبيان أنَّها كما أنها مُوجبة لرضا الله وثوابه في الآخِرَة، فإنها موجبة للثَّواب العَاجل بحصول أحب الأمُور للعَبد، وأنَّها سببٌ لبَسْط الرِّزق وتوسيعه، وسبب لطُول العمُر. وذَلِكَ حَقٌّ على حقيقته؛ فإنَّه تعالى هو الخالق للأسباب ومُسبِّباتها.

(١) «تفسير السعدي» (ص٤١٦).

(٢) رواه البخاري (٥٦٣٩)، ومسلم (٢٥٧٧)، واللفظ له.

وقد جعَل اللهُ لكل مطلوب سببًا وطريقًا يُنال به، وهَذَا جارٍ على الأصل الكبير، وأنه مِن حكمته وحمده جعل الجزاء مِن جنس العمل، فكمَا وصل رَحِمَهُ بالبر والإِحسَان المتنوِّع، وأدخل على قلوبهم السُّرور، وصل الله عمره، ووصل رزقه، وفتح له مِن أبواب الرِّزق وبركاته ما لا يحصل له بدون هَذَا السَّبب الجلِيل.

وكما أنَّ الصِّحةَ، وطيب الهواء، وطِيب الغِذَاء، واستِعْمَال الأمُور المقوية للأبْدَان والقُلوب، مِن أسبَاب طُول العمُر، فكذَلِكَ صِلَة الرَّحِم جعلها الله سببًا ربَّانِيًّا»[1].

وأنَّ تركها مِن المعَاصي والآثَام الَّتي حذَّرنا منها العَزِيز العَلَّام، بل قطيعتها مِن كبَائر الذُّنوب.

يَقُولُ القَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا خِلَاف أنَّ صِلَةَ الرَّحِم واجِبَة في الجمْلَة، وقطيعتَها معْصِيَةٌ كبيرةٌ»[2].

بل هَذَا الفِعْلُ القَبِيحُ والعمَل المشين مِن صِفَات المفسِدين الَّذِين ذمَّهم ربُّ العَالمين؛ حيْثُ قال عنهم العَزِيز الجبَّار: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

يَقُولُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذَا نهيٌ عن الإفسَاد في الأرض

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢٧١).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٣).

عمومًا، وعن قَطْع الأرْحَام خصوصًا، بل قد أَمَرَ اللهُ تعالى بالإصْلَاح في الأرض وصِلَة الأرْحَام، وهو الإحسَان إلى الأقارب في المقَال والأفعال، وبَذْل الأموال، وقد وردَتْ الأحَاديثُ الصِّحَاحُ والحِسَانُ بذَلِكَ عن رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن طُرُق عديدة، ووجوه كثيرة»(١).

فيَا أيُّها القَاطِع لرَحِمِه، المُفارق لقرَابته، اعلم- هَدَاك العزيز العظيم- أنَّك على شَرٍّ جَسِيم، وخَطرٍ عَظِيم إذا لم تَتُب قبْلَ فوَات الأوَان مِن هَذَا الذَّنب الذَّمِيم؛ فعن جُبَير بن مُطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»(٢).

يقول الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا الحديث يُتأول تأويلين:

أحدُهمَا: حَمْله على مَن يَسْتَحِلُّ القَطِيعة بلا سببٍ ولا شُبهة مع عِلمه بتَحْريمِهَا؛ فهَذَا كافرٌ يُخَلَّد في النَّار، ولا يَدخل الجَنَّة أبدًا.

والثَّاني: معناه: ولا يَدخلها في أوَّل الأمر مع السَّابقين، بل يُعاقب بتأخره القَدْر الَّذِي يُريده اللهُ تعالى»(٣).

وهَذَا في حقِيقَته دلِيلٌ علَى ضَعْف الإيمَان في قَلبِك، وقلَّة خوفك

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٣٨)، ومسلم (٢٥٥٦)، واللفظ له.

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٣).

مِن خالقِكَ ورَازِقِك؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِل رَحِمَهُ**»(١).

يَقُولُ المُلَّا علي قارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه إشارةٌ إلى أنَّ القَاطع كأنه لم يُؤمِن بالله واليوم الآخر؛ لعدَمِ خَوْفِهِ مِن شدَّة العقوبة المُترتِّبة على القَطِيعَة»(٢).

واعلم- أيُّها المسلم سَدَّدَكَ اللهُ- أنَّ الواصل الحقيقي لِرَحِمِه، والَّذِي يُمدَح على فِعْلِهِ ليس هو مَن يصل فقط مَن وصله، وإنَّما هو مَن يَزُور مَن وصلَه، ويصل كذَلِكَ مَن قطعه، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلِ الَّذِي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»(٣).

يَقُولُ ابْن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بالمكَافِئ**»، يعنى: ليْسَ الواصِلُ رَحِمَهُ مَن وصلَهُم مكافأةً لهم علَى صِلَةٍ تقدَّمَتْ منهم إليه؛ فكافأهُم عليها بصلةٍ مثلها»(٤).

ويَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «والواصلُ للرَّحِمِ لأجل الله تعالى

---

(١) رواه البخاري (٥٧٨٧).

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ١٤٣).

(٣) رواه البخاري (٥٩٩١).

(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٠٨).

يصلها تقرُّبًا إليه، وامتثالًا لأمره وإنْ قُطِعَتْ، فأمَّا إذا وَصَلَها حين تَصِله؛ فَذَاك كقضاءِ دَيْنٍ»(١).

فهو- حَفِظَه الرحمنُ- لا يُقابل الإساءةَ بالإساءة، وإنَّما يُقابِلُها بالإحسَان؛ لأنه يرجو ما عند الكريم المنَّان، ويقطع بفعله الكريم هَذَا الطَّريق أمَام الشَّيطان الَّذِي يسعى دائمًا للإفساد بين الأقارب والإخْوَان؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وأُحسنُ إليهم وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأَحْلُمُ عنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فقال- أي: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**لَئِنْ كُنْتَ كما قُلتَ؛ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يَزَالُ مَعَكَ مِن اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِم مَا دُمْتَ علَى ذَلِكَ**»(٢).

يقول الإمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**المَل**» بفتح المِيم: الرَّماد الحَار. «**تُسِفُّهُم**» بضم التَّاء، وكَسْر السِّين، وتشديد الفاء. «**وَالظَّهِير**»: المُعين والدَّافع لأذاهم.

وقوله: «وَأَحْلُمُ عنهم» بضم اللام. «وَيَجْهَلُونَ»، أي: يُسِيؤون. والجهل هُنا: القَبِيحُ مِن القَوْل، ومَعْناه: كأنَّما تُطعمهم الرَّماد الحار، وهو تَشْبِيهٌ لما يَلحَقُهم مِن الألم بما يَلحق آكل الرَّماد الحار مِن الألَم، ولا شيء على هَذَا المحسن، بل يَنالهم الإثْمُ العَظِيم في قطيعته،

(١) «كشف المشكل» (٤/ ١٣٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨).

وإدخالهم الأذى عليه.

وقيل: معناه: أنَّك بالإِحسَان إليهم تُخزيهم، وتُحقرهم في أنفسهم لكَثْرة إحسَانك وقبيح فعلهم، مِن الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسفُّ المَلَّ.

وقيل: ذَلِكَ الَّذي يَأكُلونه مِن إحسانك، كالمَلَّ يَحرق أحشاءهم، والله أعلم»(١).

فالحذَرَ الحذرَ- أيُّها المسلمُ سَلَّمَك الله- مِن التَّهاون والتَّقصِير في هَذِهِ العِبَادة الكَرِيمة؛ لأنَّ في ذَلِكَ ضررًا وشَرًّا، والمرءُ سَيُسْأل عنها يوم وقوفه بين يدَي العَزيز المقْتَدر.

والحِرْصَ الحِرْصَ- وفَّقَك الله- علَى تحقِيقهَا والإتْيَان بها بكلِّ وسيلة مُتاحة لك وعلى حسَب طاقتك وقُدرتك.

يَقُولُ الشَّيخُ العلَّامةُ ابنُ بَاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواجبُ علَيْكَ صلة الرَّحِم حَسب الطَّاقة؛ بالزِّيَارة إذا تيَسَّرَتْ، وبالمكاتَبة، وبـ«التليفون» الهاتِف.

ويُشرع لك- أيضًا- صلة الرحم بالمال إذا كان القريبُ فقيرًا»(٢).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقنا جميعًا لما

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٥).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ (١٠/ ٧٥).

يُحبُّه ويَرْضَاه، ومِن ذَلِكَ أن يُعِينَنا على صِلَة أرْحَامنا.

وأنْ يُجَنِّبَنا جميعًا ما يُبغضه ويَأباه، ومِن ذَلِكَ قطيعةُ الأرحام؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعَزِيزُ العَلَّامُ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

إِيَّاكَ والغضبَ المَذْمُومَ

أيُّها المُسلمُ

إيَّاك والغضب المذموم أيها المسلم

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الأخْلَاق السَّيئة، والأفعال المشينة الَّتِي يجب على المسْلِم أنَّ يجتَنِبهَا ويحذَر مِن الوقُوع فيها لما فِيهَا مِن ضَرر، ولعواقبها مِن خطَر الغَضَب المَذموم.

يَقُولُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغضَبُ: غَلَيَانُ دَمِ القلب طلبًا للانتِقَام، وذَلِكَ يُخرج الطَّبع عن حَدِّ الاعتِدَال»[١].

لأنَّه شُعلةٌ مِن نار مُحرقةٍ تُعْمِي صَاحبَها، وتَصَمُّه عن كلِّ خير؛ فلا تَنفعه حينئذٍ الذِّكرى، ولا تَرُدُّه موْعِظَةٌ.

يقولُ الإِمَامُ أحمَدُ بن عبْدِ الرَّحمن بن قُدامَة المَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَم أنَّه متَى قَوِيَتْ نارُ الغضَب والتهَبَتْ أَعْمَت صاحبَها،

---

(١) «كشف المُشكل» (٢/ ١٤).

وأصمَّته عن كلِّ موعظة؛ لأنَّ الغضَبَ يرتفعُ إلى الدِّماغ، فيُغطي على مَعادن الفِكْر، وربما تعَدَّى إلى معادن الحِسِّ؛ فتُظلم عينه حتى لا يَرى بعينه، وتَسْوَدُّ الدُّنيا في وجهه، ويَكُون دِمَاغُه على مِثال كهفٍ أُضرمت فيه نارٌ»(١).

وعوائده وخِيمَة، وعَواقبه سيِّئة جسِيمَة، يتضَرَّر بها صاحِبُه قبل غيره؛ يَقُولُ ابن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن ثَمرات الغضَب: السَّب والضَّرب، وما يَعُود بثَلبِ دين الغَضْبان وبَدنه قبل أذى المَغضوب عليه.

فإنَّ بعضَ النَّاس اسْتَشَاط يومًا مِن الغضَب؛ فصاحَ، فنفَثَ الدَّم، وأدَّاه ذَلِكَ إلى السُّلِّ!

وضربَ رجلٌ رجلًا على فَمِه فانكسَرَتْ أصَابعُ الضَّارب، ولم يَكبر أذى المضْرُوب!

وقد أَثَّر غَضبُ خَلْقٍ كثيرٍ في بَطشهم بأولادهم، وأهاليهم، وتطليق زوجاتهم، ثُم طالَتْ ندَامتُهم، وفاتَ الاستِدْرَاك»(٢).

ويَقُولُ الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويَنْشَأ مِن ذَلِكَ- أي: الغضب- كثيرٌ مِن الأفعَال المحرَّمة؛ كالقَتْل، والضَّرب، وأنواع

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (ص١٧٩).

(٢) «كشف المشكل» (٣/ ٥٣٩).

الظُّلم والعُدوَان، وكثيرٌ مِن الأقوال المُحرَّمة؛ كالقَذْف والسَّب والفُحْش، ورُبَّما ارْتقَى إلى درجة الكُفْرِ»(١).

ويَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الغضب مَفسَدةٌ للظَّاهر بتغير اللون، ورعْدَة الأطراف، والخُروج عن حيِّز الاعتِدَال، وقبح الصُّورة، وللبَاطِن دينًا ودُنْيا مِن إضمَار الحِقْد، وإطْلَاق اللِّسَان بنحو شَتْمٍ وفُحش، واليَد بنحو ضربٍ وقَتْل، إلى غير ذَلِكَ مما يُفسد القَلب، ويُغضب الرَّب، هَذَا إنْ تمكَّن مِن المغضوب عليه، وإلَّا رجع غضبُه على نفسه؛ فمزَّق ثوبه، ولَطَمَ خَدَّه، ورمى بنفسِه إلى الأرض، ورُبَّما قوِيَت عليه نارُ الغَضَب؛ فَأَطْفَأَتْ بعض حَرَارتِه الغرِيزيَّة فأغمي، أو كلها فمات»(٢).

ولَمَّا كان- أيُّها الأحبَّة الكِرَام- الغضَب المذْمُوم بهَذَا الخطَر والضَّرر أوْصانَا باجتِنَابه سيِّدُ البشَر؛ فعن أبي هريرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال للنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي! قال: «**لَا تَغْضَبْ**». فَرَدَّدَ مِرَارًا قال: «**لَا تَغْضَبْ**»(٣).

يَقُولُ الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَن

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٧).

(٢) «فيض القدير» (٦/ ٤١٤).

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٥).

استوصاه: «لَا تَغْضَبْ» يحتمل أمرين:

أحدهما: أنْ يَكُون مُراده الأمر بالأَسْباب الَّتي تُوجب حُسْن الخلُق مِن الكرَم، والسَّخاء، والحلم، والحيَاء، والتَّواضع، والاحتِمَال، وكف الأذَى، والصَّفح والعَفْو، وكَظْم الغَيْظ، والطَّلاقَة والبِشْر، ونحو ذَلِكَ مِن الأَخْلَاق الجمِيلَة، فإنَّ النَّفس إذا تخلَّقَتْ بهَذِهِ الأَخْلَاق، وصارَتْ لها عادة أوْجَب لها ذَلِكَ دفع الغضَب عند حصُول أسْبَابه.

والثَّاني: أن يَكُون المراد لا تَعْمَل بمُقتضَى الغضَب إذا حصَل لك، بل جاهِد نفْسكَ على تَرْك تنْفِيذه والعمَل بما يَأمُر به، فإنَّ الغضَب إذا مَلَك شيئًا مِن بني آدَمَ كان الآمِر والنَّاهي له»[(١)].

ويقُولُ الحافظ ابْنُ حجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قالَ ابنُ التِّين -محمد بن عبد الواحد السَّفَاقِسي شارح البُخاري-: جمَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «لَا تَغْضَبْ» خيرَ الدُّنيا والآخِرَة؛ لأنَّ الغضَب يؤول إلى التَّقاطع، ومنع الرِّفق، ورُبما آلَ إلى أنْ يُؤذِيَ المغضُوب عليه، فينتقص ذَلِكَ مِن الدِّين»[(٢)].

بل مِن شدَّةِ حِرْص خير البرِيَّة علَى نفع أُمَّته الإسْلَاميَّة: أنَّه أرْشَدَهم إلى الأدوِيَة الشَّرعية، والوسَائل الإيمَانيَّة التي يَقضي بها

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٥).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٠).

المسلمُ على الغضَب المذموم بإذن ربِّ البريَّة.

ومِن هَذِهِ الوسائلِ أيُّها الأفاضل: التَّعَوُّذ بالعزيز العَظِيم مِن الشَّيطان الرَّجيم؛ لأنه هو مَن يُزيِّن هَذَا الخلُق الذَّميم؛ فَعَن سُليمان ابن صُرَدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ، وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ؛ فقَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لو قَالَهَا لَذَهَبَ عنه الَّذِي يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِن الشَّيطان الرَّجِيمِ**»[(١)].

يقول الإمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «فيه: أنَّ الغضَب في غير الله تعالى من نَزغ الشَّيطان، وأنَّه يَنبغي لصَاحب الغضَب أنْ يَستعيذ؛ فيَقُولُ: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، وأنَّه سببٌ لزَوالِ الغَضَب»[(٢)].

ويَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «والاستِعَاذة مِن أقوى سلَاح المؤمن على دفع كيد اللَّعين إبليس ومَكْره، وإذا تأمَّل معنى الاستِعَاذة، وهو الالتِجَاء إلى الله تعالى، والاعتِصَام به، وضمَّ له التَّفكُّر فيما وردَ في كظم الغَيْظ وثوَابه، واستَحْضر أنَّ اللهَ أعظم قدرة مِن قُدرته على مَن غَضِبَ عليه سَكن غضبه لا مَحالة»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠١)، ومسلم (٢٦١٠)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٦٣).

(٣) «فيض القدير» (١/ ٤٠٨).

ويَقولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان الغضبُ والشَّهوةُ جمرتَيْن مِن نَار في قَلب ابن آدَمَ أَمَر أَنْ يُطفئهما بالوضُوء، والصَّلَاة، والاستِعَاذة من الشَّيطان الرَّجيم»[١].

ومِمَّا يُعِين العبد كذَلِكَ على التَّخلُّص مِن هَذَا الخُلُق المشِين إذا انتَابه وشعر أنه سيُسَيْطر عليه: أن يُغيِّر مِن هَيئته؛ فيَجلس إذا كان قائمًا، فإذا لم يذهب عنه فليَضْطَجع، وسيَزول عنه بإذن ربِّ العالمين؛ فعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لنا: «**إذا غَضِبَ أحَدُكُم وهو قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ؛ فَإِنْ ذَهَبَ عنه الغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»[٢].

يَقولُ الإمامُ الخطَّابيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القَائمُ مُتَهَيِّئٌ للحرَكة والبَطْش، والقَاعِدُ دُونه في هَذَا المعنى، والمضْطَجعُ ممنوعٌ منهما؛ فيُشبه أنْ يَكُون النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّما أَمَرَه بالقُعود والاضطِجَاع؛ لئلَّا يَبدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يَندم عليها فِيمَا بَعْد، والله أعلم»[٣].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشْرُوع للإنسَان إذا

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٤٦٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٨٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «معالم السُّنن» (٤/ ١٠٨).

غَضِب أنْ يَحبس نفْسَهُ، وأنْ يَصْبر، وأنْ يتعَوَّذ بالله من الشَّيطَان الرجيم، يَقُولُ: أعوذ بالله من الشَّيطَان الرجيم، وأنْ يَتوَضَّأ، فإنَّ الوضوءُ يُطْفِئ الغضَبَ، وإنْ كان قائمًا فَلْيَقْعُد، وإنْ كان قاعدًا فَلْيَضْطَجع، وإنْ خاف خرج مِن المكان الَّذِي هو فيه، حتَّى لا يَنفذ غضبه، فيَندم بعد ذَلِكَ، والله الموفق»(١).

وكذَلِكَ عليه- أيُّها الإخوة والأخوات- أنْ يُجاهِد نفسَه على السُّكوت، ويَحذر مِن الكلَام في حَال الغضَب، فقَد يَصدر منه ما قد لَا ينفع بعده النَّدم، ولا تُغني عنه الحسرات؛ فعن عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا غَضِبَ أحدُكم فَلْيَسْكُتْ**»(٢).

يَقُولُ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهَذَا- أيضًا- دواءٌ عَظِيمٌ للغضَب؛ لأنَّ الغَضْبَانَ يَصدر منه في حَالِ غضَبهِ مِن القول مَا يندم عليه في حال زوال غضبِه كثيرًا مِن السُّباب، وغيره مما يَعظم ضرَرُه، فإذا سكَتَ زال هَذَا الشَّرُّ كله عنه»(٣).

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٧٢).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٣٩)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بشواهده في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٦).

اعلم- أيُّها المُسلم سَدَّدَكَ اللهُ- أنَّ سرعة الغضَب ليْسَت مِن شِيَم أهل الفَضْل الأتقِيَاء، ولا مِن علامات أهل الحِلم العُقَلاء، وإنما هي من صفات الحمْقَى، والجهَّال والأغبِيَاء.

يقولُ الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُرعة الغضَب مِن شِيَم الحمْقَى، كمَا أنَّ مجانبته مِن زيِّ العُقلَاء، والغضَبُ بذر النَّدم، فالمرء على تركِهِ قبل أن يَغضب أقْدَر على إصْلَاح مَا أفسد به بعد الغضَب»(١).

وكذَلِكَ القوَّة الحقيقِيَّة التي يَمْدَح عليها الإنسَان ليْسَت في إظهار الغضَب والحِرْص على الانتِقَام كما تُزيِّن له النَّفسُ، ويُزخرف ذَلِكَ له الشَّيطَانُ، وإنَّما هي في عدَم التَّسرُّع، والسَّيطرة على النَّفس عند الغضَب والهيجان، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ؛ إنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»(٢).

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**» بضم ففتح من يصرع النَّاس كثيرًا، أي: ليْسَ القويُّ مَن يقدر على صَرع الأبطَال مِن الرِّجال، «**إنَّمَا الشَّدِيدُ**» علَى الحقيقة «**الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ**

---

(١) «روضة العقلاء» (ص١٣٩).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩)، واللفظ له.

الغَضَبِ»، أي: إنَّما القويُّ حقيقة الَّذِي كَظَمَ غيْظَهُ عند ثوَران الغضَب، وقَاوَمَ نفسَهُ، وغلب عليها؛ فَحَوَّل المعنى فيه مِن القوَّة الظَّاهرة إلى البَاطنة»(١).

ويَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فدلَّ هَذَا أنَّ مجاهدة النَّفس أشدُّ مِن مجاهدة العَدُو؛ لأنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جعَل للَّذِي يَملك نفْسَهُ عند الغضَب مِن القوَّة والشِّدة ما ليْسَ لِلَّذِي يغلب النَّاس ويَصْرعهُم»(٢).

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ»، أي: ليْسَ القويُّ في الصُّرعة الَّذِي يُكْثِر صَرْع النَّاس؛ فيَطرحهُم ويغلبهم في المصارعة، هَذَا يقال عنه عند النَّاس: إنَّه شَديد وقوي، لكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ليس هَذَا الشديد حقيقة، «**إنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»، أي: القوِي حقيقة هو الَّذِي يَصرع نفسَهُ إذا صارعَتْهُ وغَضِبَ مَلَكَها وتحكَّم فيها؛ لأنَّ هَذِهِ هي القُوَّة الحقِيقَة، قوَّة داخلية معنوية، يتغَلَّب بها الإنْسَان علَى الشَّيطَان؛ لأنَّ الشَّيطَان هو الَّذِي يُلقي الجمرة في قلبك مِن أجْلِ أنْ تَغْضَب.

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٢١).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٩٦).

ففي هَذَا الحديث الحثُّ علَى أنْ يَملك الإنسانُ نفْسَهُ عند الغضَب، وأن لا يَسْتَرسِل فيه، لأنَّه يندم بعده، كثيرًا ما يغضب الإنسان فيُطَلِّق امرأته، وربما تَكُون هَذِهِ الطَّلقة آخر تطْلِيقَة!

كثيرًا ما يَغضب الإنسَان فيُتلف ماله؛ إمَّا بالحَرق أو بالتَّكسِير!

كثيرًا ما يَغضب على ابْنِه حتى يَضربه، وربما مات بضَرْبِه!

وكذَلِكَ يَغضب علَى زوجته- مَثَلًا- فيَضربها ضربًا مُبرحًا!

وما أَشْبَه ذَلِكَ من الأشياء الكثيرة الَّتي تَحْدُث للإنسان عند الغضب.

ولهَذَا نَهَى النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَقضي القَاضي بين اثنين وهو غضبان؛ لأنَّ الغضَبَ يَمنع القَاضي مِن تَصُوُّر المَسألة، ثُم مِن تَطْبِيق الحكم الشَّرعي عليها، فيَهْلِك، ويَحكُم بَيْن النَّاس بغير الحقِّ»[(١)].

فاحرص أشدَّ الحرص- حفظك الله- على أنْ تَمْلك نفْسَك عند الغضَب، وإيَّاكَ ثُم إياك والعجَلة؛ لأنها مِن اتِّباع هوى النَّفس، وهي مِن تزْيين الشَّيطَان؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٧١).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «التَّأنِّي مِن اللهِ، والعَجَلةُ مِن الشَّيطَان»[(١)].

يَقولُ المُناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: التَّأنِّي «مِن اللهِ»، أي: مما يَرْضَاه، ويُثيب عليه، «والعَجَلةُ مِن الشَّيطَان»، أي: هو الحاملُ عليها بوَسْوسَتِهِ؛ لأنَّ العجلةَ تَمنع مِن التَّثبت، والنَّظر في العواقب»[(٢)].

واعْلَمْ- كذَلِكَ- أنَّ آثارَها على العَبْدِ خطيرة، وعواقِبها عليه وخيمة؛ يَقولُ الإمَامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهَذَا كانَتْ العجَلة مِن الشَّيطَان، فإنَّها خِفَّة وطَيْش، وحِدة في العبد تَمْنَعه مِن التَّثبت، والوقار، والحِلم، وتُوجب له وضع الأشياء في غَيْر مواضعها، وتَجلب عليه أنواعًا من الشُّرور، وتمنعه أنواعًا مِن الخير، وهي قرين النَّدامة، فقلَّ مَن استعجل إلَّا نَدِم، كما أنَّ الكسَل قرينُ الفَوْت والإضاعَة»[(٣)].

وعليك- كَتَبَ اللهُ أَجْرَك- إذا أَرَدْتَ النَّجاحَ والفلَاح في الدَّارَيْن: أنْ تُوطِّن نفسك دومًا على الصَّبر، والعَفْو عن الآخَرِين؛ لأنَّ هَذَا هو سبيل المحسِنين الَّذِين مدحَهُم ربُّ العالمين، حيث قال عنهم العزيز العَظِيم في كتابه الكريم: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ

---

(١) رواه أبو يَعْلَى في «مسنده» (٤٢٥٦)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٧٩٥).

(٢) «فيض القدير» (٣/ ٢٤٧).

(٣) «الروح» (ص٢٥٨).

عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

يَقُولُ الشَّيخُ الشِّنقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلَّت هَذِهِ الآية علَى أنَّ كَظْم الغيظ والعَفْوَ عن النَّاس، مِن صفات أهل الجنَّة، وكفى بذَلِكَ حثًّا على ذَلِكَ.

ودلَّتْ أيضًا: على أنَّ ذَلِكَ مِن الإِحسَان الَّذِي يحب الله المتصفين به»(١).

وَاعْلَم- رعاك الله- أنَّهُ ليْسَ في عَفْوِك وصَفْحِك عمَّن ظلمك الذُّل والهوَان، وإنَّما لك بذَلِكَ العِزَّة، والرِّفعة بإذن العزيز المنَّان؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا**»(٢).

يقول الإِمَامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فيه وَجْهَان، أحدُهمَا**: أنه علَى ظاهِرِه، وأنَّ مَن عُرف بالعَفْوِ والصَّفح سادَ وعَظُم في القُلوب، وزادَ عِزُّه وإكرامه.

والثَّاني: أنَّ المرادَ أَجرُه في الآخِرَة وعِزُّه هُناك»(٣).

وستَنال بذَلِكَ- أيضًا بإذن ربِّ البريَّة- السَّعادةَ والطُّمأنينة

---

(١) «أضواء البيان» (٥/ ٤٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١٤١).

الحقِيقيَّة؛ يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الصَّفح والعَفْو والحِلم: مِن الحلَاوة، والطُّمأنِينَة، والسَّكينة، وشرف النَّفس، وعزها، ورفعتها عن تَشَفِّيها بالانتِقَام: ما ليْسَ شيءٌ منه في المقَابلة والانتِقَام»(١).

فبَعْد أن عرَفْنَا- أيُّها الأحبة الكرام- خَطَر الغَضب المذْمُوم، وما له مِن عَواقب جَسِيمَة، وأضرار وخيمة، وأنه سبَب لكل بلَاء وشَر، فعلَيْنا إذَا أن نَجتنبه، ونحذر منه أشدَّ الحذَر.

وعلى مَن ابتلي به أن يَلتزم الأسْباب الشَّرعية ويعمل بالوصايَا النَّبوية للتَّخلص منه بإذن العزيز المقتدر.

وعلينا كذَلِكَ أنْ نُجاهد أنفُسِنا دومًا علَى تقْدِيم العفو والصَّفح عن المسيئين بدل حُبِّ إلحاق الأذية والحرص على الانتقام من الآخرين.

يقول الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الوَاجبُ على العَاقل توْطِينُ النَّفس على لُزوم العفو عن النَّاس كافَّة، وترك الخروج لمجازَاة الإسَاءة، إذْ لَا سببَ لِتَسْكِين الإساءة أحسنُ مِن الإحسَان، ولا سبَبَ لِنَماءِ الإسَاءة وتهْييجهَا أشدُّ من الاستِعْمَال بمثلها»(٢).

فالله أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَرزقنا- وإيَّاكُمْ-

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٩).

(٢) «روضة العقلاء» (ص١٦٦).

محاسَنَ الأخْلَاق ومكارمها.

وأنْ يَصْرِفَ عنَّا شرُورَهَا ومَساوئها؛ كالغَضب، وحُبِّ الانتِقَام، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والكريمُ العلَّامُ.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

التَّعَصُّب المَذموم!

التعَصُّب المذموم!

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الابتِعَادَ عن الوسَائل المُؤدِّيَة إلى قَطْعِ أواصِر المحبَّة والإخَاء، والمُتسبِّبَة في نشر العداوة والبغضاء بين أهل الإسْلَام مما أمرنا به العَزِيز العَلَّام، وحثَّنا عليه نبيُّنا محمَّد علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ يَقولُ العلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظيفةُ المُسلم مع إخوانه: أن يَكُون هَيِّنًا لَيِّنًا بالقول وبالفعل؛ لأن هَذَا مما يُوجِب المودَّة والألفة بين النَّاس، وهَذِهِ الألفة والمودَّة أمرٌ مطلوب للشَّرع، ولهَذَا نَهى النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن كل ما يُوجب العداوة والبغضاء»[(١)].

ومِن الأسباب الموصلة لهَذَا الضَّرر والتي يَنبغي على كل مسلم أن يَجتنبها، ويحذر منها أشد الحذر لما في توابعها مِن أثر، وعواقبها من خطر، داءٌ عُضال، ومرض قتَّال تَسَبَّب في تفريق كلمة كثير من

(١) شرح «رياض الصالحين» (٢/ ٥٤٤).

المُسْلِمِينَ، ونتج عنه تسَلُّط أعداء الدِّين ألَا وهو التَّعَصُّب المشين.

هَذَا الوباء الخطير قد انتشر- أيُّها الأحبة- في زماننا بين المُسْلِمِينَ بشكل كبير، بل وللأسف- أيُّها الأفاضل- لم يَعُد قاصرًا على صورةٍ مُعينةٍ، بل تعدَّدَت صُوره، وتنوَّعَت أشكاله، حيث نرى أنَّ مِن أهل الإِسْلَام- أيُّها الأحباب- مَن يَحْمِلُه حُبُّه وإعجابه ببعض المشَايخ إلى التَّعَصُّب لهم، حتى وإن جَانبوا الصَّواب؛ يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يَنبغي لأحدٍ أن يَحمله تَحَنُّنه لشخصٍ ومَوالاته له على أن يتعصَّب معه بالبَاطل، أو يُعطِّل لأجله حدُودَ الله تعالى»(١).

وقد تَناسى هؤلاء- أيُّها الإخوة والأخوات- أنَّ هَذَا الفعل المذموم هو من علامات أهل البدع والمحْدثَات؛ يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومَنْ تَعَصَّب لواحدٍ بعينه مِن الأئمَّة دون الباقين فهو بمنزلة مَن تعصَّب لواحدٍ بعينه من الصحابة دون الباقين؛ كالرَّافضي الَّذِي يَتعصب لعليٍّ دون الخلفاء الثَّلاثة وجمهور الصحابة، وكالخارجي الَّذِي يَقدح في عُثمَانَ وعليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فهَذِهِ طُرُقُ أهلِ البِدع والأهواء الَّذِين ثبت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع: أنَّهم مَذمومون، خارجون عن الشَّريعةِ والمنهاج الَّذِي بَعَثَ اللهُ به رسولَه.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٧١).

فَمَن تعصَّبَ لواحدٍ مِن الأئمَّة بعينه ففيه شَبَهٌ مِن هؤلاء؛ سواء تعصَّبَ لمالكٍ، أو الشَّافعي، أو أبي حنيفة، أو أحمد، أو غيرهم»[(١)].

وأنه مِن دَعْوَى الجاهليَّة التي حذَّرنا منها رسولُ رب البرِيَّة؛ يَقولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَن تعصَّب لأهل بلدته، أو مذهبه، أو طريقته، أو قرابته، أو لأصدقائه دون غيرهم؛ كانت فيه شُعبةٌ من الجاهلية، حتى يَكُون المؤمنون كما أَمَرَهم اللهُ تعالى مُعتصمين بحبلِه وكتابه وسُنَّة رسولِه»[(٢)].

ويَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّعَصُّب للمَذاهب والطَّرائق والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبيَّة، وكونه مُنتسبًا إليه، فيدعو إلى ذَلِكَ، ويُوالي عليه، ويُعادي عليه، وَيَزِنُ النَّاس به؛ كلُّ هَذَا مِن دَعوى الجاهلية»[(٣)].

ويَقُولُ العلَّامةُ الفَوْزان حفظه الله: «إثارة العصَبيَّات، والقَوْمِيَّات، والحزبيَّات، وما إلى ذَلِكَ، كلُّ ذَلِكَ مِن دَعْوى الجاهلية، وكذا التَّعَصُّب للأقوال والمذاهب التي لا دليلَ عليها»[(٤)].

وأنَّ المُتعصِّب في الحقيقة هو مُتَّبِعٌ لهواه، وللشَّيطان الَّذِي زَيَّن له

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٢٢).

(٣) «زاد المعاد» (٢/ ٤٧١).

(٤) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢/ ٨٤).

هَذَا العصْيَان؛ يَقُولُ الهيتميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّعَصُّب للمَذاهب والأهواء، والحقد على الخصوم، والنَّظَر إليهم بعَيْنِ الازدِرَاء والاحتقار، وذَلِكَ مما يهلك العِبَاد والعلماء، فضلًا عن غيرهم، فإنَّ الاشتِغَال بالطَّعن في النَّاس، وذكر نقائصهم مما جُبِلَ عليهم الطَّبع، فإذا خَيَّلَ الشَّيطَانُ إليه أنَّ ذَلِكَ هو الحق؛ زاد فيه واستكثر، وحلَا له، وفرح به؛ ظنًّا منه أنه يسعى في الدِّين، وما هو إلَّا ساعٍ في اتِّباع الشَّيطَان دون اتِّباع المتعصب له من الصَّحابة أو من بعدهم»(١).

فعليه أن يَعلم قبل فوات الأوان أنه في حرمانٍ وخُسرانٍ إذا لم يبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى الكريم المنَّان، ويَترك الَّذِي عليه مِن بُطلان؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَفَيَظُنُّ المُعْرِضُ عن كتاب ربِّه، وسُنَّة رسوله أنْ يَنْجُوَ من ربِّه بآراء الرجال، أو يتخلَّصَ مِن بأس الله بكثرة البُحوثِ والجِدال، وضروب الأقيسَةِ، وتنوُّع الأشكال، أو بالإشاراتِ والشَّطحَات وأنواع الخيال؟!

هيْهَات والله، لقد ظنَّ أكذَبَ الظَّن، ومَنَّتْهُ نفسُه أبينَ المِحال، وإنَّما ضُمنت النَّجاة لمن حكَّم هُدَى الله على غيره، وتزوَّد التقوى، وائْتَمَّ بالدَّليل، وسَلك الصِّراط المستقيم، واسْتَمْسَكَ مِن الوحي بالعُروَة الوثقى التي لا انفِصَامَ لها، والله سميعٌ عليم»(٢).

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ١٦٣).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٦).

وعليه إذا أراد الفلَاح والنَّجاحَ أنْ يَسْلُكَ سبيل الأخيار الَّذين عَصَمَهُم العزيزُ الجَبَّار مِن هَذَا الانحِرَاف والانحِدَار، وهم أهلُ السُّنَّة والاتِّباع الَّذين يَدُورُون مع الحقِّ حيث دار؛ **فعن زكريا بن يحيى الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٥١هـ) قال:** «سمعت أبا بكر بن عيَّاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٩٤هـ)، وقال له رجل: «يا أبا بكر؛ مَن السُّني؟ فقال: السُّنِّيُّ الَّذي إذا ذُكِرَتْ الأهواءُ لم يَتعَصَّب لِشيءٍ منها»[(١)].

يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّهم- أي: أهل السُّنة المَحْضَة- أَوْلَى الطَّوائف بهَذَا؛ فإنهم يَصْدقُون، ويُصَدِّقُون بالحقِّ في كلِّ ما جاء به، وليس لهم هوى إلَّا مع الحقِّ»[(٢)].

ويَقُولُ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أهلَ الحقِّ والسُّنَّة لا يَكُون مَتبُوعهم إلَّا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذي لا يَنطق عن الهَوى، إنْ هُو إلَّا وحيٌ يُوحَى، فهو الَّذي يجب تصديقُه في كلِّ ما أخبَر، وطاعته في كل ما أمَر، وليست هَذِهِ المنزلةُ لغيره مِن الأئمَّة، بل كل أحدٍ مِن النَّاس يُؤخذ من قوله ويُترك إلَّا رسول الله؛ فَمَن جَعَلَ شَخصًا مِن الأشخاص- غيرَ رسولِ الله- مَن أحبَّهُ ووافَقه، كان مِن أهل السُّنة والجماعة، ومَن خالفه كان مِن أهل البدعة والفُرقة- كما يوجد ذَلِكَ في الطَّوائف مِن أتْبَاع أئمَّة في الكلام في الدِّين وغير ذَلِكَ- كان

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٢٠٦٨).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ١٩٠).

من أهل البدع والضَّلال والتَّفرُّق.

وبهَذا يَتبيَّن أنَّ أحقَّ النَّاس بأنْ تكون هي الفرقة النَّاجية: أهل الحديث والسُّنَّة، الَّذِين ليس لهم مَتْبُوعٌ يَتعصَّبُونَ له إلَّا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أعلم النَّاس بأقواله، وأحواله، وأعْظَمهم تمْييزًا بين صحِيحهَا وسقِيمهَا، وأئمتهم فقهاءُ فيها، وأهل معرفةٍ بمَعانِيهَا، واتِّباعًا لها تصديقًا وعملًا، وحُبًّا ومُوالاةً لمن وَالاها، ومُعاداة لمن عاداهَا، الَّذِين يَرْوُونَ المقالات المُجْمَلة إلى ما جاء به مِن الكتاب والحكمة، فلا ينصبون مقالةً ويجعلونها مِن أصول دينهم، وجُمَل كلامهم إنْ لم تكن ثابتة فيما جاء به الرَّسُول، بل يجعلون ما بعث به الرَّسول من الكِتَاب والحكمة هو الأصل الَّذِي يعتَقِدُونه ويَعتمِدُونه»[(١)].

ومِن صُوَر التَّعَصُّب المذموم كذَلِكَ- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- ما نراه من بعض المُسْلِمِينَ مِن التَّعَصُّب لبَلدِه، أو لَوْنِه، أو قبيلتِه وإن كانوا على البَاطل، وقد نَسي هَذَا أنَّ الميزان الحقيقي الَّذِي يُوزَن به الأنام هو تقوى الله العَزِيز العَلَّام؛ يَقُولُ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبِر تعالى أنَّه خَلق بنِي آدم مِن

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٦).

أصلٍ واحد، وجنس واحد، وكلهم مِن ذَكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً، وفرَّقهُم، وجَعَلَهُم ﴿شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ أي: قبائل صغارًا وكبارًا، وذَلِكَ لأجْلِ أنْ يتعَارفُوا، فإنه لو استقَلَّ كلُّ واحد منهم بنفسه لم يحصل بذَلِكَ التَّعارف الَّذِي يتَرتَّب عليه التَّناصُر والتَّعاون، والتَّوارُث، والقِيَام بحقُوقِ الأقارب، ولكنَّ الله جعلهم شعوبًا وقبَائل؛ لأجْلِ أنْ تحصل هَذِهِ الأمور وغيرها مما يتوَقَّف على التَّعارف، ولحوق الأنسَاب.

ولكن الكرم بالتَّقوى؛ فأكرمهم عند اللهِ أتْقَاهُم، وهو أكثرهم طاعةً وانكِفَافًا عن المعاصي، لا أكثرهم قرَابة وقومًا، ولا أشرفهم نسبًا.

ولكن الله تعالى ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يَعلم مَن يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرًا وباطنًا ممن يقوم بذَلِكَ ظاهرًا لا باطنًا؛ فيُجازي كُلًّا بما يستحِق»(١).

ومِن أنواع التَّعصُّب المشاهَد- أيضًا- اليوم بين كثيرٍ مِن شباب المُسْلِمِينَ: ما نَراه مِن التَّعَصُّب للنَّوادي والمُنتخَبات؛ حيث أدَّى بهم هَذَا الفعل القبيح للشَّحناء والبَغْضَاء بدل المحبَّة والإخاء، بل بعضُهم قد جرَّهُ لما هو أشَرُّ مِن ذَلِكَ، حيث جرَّهُم التَّعَصُّب للمُشاجَرة والاقتِتَال، والله المستعان.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٠٢).

ويزداد الألمُ، وتشْتَدُّ الحسْرَةُ على حال الشَّباب- أيُّها الأحباب- عندما نرَى بعْضَهُم يَتعصَّبُ لفِرَقٍ مِن غير المُسْلِمِينَ، ولا حول ولا قوة إلَّا بربِّ العالمين.

فيا- أيُّها المُسلم الكَريم- احْرِصْ رَعَاكَ اللهُ- على اسْتِغْلَال وقتِكَ فيما يَعود عليك نَفْعُه في الدَّارَيْن، ويُرضِي عنك ربَّ العالمين!

وإيَّاكَ ثُم إيَّاكَ أنْ تُضَيِّعَهُ في الملذَّات، وتَصرفه في الشَّهَوات، فإنَّ الوقت يَمْضِي والسَّاعات تنْقَضِي، والإنسانُ لا يَعلم متَى تُباغِتُه المَنِيَّة، ويأتيه الأجَل؛ يَقُولُ ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان أنْ يَعْرِفَ شرف زمَانه، وقدر وقته، فلَا يُضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضَل فالأفضَل مِن القول والعمَل»(١).

واحْرِصْ إذا أردْتَ النَّجاح والفلَاح أنْ يَكُون هَمُّك دائمًا اتِّباع الحَقِّ، والعمل به، ومُوالاة أهله أيْنمَا ومَهْمَا كانوا؛ يَقُولُ شَيْخُ الإسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس لأحدٍ أنْ يَنتسب إلى شيخٍ يُوالِي على مُتابعته، ويُعادِي على ذَلِكَ، بل عليه أنْ يُوالِي كلَّ مَن كان من أهل الإيمَان، ومَن عُرف منه التَّقوى مِن جميع الشُّيوخ وغيرهم»(٢).

---

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥١٢).

واحذر- حفظك العزيز المقتدر- كذَلِكَ أشدَّ الحذَر مِن التَّعَصُّب الذَّميم بشتَّى أنواعه وصُوَره؛ لأنه خطَرٌ وضرَر، وسيَرجع علَى صاحبه بالحِرمَان والخُسْرَان إذا لم يَتْركه، ويُبادر بالتَّوبة والرُّجوع إلى العَزِيز الرَّحمن؛ يَقولُ العلامة الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يجوز أبدًا التَّعَصُّب لزَيْدٍ أو عمرٍو، ولا لرأي فُلان أو عِلَّان، ولا لحزب فلان، أو الطَّريقة الفلانية، أو الجماعة الفُلانِيَّة، كل هَذَا مِن الأخطَاء الجديدة، التي وقع فيها كثير من النَّاس»(١).

فالله أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أنْ يُوفِّقنا جميعًا لما يحبُّه ويَرضاه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعَلَنا مِن أهل الحق والاتِّباع.

وأنْ يُجنِّبَنا جميعَ ما يُبغضه ويأبَاه، ومِن ذَلِكَ التَّعَصُّب الذَّميم، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز العظيم.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم علَى نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ» (٢/ ٣١٢).

تذكير المُسلِمين بخطر التَّجسُّس علىٰ الآخرين

تذكير المسلمين بخطر التجسس على الآخرين

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن الحِرمَان والخُسْرَان أنْ يَصْرِفَ المرءُ وقتَه، ويُضيع عمُرَه في ما لَا ينفعه، ومِن ذَلِكَ أنْ يجعل همَّه البحث عن عيوب النَّاس، ويحرص على تصيُّد أخطائهم؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طُوبَى لِمَن شَغَلَه عَيْبُه عن عُيوب النَّاس، وويلٌ لِمَن نَسِيَ عيْبَهُ، وتَفَرَّغ لعيوب النَّاس؛ فالأَوَّلُ علَامةُ السَّعادة، والثَّاني علامةُ الشَّقاوة»[1].

ولِكَي يُحَقِّق هَذَا المحرومُ غايتَه السَّيئةَ، ويُدرك مَطلبَه المذمومَ؛ سيَلجَأ في الغالب إلى التَّجسُّس على الآخَرِين؛ يَقُولُ الشَّيخُ ابْن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّجَسُّسُ هو: أن يَتَتَبَّع الإنسانُ أخاه؛ لِيَطَّلِع على عورَاتِه، سواء كان ذَلِكَ عن طريق مباشر، بأن يذهب هو بنفسه يتجسَّس لعلَّهُ يجد عسرة أو عورة، أو كان عن طريق الآلات

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص٢٧١).

المستَخْدَمة في حِفْظ الصَّوت، أو كان عن طريق الهاتف، فكُلُّ شيء يُوصِّل الإنسَانَ إلى عَورات أخيه مَسَالِبِه؛ فإنَّ ذَلِكَ من التَّجسُّس»[(١)].

هَذَا الفِعْل القَبِيح، والخُلق الذميم نَهانا عنه العزيز العظيم في كتابه الكريم؛ حيث قال الحكِيمُ العَلِيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

يَقُولُ الإمامُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال المفُسَرِّون**: التَّجسُّس: البحثُ عن عَيْبِ المُسْلِمِينَ وعوْرَاتِهم.

فالمعنى: لا يَبحث أحدُكم عن عيْبِ أخيه؛ لِيَطَّلِع عليه إذا سَتَرهُ اللهُ»[(٢)].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾: «أي: لا تُفَتِّشوا عن عَورات المُسْلِمِينَ، ولا تتبَّعُوها، واتركُوا المسلم على حاله، واستعملوا التَّغافُل عن أحواله الَّتِي إذا فُتِّشَت ظَهَر منها ما لَا يَنبغي»[(٣)].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٥١).

(٢) «زاد المسير» (٧/ ٤٧١).

(٣) «تفسير السعدي» (ص٨٠١).

وحذَّرَنا منه- أيضًا- رسولُ العَزِيز العَلَّام علَيهِ أفضَل الصَّلاة والسَّلام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِيَّاكُم وَالظَّنَّ؛ فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَنَافَسُوا، ولا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(١).

يقول الإِمَامُ النَّووِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأوَّل بالحاء، والثَّاني بالجيم، **قال بعض العلماء: «التَّحَسُّس»** بالحاء: الاستِمَاع لحديث القوم. وبالجيم: البحث عن العَورات.

وقيل: بالجيم: التَّفتيش عن بَواطن الأمور.

وأكثر ما يقال في الشر والجاسوس: صاحب سِرِّ الشَّرِّ. والنَّاموس: صاحب سِرِّ الخير.

وقيل: بالجيم: أن تَطْلُبَهُ لغيرك. وبالحاء: أن تَطلبه لنَفْسِك. قاله ثعلبٌ.

وقيل: هما بِمَعنى، وهو طلبُ معرفة الأخبار الغائبة والأحوال»(٢).

هَمُّ صاحبِهِ الأكبر تحقِيق مُبْتَغاه وإدراك مقصده دون النَّظَر لعَواقب هَذَا الخلق المشين، وما فيه مِن أذيَّة الآخرين؛ **يَقُولُ الشَّيخُ**

(١) رواه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦/ ١١٩).

ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التَّجسُّس أذيَّة يَتأذَّى به المُتَجَسَّس عليه، ويؤدِّي إلى البَغْضَاء والعدَاوة، ويُؤدِّي إلى تكْلِيف الإنسان نفسه ما لم يُلزَمه، فإنَّكَ تجد المُتَجَسِّس- والعياذ بالله- مرَّة هنا، ومرة هنا، ومرة هنا، ومرَّة ينظر إلى هَذَا، ومرة ينظر إلى هَذَا، فقد أتْعبَ نفسه في أذِيَّة عباد الله؛ نسأل الله العافية»(١).

نراه- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- يَسْتَعْمِل لنَيْل مطْلَبه كلَّ الوسائل المعينة، والطُّرق الممكِنَة؛ كالتصنت، والتنقيب، والبحث فيما يخص الغير دون أن يستشعر أنه مُتلَبِّس بفِعْلٍ ذميمٍ قد تُوعِّد صاحبُه بعذابٍ أليمٍ إذا لم يتدَارَك نفسه، ويتوب إلى العزيز الكريم، فعن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنِ اسْتَمَعَ إلى حديث قَوْمٍ وَهُمْ له كَارِهُونَ أو يَفِرُّونَ منه صُبَّ في أُذُنِهِ الآنُكُ يوم القِيَامَةِ**»(٢).

يَقُولُ المُناوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مَنِ اسْتَمَعَ**»، أي: أصْغَى، «**إلى حديث قَوْمٍ، وَهُمْ له كَارِهُونَ**»، أي: حالة كونهم يكرهونه لأجل استماعهم، أو يكرهون استماعه إذا عَلِموا ذَلِكَ، «**صُبَّ**» بضم المُهملة وشَدِّ المُوحدة، «**في أُذُنِهِ الآنُكُ**» بفتح الهمزة المَمدودة وضَم النون: الرَّصَاص، أو خَالِصه، أو الأسود، أو الأبيض.

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٥١).

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٥).

والجملة: إخبارٌ، أو دُعاء»[(١)].

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني الَّذِي يَتسَمَّع إلى أناس وهم يَكرهون أن يَسمع، فإنه يُصبُّ في أذنيه الآنُك يوم القيامة.

قال العلماءُ: الآنُكُ: هو الرَّصَاص المُذاب، والعياذ بالله.

والرصاصُ المُذَاب بنار جهنم أعظمُ من نار الدُّنيا بتسعٍ وستِّين مرَّة، يُصب في أذنيه؛ لأنه تسمَّع لقوم وهم يكرهون أن يَسْمَع، وسواء كانوا يكرهون أن يسمع لغرضٍ صحيحٍ، أو لغير غرض؛ لأنَّ بعض النَّاس يكره أنْ يَسْمَعَهُ غيرُه ولو كان الكلامُ ما فيه خطأ ولا فيه سَب، ولكن لا يريد أنَّ أحدًا يسمعه، وهَذَا يقع فيه بعض النَّاس، تجده مثلًا إذا رأى اثنين يتكلَّمُون يأخذ المُصحَف، ويجلس قريبًا منهم، ثم يبدأ يطالع المصحَف كأنه يقرأ، وهو يستمع إليهم وهم يكرهون ذَلِكَ، هَذَا الرَّجُل يُصب في أُذُنَيْهِ الآنُك يوم القيامة؛ فيُعذَّب هَذَا العذاب، والعياذ بالله»[(٢)].

أتدري- يا مَن أُصبت بهَذَا المرض القبيح- أنَّ الجزاء من جنس العمَل، وأنَّ مَن حرص على كشف عوْرَة أخيه؛ فضحه العَزِيز العَلَّام، وهتك ستره وكشف عورته بين الأنام؛ فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: صَعِدَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر فنادى

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٩٧).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ١٧١).

بصوت رفيع، فقال: «يا مَعْشَرَ مَن قد أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، ولم يُفْضِ الإيمَانُ إلى قَلبِهِ: لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، ولا تُعَيِّرُوهُمْ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فإنَّه مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»(١).

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ»، مِن فَضَحَ كمَنَعَ، أي: يَكشف مَسَاويه، «وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»، أي: ولو كان في وَسَط منزله مخفيًّا مِن النَّاس»(٢).

ألم يَبلغك كذَلِكَ: أنَّ هَذَا الدَّاء ليس من شِيَم الفُضلَاء، ولا هو من خِصَال العُقلَاء؟!

يقولُ الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجبُ على العاقل: مُباينة العَوام في الأَخْلَاق والأفعال، بلزوم ترك التَّجسُّس عَن عيوب النَّاس؛ لأنَّ مَن بحث عن مَكنون غيره؛ بُحث عن مكنون نفسه، وربما طمَّ مكنونه على ما بحث مِن مكنون غيره، وكيف يَسْتَحْسن مُسْلِمٌ ثَلْبَ مُسْلمٍ بالشَّيء الَّذِي هو فيه»(٣).

وأنَّ ضرره ليس قاصرًا عليك، بل هو مُتعَدٍّ لمن تتجَسَّس عليه، وتحرَّص على معرفة عيوبه، فعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٢٤٥).

(٣) «روضة العقلاء» (ص ١٢٨).

اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاس أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**»(١).

يَقُولُ المُلَّا علِي قارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اتَّبَعْتَ**»، مِن الاتِّباع، أيْ: تتبَّعت، «**عَوْرَاتِ النَّاس**»، أي: عيوبهم الخفِيَّة؛ وفي نسخة: «**ابْتغيْتَ**» أي: طلبتَ ظُهور معايبهم وخَللهم، «**أَفْسَدْتَهُمْ**»، أي: حكمت عليهم بالفساد، أو أَفْسَدَت أمرَ المَعاش والمَعاد، والله رؤوف بالعباد»(٢).

فالبدَارَ البِدَار- يا مَن ابتُليت بهَذَا الدَّاء القتَّال- بالتوبة والرجوع إلى الكبير المتعال، والتخلص من هَذَا المرض العُضال، وأن تَحرص كلَّ الحرص إذا أردت النَّجاح والفلَاح علَى الاهتِمَام بعيوب نفسِك التي بين جَنبيك.

يقولُ الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الواجبُ على العاقل**: لُزوم السَّلامة بترك التَّجسُّس عن عيوب النَّاس مع الاشتِغَال بإصْلَاح عُيوب نفسه، فإنَّ مَن اشتغل بعيوبهِ عن عيوب غيره أراح بدنَهُ، ولم يُتعب قلبه، فكُلَّما اطَّلَع على عيبٍ لنفسِه هَانَ عليه ما يَرى مِثْلَه مِن أخيه، وأنَّ مَن اشتغل بعيوب النَّاس عن عيوب نفسه عَمِي قلبُه، وتَعِبَ بدنُه، وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه، وإنَّ مِن أعجَز النَّاس

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٢٥٩).

مَن عاب النَّاس بما فيهم، وأعْجَز منه مَن عابهُم بما فيه...»[(١)].

لأنَّ مَن عَرف حقيقةَ نفْسِه انشغَلَ بإصلاحها عن الاهتِمَام بعُيوب غيره؛ يَقولُ الإمَامُ ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن عَرف نفسَه انشغَلَ بإصْلَاحها عن عيوب النَّاس»[(٢)].

وعليك أنْ تَسأل دومًا العزيز الوهَّاب أنْ يرزقك حُسن الآداب، مع بذل ما يُعينك على تحقيق ذَلِكَ مِن الأسباب؛ لأنَّ حُسْنَ أدب المرء هو عنوانُ سعادته، وسَيِّئَه مِن القرائن الدَّالة على حرمانه وشقاوته.

يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه، وقِلَّة أدَبِه: عنوان شَقاوته وبَواره»[(٣)].

وفي الختام- أيُّها الأَحِبَّةُ الكِرَامُ- يَنبغي أنْ نَعْلمَ أنه يُستثنَى مِن النَّهي عن التَّجسُّس: ما كان فيه مصلحة راجحة؛ كحفظ النَّفس والعِرْض، وغير ذَلِكَ من الضَّرُورِيَّات.

يَقُولُ الحافظ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويُستثنى من النهي عن التَّجسُّس ما لو تَعيَّن طريقًا إلى إنقاذِ نَفس من الهلاك؛ مثلًا كأن

---

(١) «روضة العقلاء» (ص١٢٥).

(٢) «الفوائد» (ص٥٧).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٠).

يُخبر ثِقَةٌ بأنَّ فُلانًا خَلا بشخص ليقتله ظلمًا، أو بامرأةٍ ليَزني بها؛ فيُشرع في هَذِهِ الصُّورَة التَّجسُّس، والبحث عن ذَلِكَ حَذَرًا مِن فوات استِدْرَاكِه.

نقلَهُ النوويُّ عن «الأحكام السُّلطانية» للمَاوَرْدي، واسْتَجَادَه»[1].

فاللهَ أسْأَلُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يُوَفِّقنا- وإيَّاكُمْ- لكل ما يُحِبُّه ويَرضاه، ومن ذَلِكَ التحلي بالأَخْلَاق الفاضلة، والصفات الكَريمة.

وأن يُجنِّبَنا جميعًا كُلَّ خُلُقٍ مشين، ومن ذَلِكَ التَّجسُّس على الآخرين؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، وأرْحَمُ الرَّاحِمين.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٨٢).

التَّوفيق

هو مِن تيسير العزيز الرَّفيق

التوفيق هو من تيسير العزيز الرفيق

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ مِن علَامات توفيق ربِّ البريَّات لِعبده- أيُّها الإخوة والأخوات- أن يُيسِّر له في هَذِهِ الدُّنيا الفانية عمَل الخيرات، ويُعينه فيها على التَّزوُّد مِن الطَّاعات.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمَعَ العارفُونَ على أنَّ كُلَّ خيرٍ فأصلُه بتوفيقِ الله للعبدِ»[1].

وإنَّ مِن قرائن خِذلانه له: أنْ لَا يَعصمه مِن الوقوع في المُحَرَّمات، ولا في المَعَاصي والمُنكرَات.

يَقُولُ الإمامُ الأزهريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخِذْلَانُ الله تعالى للعبد: ألَّا

---

(١) «الفوائد» (ص٩٧).

يعْصِمَه مِن السَّيِّئة؛ فيَقعُ فيها»(١).

فالتوفيق والخِذلان- أيُّها الأَحِبَّةُ والإخوان- هما بِيَدِ العزيز الرَّحمن، حيث يُوفِّق جَلَّجَلَالُهُ مَن يشاء بفضله، ويخذل مَن يريد بعَدْلِه، لا يظلم سبحانه أبدًا أحدًا مِن خلقه.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبيدُ مُتقلِّبُونَ بيْنَ توْفِيقه وخِذلَانه، بل العبد في السَّاعةِ الواحدة يَنال نصيبه مِن هَذَا وهَذَا؛ فيُطيعه ويُرضيه، ويَذكره ويَشكُره بتوفِيقه له، ثُم يَعصيه ويخالفه ويسخطه، ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائرٌ بين توفيقه وخِذلانه، فإنْ وفَّقهُ فبفضله ورحمته، وإنْ خَذَله فَبِعَدْله وحِكمته، وهو المحمودُ على هَذَا وهَذَا، له أتمُّ حَمْدٍ وأَكْمَله»(٢).

فَمَن صَدَقَ معه مِن عِبَاده، وأَخْلَص له في عِبَادته، وبَذَل الأسباب؛ وفَّقَهُ العزيز الوهَّاب لكل خيرٍ وصوَاب، قال سبحانه: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس للعبد شيء أنفع مِن صِدْقِه ربَّه في جميع أموره...، ومَن صَدَقَ اللهَ في جميع أموره صَنَعَ اللهُ له فوق ما يَصنع لغيره»(٣).

(١) «تهذيب اللغة» (٧/ ١٤٠).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤١٣).

(٣) «الفوائد» (ص١٨٦).

وبقدر إخلاص النّيّة يَكُون التَّوفيق للعبد من ربِّ البرِيَّة؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وعلى قَدْر نيَّة العبد وهمَّته، ومُراده ورغبَتِه في ذَلِكَ يَكُون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة مِن الله تنزل على العِبَاد على قدر هِمَمِهِم، وثباتهم، ورغبتهم، ورَهْبَتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذَلِكَ، فاللهُ- سبحانه- أحْكَمُ الحاكمين، وأعلَم العالمين، يضع التَّوفيق في مواضعِه اللائقة به، والخذْلَان في مواضعِه اللَّائقة به، هو العليم الحكيم»[1].

فعلَى مَن أراد أن ينال هَذَا الفَضْل الكبير، والخير الكثير أنْ يطلبه أوَّلًا مِن العزيز القدير؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «فإنَّه- أي: الدُّعاء- مِن أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب»[2].

لأنَّ التوفيق لا يُطْلَب إلَّا من العزيز الرَّفيق؛ **يَقُولُ الإمامُ ابن رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «التَّوفيق كُلُّه بِيَدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ فَمَن يَسَّر الله عليه الهدى اهْتَدى، ومَن لم يُيَسِّرْهُ عليه لَم يُيَسَّرْ له ذَلِكَ»[3].

وعليه كذَلِكَ أن يجتهد في فِعْل الطَّاعات، ويحرص على التزوُّد مِن الخيرات؛ لأنَّه على قدر القُربات يَكُون التَّوفيق من رب الأرْض

(١) «الفوائد» (ص٩٧).

(٢) «الجواب الكافي» (ص٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٣٧).

وَالسَّموات؛ يَقُولُ الإمامُ أبو سُلَيْمان الدَّاراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ التوفيق على قَدْرِ القُربة»[٢].

وعليه- كذَلِكَ- أن يَسْتَحْضِر دائمًا عند فعله للخير، وابتعاده عن الشَّر قول العزيز المقتدر: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨].

يَقُولُ الإمامُ أبو المُظَفَّر السَّمْعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ دليلٌ على أنَّ الطَّاعةَ لا يُؤتَى بها إلَّا بتوفيق الله.

والتَّوْفيقُ من الله: هو التَّسْهِيل، والتَّيسِير، والمَعُونة»[٣].

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، أي: وما يَحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفِكاك عن الشَّر إلَّا بالله تعالى؛ لا بحولي، ولا بقوتي»[٤].

إنَّ مما ينبغي أنْ نَعْلمَه- أيُّها الإخوة والأخوات- أنَّ مِن أفْضَل ما يَمنُّ به رب البريَّات على عبدِه قبل المَمات أن يُوَفِّقه لِعَمَل الصَّالحات؛ فعن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ**». فقيل: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يا رَسُولَ الله؟ قال:

---

(١) الإمامُ الزَّاهدُ عبد الرحمن بن أحمد، تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة خمس عشرة ومائتين. (ت ٢١٥هـ). «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ١٨٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٩).

(٣) «تفسير السمعاني» (٢/ ٤٥٢).

(٤) «تفسير السعدي» (ص٣٨٧).

«يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قبل المَوْتِ»[(١)].

يَقُولُ المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يُلهمه التَّوبةَ وملازمة العمَل الصَّالح كما يحبُّ، ويَنبغي حتَّى يَمِلَّ الخَلْقَ، ويَستقْذر الدُّنيا، ويَحِن إلى الموت، ويَشتاق إلى الملإِ الأعلى، فإذا هو بِرُسل الله تعالى يردون عليه بالرُّوح والرَّيحان، والبُشْرَى والرِّضْوَان مِن ربٍّ راضٍ غير غضبان، فينقلونه مِن هَذِهِ الدَّار الفانية إلى الحضرة العَالِيَة البَاقِيَة، فيرى لنفسه الضَّعيفة الفقيرة نَعيمًا مُقيمًا ومُلكًا عظيمًا»[(٢)].

وأنَّ التَّوفيق الحقِيقي للعَبْد في الدُّنيا ليْسَ في نَيْلِه المناصب، ولا في كسْبِه الأموال، وإنَّما هو في الحقيقة أنْ يَكُون مِن أولياء الكَبِير المتعَال، الَّذِين يحرصُونَ على طاعة أرْحَم الرَّاحِمين، ويجتهدون في اتِّباع سُنة خير المرسلين، وهَذَا- أيُّها الأحْبَاب- هو أعْظَم ما يناله العبد من الكريم الوهَّاب؛ يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنعمة المُطْلقَة هي المُتَّصِلَة بسعادة الأبَد، وهي نعمة الإِسْلَام والسُّنة، وهي التي أَمَرَنا اللهُ أنْ نسْألَهُ في صلَواتِنَا أن يَهْدِيَنا صراط أهلها، ومَن خَصَّهم بها، وجَعَلهم أهلَ الرَّفيق الأعلى...»[(٣)].

لأنَّ نَيْلَ ملذَّات الدُّنيا الفَانية ليْسَ من علَامات التَّوفيق

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «فيض القدير» (١/ ٤٥٠).

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٥).

والنَّجاة؛ لأنَّ العَزِيز العَلَّام يُعطيها مَن يَشاء مِن الأنام، أمَّا الإيمَان فلا يناله إلَّا مَن يحبُّه العليم المنَّان؛ فعن عَبْد اللهِ بْن مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ يُعطي الدُّنيا من يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعطي الإيمَان إِلَا مَنْ أَحَبَّ؛ فَمَنْ أَعْطَاه الدِّينَ فقد أَحبَّه**»(١).

يَقولُ شَيْخُ الإِسْلَام ابنُ تَيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «ليْسَ كلُّ مَن أعطى مالًا أو دُنيا أو رئاسة كان ذَلِكَ نافعًا له عند الله، مُنْجِيًا له مِن عذَابِه، فإنَّ الله يُعْطِي الدُّنيا مَن يحبُّ ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعطي الإيمَانَ إلَّا مَن يحبُّ»(٢).

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى وصِفَاته العُليَا أن يَجعلنا- وإيَّاكُمْ- من أهل التَّوفيق والصَّلاح؛ لأنَّ في ذَلِكَ الفوز في الدَّارَيْن والنَّجاح.

وأنْ يُجنِّبَنا كلَّ أسباب الحِرمَان والخُسْرَان؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والعزيز الرَّحمن.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلَى آلِهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٧١٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٤٧).

تذكير المُسْلِمِين
بفَضْلِ الإحسانِ إلىٰ الآخَرِين

تذكير المسلمين بفضل الإحسان إلى الآخرين

الحَمدُ للهِ ربِّ العَالمِين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشْرَف المُرسَلِين، نَبِيِّنَا مُحمَّد، وعلَى آلهِ، وصَحْبِه أَجْمَعِين.

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ الإِحسَانَ إلى خَلْقِ العَزِيز العَلَّام، ومدِّ يَدِ العَوْن للأنام مِن أهَمِّ الأعمَال الكَرِيمة، والأفعال القَويمة الَّتي حثَّنا عليها دِينُ الإسْلَام؛ فعن شَدَّاد بن أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحسَان على كل شَيْءٍ، فإذا قَتَلتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبحَ، وَلْيُحِدَّ أَحدُكم شَفْرَتَهُ؛ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَه**»(١).

يَقُولُ الشَّيخُ ابْنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَتبَه على كلِّ شي: يعني في كلِّ شيءٍ؛ كَتَبَ الإِحسَانَ في كل شيء، يعني أن الله عَزَّوَجَلَّ شرعَ الإِحسَانَ في كُلِّ شيء، حتى في القَتْل، وحتى في الذَّبح، وفي غير ذَلِكَ

(١) رواه مسلم (١٩٥٥).

مِن الأمور. عليك أن تَكون مُحْسِنًا لما تقومُ به»(١).

ولذا كان أهلُ الإحسَان- أيُّها الأَحِبَّة والإخوان- مِن أَحَبِّ العِباد إلى العزيز الرَّحمن، حيث يَقُولُ الكريم المنَّان: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

يقول الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال أبو جَعفر**: يعني- جل ثناؤه- بقوله: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ أحسنوا- أيُّها المؤمنون- في أداء ما أَلْزَمْتُكم مِن فرَائضي، وتجنُّب ما أمَرْتُكم بتجَنُّبه مِن معاصِيَّ، ومن الإنفاق في سبيلي، وَعَوْدِ القويِّ منكم على الضَّعيف ذي الخَلَّة؛ فإنِّي أُحِبُّ المحسنين في ذَلِكَ»(٢).

ويَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذَا يشملُ جميعَ أنواع الإِحسَان؛ لأنَّه لم يُقيِّده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإِحسَان بالمال...، ويدخل فيه الإِحسَانُ بالجاه، بالشَّفاعات، ونحو ذَلِكَ، ويَدخل في ذَلِكَ الإِحسَان بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وتعليم العِلم النَّافع، ويَدخل في ذَلِكَ قضاءُ حوائج النَّاس؛ مِن تفريج كرُبَاتهم، وإزالة شدَّاتهم، وعيَادة مرْضَاهُم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة مَن يعمل عملًا، والعمل لِمَن لا يُحسن العمل، ونحو

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٥٩٤).

(٢) «تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٥).

ذَلِكَ مما هو من الإحسَان الَّذِي أمَر الله به...»(١).

بل إنَّ مما جُبِلَ عليه الأنام- أيُّها الأفاضل الكرام- حُبَّ مَن يُحسن إليهم، وتبجِيلَ مَن يُساعِدهُم؛ **يقول الإمَامُ ابْنُ حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والبَشر مجبولون على محبَّة الإحسَان، وكراهية الأذى، واتخاذ المحسن إليهم حبيبًا، واتخاذ المسيء إليهم عدوًّا»(٢).

ولذا مِن أنفع الوسائل المُعينة على إطْفَاء نار الحاسد، وإخمَاد ما في نفس الحاقِد مُبادرته بالتَّجاوُز عنه، والإحسَان إليه؛ **يَقُولُ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «إطفاءُ نار الحاسِد والباغِي والمؤذِي بالإحسَان إليه، فكُلَّما ازدَاد أذى وشرًّا وبَغْيًا وحَسَدًا ازددْتَ إليه إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شَفقة»(٣).

ويكفي أصْحَابَ هَذَا الخلُق الكريم، والأدب القويم، فضْلًا ومنزلةً- أيُّها الأفاضل- قُربُهم مِن رحمة الرَّحمن الرحيم؛ يَقُولُ العزيز العظيم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾[الأعراف: ٥٦].

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ في عِبادة الله، المُحسنين إلى عباد الله، فكُلَّما كان

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٠).

(٢) «روضة العقلاء» (ص٢٤٣).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٦٨).

العَبْدُ أكثر إحسانًا؛ كان أقرب إلى رحمة ربِّه، وكان ربُّه قريبًا منه برحمته، وفي هَذَا مِن الحثِّ على الإِحسَان ما لا يَخْفَى»[١].

ويَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِفتاحُ حُصُول الرَّحمَة: الإِحسَانُ في عبادة الخَالق، والسَّعيُ في نَفْع عَبِيده»[٢].

وأنَّهم مِن أعظم النَّاس قدرًا، وأشرحهم صدرًا؛ **يَقُولُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «الإِحسَانُ يُفرح القلب، ويَشرح الصدر، ويَجلب النِّعم، ويَدفع النِّقم، وتَركه يُوجِبُ الضَّيم والضِّيق، ويمنع وصول النعم إليه، فالجبن: ترك الإِحسَان بالبدن، والبخل: ترك الإِحسَان بالمال»[٣].

فعلى مَن أراد أن ينال هَذَا الشَّرف، وتكون له هَذِهِ المرتبة: أنْ يَكُونَ مِن أهل الإِحسَان، ويسعى في خِدْمَة الآخرين.

يَقُولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فالإِحسَان:** هو بذل جميع المَنافع مِن أيِّ نوعٍ كان، لأيِّ مخلوقٍ يَكُون، ولكنَّهُ يتفاوَتُ بتفَاوُت المحسَنِ إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإِحسَان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسَّبب

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٩٢).

(٢) «حادي الأرواح (ص٤٨).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص٤١٩).

الداعي له إلى ذَلِكَ»(١).

ويَقُولُ الشَّيخُ ابْن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمَّا الإِحسَان إلى عباد الله: فأنْ تُعامِلَهُم بما هو أحسَن؛ في الكلام، والأفعال، والبَذْل، وكفِّ الأذَى، وغير ذَلِكَ، حتى في القول؛ فإنك تُعاملهم بالأحسَن»(٢).

وعلى المسلم أن يَعلم أنَّ أوْلَى النَّاس بإحسانه وإكرامه هُم مَن كانَا سببًا في وجوده، وقد بَذَلَا الجهد في تربِيَتهِ، والاعتِنَاء به، وهما والِدَاه؛ يَقولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

يَقولُ الشَّيخُ السَّعدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاء دينيًّا، وأَمَرَ أمرًا شرعِيًّا: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ أحدًا مِن أهل الأرض والسَّماوات الأحياء والأموات.

﴿إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾؛ لأنَّه الواحِد الأحَد، الفرد الصَّمد، الَّذِي له كل صفة كمال، وله مِن تلك الصِّفَة أعظمها، على وجهٍ لا يشبهه أحد مِن خلقه، وهو المنعم بالنِّعَم الظَّاهرة والباطنة، الدَّافع لجميع النِّقَم، الخالق الرَّازق، المدبِّر لجميع الأمور، فهو المتفرِّد بذَلِكَ كله، وغيره ليس له مِن ذَلِكَ شيء.

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢٠٢).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ١٣).

ثُم ذكر بعد حقِّه القِيَام بحق الوالدَيْن، فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ أي: أحسِنُوا إليهما بجميع وجوه الإِحسَان (القَوْلي والفِعْلي)؛ لأنهُما سَبَبُ وجودِ العَبْد، ولهما مِن المحبَّة للولد، والإِحسَان إليه، والقرب ما يقتَضِي تأكُّدَ الحَقِّ، ووُجوبَ البِرِّ»[(١)].

وليَعْلَم- كذَلِكَ- أنه مَهْمَا اجتهد في برِّهما، وحرص أَشَدَّ الحرص علَى خدمتهما، والإِحسَان إليهما، فلن ولن يَقْدِر على ردِّ ما كان منهما مِن فضلٍ وجهدٍ وإحسَان.

يَقُولُ ابْنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليعلم البارُّ بالوالدين أنه مَهْمَا بالَغَ في برِّهما لم يَفِ بِشُكرهما»[(٢)].

وعليه أن **يَعْلَم كذَلِكَ**: أَنَّ الأهل والأقارب هم كذَلِكَ بَعْد الوالدين أوْلَى النَّاس بالإِكرَام والمُسَاعدة والإِحسَان؛ فعن عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُكُم خَيْرُكُم لِأَهْلِهِ، وأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[(٣)].

يقولُ الإِمَامُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في ذَلِكَ تنبيهٌ علَى أعلى النَّاس رُتْبةً في الخير، وأَحَقِّهم بالاتِّصَاف به: هو مَن كان خير النَّاس لأَهْلِه؛

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٥٦).

(٢) «بر الوالدين» (ص٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فإنَّ الأهل هم الأحِقَّاء بالبِشْر، وحُسْن الخلُق، والإحسَان، وجلب النَّفع، ودفع الضُّر، فإذا كان الرَّجُلُ كذَلِكَ فهو خير النَّاس.

وإنْ كان على العكس مِن ذَلِكَ فهو في الجانب الآخر مِن الشر، وكثيرًا ما يقع النَّاس في هَذِهِ الورطة؛ فترى الرَّجُل إذا لقِيَ أهله كان أسوأ النَّاس أخلاقًا، وأشحهم نفسًا، وأقلَّهُم خيرًا، وإذا لقِيَ غير الأهل مِن الأجانب لَانَتْ عرِيكَتُه، وانبسطَتْ أخلاقُه، وجادَتْ نفسُه، وكَثُر خيرُه.

ولا شَكَّ أنَّ مَن كان كذَلِكَ فهو محرومُ التوفيق، زائغٌ عن سواء الطريق؛ نسأل اللهَ السَّلامة»(١).

فبَعد أن عرفنا- أيُّها الكِرَام- فَضْلَ هَذِهِ الخصلة الحميدة، والصِّفَة الرَّفيعة، وأنها من الأَخْلَاق الجميلة التي يحبُّها العَزِيز العَلَّام، وهي كذَلِكَ مِن أسباب زَرع الألفة، وغرس المحبَّة بين الأنام.

فَعلَى مَن أراد نيْلَهَا- أيُّها الأحباب- أنْ يَسْألَهَا أوَّلًا مِن العزيز الوهَّاب، ثُمَّ عليه أنْ يَبْذُلَ ما يُعِينه على تحقيقها مِن أسباب.

فاللهَ أسْألُ بأسْمَائِه الحُسْنَى، وصِفَاته العُليَا أن يُوفِّقَنا لكلِّ ما فيه

---

(١) «نيل الأوطار» (٦/ ٢٦٠).

نجاحٌ وفلاحٌ، ومِن ذَلِكَ أنْ يَرزقنا صفةَ الإِحسَان.

وأنْ يُجنِّبَنا- وإيَّاكُمْ- ما يجعَلُنا مِن أهل الحِرمَان والخُسْرَان، فهو- سبحانه- وليُّ ذَلِكَ، والكريمُ المَنَّان.

وصلِّ اللهُمَّ وسلِّم على نَبِيِّنا مُحمَّد، وعلى آلهِ وصَحْبِه أجْمَعِين

الفهارس العامة للكتاب

١- فهرس الآيات القرآنية
٢- فهرس الأحاديث القدسية
٣- فهرس الأحاديث النبوية
٤- فهرس الآثار
٥- فهرس الأبيات الشِّعرية
٦- فهرس المصادر المعتمدة
٧- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾	١٢٦	١٨٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	٧٦
﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	١٩٥	٣٦٦
﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾	٢٠٨	١٤٤

سورة آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	١٠٢	٥
﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾	١٠٦	١٨٠
﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾	١٣٤	٣٢٧
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾	١٣٥	١١١
﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾	١٥٩	١٢٨
﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾	١٨٥	٤٧

سورة النِّساء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾	١	٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾	١٠	٢٤٤
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾	٣٤	١٤٠، ٢٦٦
﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾	٨٣	٤١
﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ﴾	١٣٠	١٣٩، ١٦٨

سورة المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾	١١٨	٢٠٣

سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾	٥٦	٣٦٧

سورة الأنفال

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾	٣٣	١١٧

سورة التوبة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا﴾	٣٦	٢٧٩

سورة هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾	٣	١١٢، ١١٦
﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾	٨٨	٣٦٠

سورة الرعد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾	٢١	٣٠٦

سورة إبراهيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾	٣٤	١٨٥

سورة الحجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾	٩٥	٢٠٢

سورة النحل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾	٦٠	٢١٣

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	٢٣	٣٦٩
﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾	٣٤	٦٠
﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾	٢٧	١٤٤

سورة الكهف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾	٨٢	٨٨

سورة مريم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾	٥٤	٦١

سورة الحج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾	١	٢٥١

سورة المؤمنون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾	٨	٥٩
﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾	٩٩، ١٠٠	١٥١

سورة النور

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾	١٩	٧٣

سورة الفرقان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾	٢٧	٢٤٧
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾	٣١	٢٦٣

سورة النمل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾	٤٦	١١٦

سورة العنكبوت

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾	٦٩	١٤٥
﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾	٧٥	١٥٠، ٢٥٨

سورة لقمان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾	١٧	١٠٤

سورة الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾	٢١	٦٠
﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾	٣٣	١٤٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾	٧٠	٥

سورة فاطر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾	١٠	١٧٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	٢٨	١١٥

سورة ص

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾	٦٦	١١٥
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾	٨٢، ٨٣	١٣٣

سورة الصافات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾	١٠٠	٨٣
﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾	١٠١	٨٤
﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾	١٠٢	٦٢

سورة الزمر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٣٠	١٥٠

سورة غافر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	٥٦	١٣

سورة الزخرف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾	٣٦	١٧٩

سورة الأحقاف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾	١٥	٨٤

سورة محمد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾	١٩	١١٣
﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾	٢١	٣٥٨
﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ﴾	٢٢	٣٠٨

سورة الحجرات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾	٦	١٠٤
﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾	١١	٢١٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾	١٢	١٠٥، ٣٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾	١٣	٣٣٨

سورة الذاريات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	٥٦	٢٦، ١٥٢

سورة النجم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	٣٢	٢٢٠

سورة الرحمن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾	٢٦، ٢٧	٤٧

سورة التغابن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾	٩	٢٤٧

سورة القلم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾	١٠، ١١	١٠٢، ١٧٠

سورة نوح

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾	١٠، ١١	١١٦

سورة البروج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ﴾	١١	٥٢

سورة الفجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾	٢٤	٥٥

سورة الضحى

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾	٩	٢٤٢

سورة البينة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	٥	٢٦

سورة القارعة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢﴾	١، ٢	٢٥٤
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾	٣	٢٥٤
﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾	٤	٢٥٥
﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾	٥	٢٥٥
﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦﴾	٦، ٧	٢٥٦
﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩﴾	٨، ٩	٢٥٦
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾	١٠، ١١	٢٥٧

سورة التكاثر

الآية	رقم	الصفحة
﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾	١	١٥٥

﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾	٢	١٥٦
﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣﴾	٣، ٤	١٥٧
﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾	٥	١٥٨
﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦﴾	٦، ٧	١٥٩
﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾	٨	١٥٩

سورة العصر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢﴾	السورة	٣٠٠

سورة الكوثر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾	١	١٩٨
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾	٢	٢٠٠
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾	٣	٢٠١

فهرس الأحاديث
القدسية والنبوية

فهرس الأحاديث القدسية

الحديث	اسم الصَّحَابي	الصفحة
إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُم	عِيَاض بن حِمَار	١٣٥

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	اسم الصَّحَابي	الصفحة
اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ	أبو ذَرٍّ	١٢٢
اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ	أبو هريرة	٢٤٣
احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ	أبو هريرة	٢٣
آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ	أبو هريرة	٦٣
أَجِيبُوا الداعي، وَلَا تَرُدُّوا الهديَّة	ابن مسعود	٢١٠
أَتَدْرُونَ ما الكَوْثَرَ	أنس	١٩٩
أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إذا دُعِيتُمْ لها	ابن عمر	٢٩٥
أَحَبُّ الأَعْمَالِ إلى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ	ابن عمر	٢٩٧
أَفْضَلُ الصِّيامِ بَعْدَ رَمَضَانَ	أبو هريرة	٢٨١

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ من دَرَجَةِ الصِّيام	أبو الدرداء	١٦٩
أَلَا كُلُّكُم رَاعٍ وَكُلكُم مَسْؤُول	ابن عمر	٧٤، ٨٢
أَلَا إِنَّ الدُّنيا مَلعُونَةٌ مَلعُونٌ مَا	أبو هريرة	٤٩
أَكْمَلُ المُؤمِنينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا	أبو هريرة	١٢٥
أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّة هَكَذَا	سهل بن سعد	٢٤٢
إِذَا غَضِبَ أَحَدكُم فَلْيَسْكُتْ	ابن عباس	٣٢٣
إِذَا غَضِبَ أَحدُكم	أبو ذر	٣٢٢
إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ	أبو هريرة	٩٠
إِذَا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ	أنس	٣٦٠
إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يلين قَلبُكَ	أبو هريرة	٢٤٥
إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على المَاءِ	جابر	١٣٨، ١٦٧
إِنَّ الزَّمَانَ قد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ	أبو بكرة الثقفي	٢٨٠
إِنَّ الشَّيطَان قد أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ	جابر	١٦٦
إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إِلَّا ما كان	أبو أمامة الباهلي	٢٧

إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحسَان	شَدَّاد بن أَوْسٍ	٣٦٦
إِنَّ اللهَ يُعطي الدُّنيا من يُحِبُّ	ابن مسعود	٤٨، ٣٦٢
إِنَّا لم نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ	ابن عباس	٢١٢
إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاس	معاوية	٣٥١
إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لو قالَهَا لَذَهَبَ	سليمان بن صُرَدٍ	٣٢١
إِيَّاكُم وَالظَّنَّ	أبو هريرة	٣٤٧
بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّر أَنْ يَحْقِرَ	أبو هريرة	٢٢٠
التَّأَنِّي مِن اللهِ والعجَلَةُ مِن الشَّيطَان	أنس	٣٢٧
تَجِدُونَ شَرَّ النَّاس ذَا الوَجْهَيْنِ	أبو هريرة	١٠١
تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الخُلُق	أبو هريرة	١٢٢
تَهَادَوْا تَحَابُّوا	أبو هريرة	٢٠٧
ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ	ابن عمر	٢١١
حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ خَمْسٌ	أبو هريرة	٢٩٣
خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ	عائشة	٣٧٠

شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ	أبو هريرة	٢٩٤
الصَّوم في الشِّتَاءِ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ	عامر بن مسعود	٢٨٨
فَإِذَا كانَ العَامُ المُقْبِلُ إن شَاءَ الله	ابن عباس	٢٨٣
لَئِنْ كُنْتَ كما قُلت فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُم	أبو هريرة	٣١١
لَوْ أُهْدِيَ إلي ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبلتُ	أبو هريرة	٢٠٩
لو دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ	أبو هريرة	٢٩٨
ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ	أبو هريرة	٣٢٤
لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ الَّذِي يَعُودُ	ابن عباس	٢١٣
لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ	عبد الله بن عمرو	٣١٠
لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ له	أنس	٦٢
لَا تَغْضَبْ	أبو هريرة	٣١٩
لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ	علي	٢٤٠
لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ	جبير بن مطعم	٣٠٩
لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ	حذيفة	١٠٠

كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الهدية	عائشة	٢٠٩
الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاس	ابن مسعود	١٢
كُلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ يُضَاعَفُ	أبو هريرة	٢٨٥
كُنْ فِي الدُّنْيَا كأنَّكَ غريبٌ	عبد الله بن عمر	٤٩
مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا	أبو هريرة	٣٢٨
مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ	أبو موسى الأشعري	٨٩
مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ	أبو موسى الأشعري	٨٥
مَثَلُ المُؤمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ	النُّعمان بن بشير	٢٩٧
المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ	عبد الله بن عمرو	١٢٥، ٣٠١
مَن اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ	ابن عباس	٣٤٨
مَن أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له فِي رِزْقِهِ	أنس	٣٠٧
مَن أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلطَانٍ	عياض بن غَنْمٍ	٣٧
مَن أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ	عبيد الله بن مِحْصَن	١٨٦
مَنْ كان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَليَصِل	أبو هريرة	٣١٠

مَن كانَت الآخِرَة هَمَّهُ	أنس	٥٣
مَن يُرِدْ الله به خيرًا يُفقِّهه في الدِّين	معاوية	٢٢٧
مَن يَضْمَنْ لي ما بَيْن لَحْيَيْهِ	سهل بن سعد	٢٢٣
النَّمِيمَة: القَالَةُ بين النَّاس	ابن مسعود	٩٥
وَاللهِ إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله وأتُوبُ إِلَيْهِ	أبو هريرة	١١٠
وَهَل يَكُبُّ النَّاس في النَّار	معاذ بن جبل	١٠٥، ٢٢٢
يا مَعْشَرَ من قد أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ	عبد الله بن عمر	٣٥٠
يُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ	ابن عباس	٩٨
يَقُولُ ابن آدَمَ: مَالِي، مَالِي	عبد الله بن الشخير	١٥٣
يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ	أبو قتادة الأنصاري	٢٨٣

فهرس الآثار

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
اتقوا الله معشر المُسْلِمِينَ	الأوزاعي	٤٢
أكثِرُوا مِن الاسْتِغْفَار في بيُوتِكُم	الحسن البصري	١١٤
أَلَا تَرَوْنَ أنِّي لَا أُكَلِّمُهُ	أسامة بن زيد	٣٧
إنَّ التَّوفيق علَى قَدْر القُربَة	أبو سليمان الدَّاراني	٣٦٠
إنَّ هَذَا ضَعِيفٌ ضيَّع الله في صِغَره	أحد السَّلف	١٧٧
البِدْعَة أحبُّ إلَى الشَّيطَان	سفيان الثوري	١٣٦
بُلت الدَّم في طلَبِ الحدِيث مرَّتيْنِ	محمد بن طاهر	٢٣١
بنَفْيِ الاعتِمَاد والسَّير في البِلَاد	الشعبي	٢٣٠
حَقٌّ علَى كلِّ مَن يَعْلَم أنَّ الموت مَوْرِده	الحسن البصري	١٥٠
الَّذِي يفُوق النَّاس في العِلم جَدِير	الحسن البصري	١٢٧

السُّني الَّذِي إذَا ذُكِرَت الأهوَاء	أبو بكر بن عياش	٣٣٧
الشِّتَاء غنِيمَة العَابدِين	عمر	٢٨٧
صَاحب البِدْعَة علَى وجْهِه الظُّلمة	عبد الله بن المبارك	١٧٨
علَامة أهل البِدَع الوَقِيعَة في أهْل الأثَر	أبو حاتم	٢١٩
الفِتنَة إذَا أقبلَت عرَفها كلُّ عالِم	الحسن البصري	٣٩
قَعَدُ الخوَارِج هُم أخبَثُ الخوَارج	عبد الله الضعيف	٤٠، ٢٧٤
لوْلَا الأئمَّة لم تأمن لنَا سُبل	عبد الله بن المبارك	١٨٩
لَا يُسْتطَاعُ العِلمُ بِرَاحَةِ الجِسْمِ	يَحْيَى بْن أَبِي كثِيرٍ	٢٣٤
لَا يَنْبل الرَّجُل بنَوْعٍ مِن العِلم	عبد الله بن المبارك	١٢٩
كَانُوا يتعَلَّمون الهدي	محمد بن سيرين	١٢٤
كثْرَة الكلَام، وإفشَاء السِّر	محمد بن كعب	١٠١
الكسَل فَتْرة تقَع بالنَّفس	الفضيل بن عياض	٢٣٣
كُنَّا في مصر سبْعَة أشهر لم نَأكُل	ابن أبي حاتم	٢٣٠
مَا أمَر الله تعالى بأمْرٍ إلَّا وللشَّيطان فيه	أَحَد السَّلف	٧١، ١٣٤

مَن نَمَّ إليك نَمَّ عليك	الفراهيدي	١٠٣
نحن إلى كثيرٍ مِن الأدَب أحْوَج	مخلد بن الحسين	١٢٦
هكَذا حفظْنَا وهَكَذا وقع في كِتَابي	الإمام مالك	٧
ودَّ الشَّيطَان لو ظفر مِنكُم بهَذَا	الحسن البصري	١١٦
يُفسد النَّمام في سَاعة	يَحْيَى بْن أبِي كثِيرٍ	٩٧

فهرس
الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشِّعري	القائل	الصفحة
وَمَا مِنْ كاتِبٍ إلَّا اسْتَبْقَى	أحد الشُّعراء	٢٧٦

فهرس المصادر العامة

فهرس المصادر المعتمَدة

١- اجتِمَاع الجيوش الإسْلَاميَّة علَى غزو المعطِّلة والجهمِيَّة، لابْن القَيِّم/ ط. دار الرشد- السعودية.

٢- الاعتِقَاد والهِدَاية إلى سَبيل الرَّشاد، للبيهقي/ ط. دار الآفاق الجديدة- بيروت.

٣- الاستذكار، لابن عبد البر/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤- الاستقامة، لابن تيمية/ ط. جامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية.

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية/ ط. دار عالم الكتب- بيروت.

٦- الآداب الشرعية والمِنَح المرعِيَّة، لابن مُفلح/ ط. عالم الكتب- بيروت.

٧- أدب الدُّنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي/ ط. دار مكتبة الحياة- بيروت.

٨- الأدب المفرد، للبخاري/ ط. مكتبة المعارف- السعودية.

٩- الأذكار، للنووي/ ط. دار ابن كثير- دمشق.

١٠- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، للفوزان/ ط. دار المنهاج- مصر.

١١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي/ط. دار الفكر- بيروت.

١٢- إحياء علوم الدين، للغزالي/ ط. دار المعرفة- بيروت.

١٣- إعانة المستفيد بشرح كتاب التَّوحِيد، للشيخ الفوزان/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٤- إعلام الموقعين، لابْن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشَّيطَان، لابْن القَيِّم/ ط. دار ابن الجَوْزِي- السعودية.

١٦- بدائع الفوائد، لابن القَيِّم/ ط. مكتبة الباز- السعودية.

١٧- بر الوالدين، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٨- بستان الواعظين ورياض السامعين، لابن الجَوْزِي/ ط. مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت.

١٩- بهجة قلوب الأبرار، للسعدي/ ط. دار الرشد- السعودية.

٢٠- تاريخ دمشق، لابن عساكر/ ط. دار الفكر- بيروت.

٢١- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٢٢- التبصرة، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٣- التحرير والتنوير، لمحمد الطَّاهِر بن عَاشُور/ ط. الدار التونسية للنشر- تونس.

٢٤- تحفة الأحوذي، للمباركفوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٥- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيِّد المُرسَلِين، للشوكاني/ ط. دار القلم- بيروت.

٢٦- تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القَيِّم/ ط. مكتبة دار البيان – دمشق.

٢٧- تذكرة الحُفَّاظ، للذهبي/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨- التعليق على رسالة رفع الأَسَاطين في حُكم الاتِّصَال بالسَّلاطين، لابن عُثَيْمِين/ ط. دار الوطن- السعودية.

٢٩- تفسير السعدي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٠- تفسير الطبري/ ط. دار الفكر- بيروت.

٣١- تفسير القرطبي/ ط. دار الشعب- القاهرة.

٣٢- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني/ ط. دار الوطن- السعودية.

٣٣- تفسير ابن كثير/ ط. دار الفكر- بيروت.

٣٤- التمهيد، لابن عبد البر/ ط. وزارة عموم الأوقاف

والشؤون الإسْلَامية- المغرب.

٣٥- تهذيب التهذيب، لابن حجَر/ ط. دائرة المعارف النظامية- الهند.

٣٦- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٧- تهذيب الكمال، للمِزِّي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٨- التوبة، لابن أبي الدُّنيا/ ط. مكتبة القرآن- مصر.

٣٩- التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي/ ط. مكتبة الإمام الشافعي- السعودية.

٤٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير/ ط. مكتبة البيان- سوريا.

٤١- جامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع، للخطيب البغدادي/ ط. مكتبة المعارف- السعودية.

٤٢- جامع العلوم والحكم، لابن رجب/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤٣- الجواب الكافي، لابن القَيِّم/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٤٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٥- الحق الواضح المبين، لابن سعدي/ ط. دار ابْن القَيِّم-

السعودية.

٤٦- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني/ ط. دار الفكر- بيروت.

٤٧- حِلية طالب العلم، لـ«بكر أبو زيد»/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤٨- الدُّرر السَّنية في الأجوبة النجدية/ ط. في السعودية.

٤٩- الدُّرر السَّنية في ثناء العلماء على المملكة العربية السعودية، لأحمد بازمول/ ط. في السعودية.

٥٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٥١- الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٢- الروح، لابن القيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٣- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٥- رياض الصَّالحِين، للنووي/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٥٦- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الكتاب

العربي- بيروت.

٥٧- زاد المعاد، لابن القَيِّم/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٥٨- الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حَجَر الهيتمي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٥٩- السلسلة الصحيحة، للألباني/ ط. دار المعارف- السعودية.

٦٠- سنن الترمذي/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٦١- سنن أبي داود/ ط. المكتبة العصرية – بيروت.

٦٢- سنن النسائي/ ط. مكتب المطبوعات الإسْلَامية- دمشق.

٦٣- سير أعلام النبلاء، للذهبي/ ط. الرسالة- بيروت.

٦٤- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

٦٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي /ط. دار طيبة- السعودية.

٦٦- شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد/ ط. مؤسسة الريان- بيروت.

٦٧- شرح رياض الصَّالِحِين، لابن عُثَيْمِين/ط. دار الوطن- الرياض.

٦٨- شرح الزرقاني على موطإ الإمام مالك/ ط. مكتبة الثقافة- القاهرة.

٦٩- شرح السُّنة، للبغوي/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٧٠- شرح صحيح البخاري، لابن بطَّال/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧١- الشريعة، للآجري/ ط. دار الوطن- السعودية.

٧٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ لابن القيم، ط. دار المعرفة- لبنان.

٧٣- شُعَب الإيمَان، للبيهقي/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧٤- صحيح البخاري/ ط. دار الأفكار- بيروت.

٧٥- صحيح الجامع الصغير، للألباني/ ط. المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٧٦- صحيح مسلم/ ط. دار المغني- السعودية.

٧٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القَيِّم/ ط. دار العاصمة- السعودية.

٧٨- صيد الخاطر، لابن الجَوْزِي/ ط. دار القلم- سوريا.

٧٩- طبقات الحنابلة، لأبي يعلى/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٨٠- الطبقات الكبرى، لابن سعد/ ط. دار صادر- بيروت.

٨١- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القَيِّم/ ط. دار ابْن القَيِّم- السعودية.

٨٢- طوق الحمامة في الألفة والأُلاف، لابن حزم/ ط. المؤسسة

العربية للدراسات والنشر- بيروت.

٨٣- ظلال الجنَّة في تخريج السُّنة، لابن أبي عاصم للشيخ الألباني- المكتب الإسْلَامي- بيروت.

٨٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨٥- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني/ ط. مؤسسة قرطبة- مصر.

٨٦- فتاوى الشَّيخ ابن باز/ إشراف وطباعة: محمد بن سعد الشويعر.

٨٧- الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، جمع خالد بن عبد الرحمن الجريسي /ط. السعودية.

٨٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حَجَر/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٨٩- فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي /ط. دار الفضيلة- السعودية.

٩٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني/ ط. دار ابن كثير- دمشق.

٩١- فتح المُغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي/ ط. دار المنهاج- السعودية.

٩٢- الفَوائد، لابْن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٩٣- فيض القدير شرح جامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي/ ط. المكتبة التجارية- مصر.

٩٤- القاموس المحيط، للفيروز آبادي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٩٥- القول المفيد على كتاب التَّوحِيد، لابْن عُثَيْمِين/ ط. دار ابن الجَوْزِي- السعودية.

٩٦- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

٩٧- لقاء الباب المفتوح/ ط. تفريغ موقع الشبكة الإِسْلَامية.

٩٨- الكافي في فقه أهل المدينة، لابن عبد البر/ ط. مكتبة الرياض الحديثة- السعودية.

٩٩- الكبائر، للذهبي/ ط. دار الندوة الجديدة- بيروت.

١٠٠- كشف المُشكل من حديث الصحيحين، لابن الجَوْزِي/ ط. دار الوطن- السعودية.

١٠١- الكُنى والأسماء، للدولابي/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

١٠٢- المجموع في ترجمة العلامة المحدث حماد الأنصاري، لعبد الأَوَّل بن حَمَّاد الأنصاري/ ط. في السعودية.

١٠٣- مجموع الفتاوى، لابن تيمية/ ط. مكتبة ابن تيمية- مصر.

١٠٤- مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي/ ط. دار البيان- دمشق.

١٠٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الأصفهاني/ ط. دار الأرقم- بيروت.

١٠٦- مدارج السالكين، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٠٧- مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية، لعبد الملك رمضاني/ ط. مكتبة الفرقان.

١٠٨- مراتب الإجماع، لابن حزم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٠٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري/ ط. دار الفكر- بيروت.

١١٠- مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود/ ط. مكتبة ابن تيمية- مصر.

١١١- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٢- مسند أبي يعلى الموصلي/ ط. دار المأمون للتراث- دمشق.

١١٣- مسند الإمام أحمد/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١١٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض/ ط.

مكتبة العتيقة.

١١٥- مصنف ابن أبي شيبة/ ط. مكتبة الرشد- السعودية.

١١٦- معالم السنن شرح سنن أبي داود، للخطابي/ ط. المطبعة العلمية- حلب.

١١٧- معجم الكبير، للطبراني/ ط. مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

١١٨- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة/ ط. مصر.

١١٩- المغني شرح مختصر الخرقي، لابن قدامة/ ط. دار عالم الكتب- بيروت.

١٢٠- مفتاح دار السَّعادة، لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢١- مكارم الأخْلَاق، لابن عُثَيْمِين/ ط. دار الوطن- السعودية.

١٢٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي/ ط. دار المعرفة.

١٢٣- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية/ ط. جامعة الإمام محمد ابن سعود- السعودية.

١٢٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجَوْزِي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٢٥- نيل الأوطار، للشوكاني/ ط. دار ابن الجَوْزِي- السعودية.

١٢٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القَيِّم/

ط. دار القلم- سوريا.

١٢٧- وجوب طاعة السلطان في غير معصية الرحمن، لمحمد ناصر العريني/ ط. مكتبة الملك فهد- السعودية.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة المؤلف ٥
قَبُول الحَق! ١١
احْرِص على ما يَنْفَعُك! ٢٣
التذكير بِخَطَر الخوارج القَعَديَّة ٣٥
الدُّنيا... إلى أين؟! ٤٧
الوفاء بالوعد من صفات أهل الإيمان ٥٩
بعض وسائل الإعلام، وشهر رمضان! ٧٠
بهَذَا يَصْلُح الأبْنَاءُ.. أيها الآباء! ٨٢
رسالة تحذير وتذكير إلى كل نَمَّام! ٩٥
تذكير الأخيار بفضل الاستغفار ١٠٩
ما أحوجنا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة! ١٢١
نوَّاب إبليس في الأرض! ١٣٣
وقفات مع سورة التّكاثر ١٤٩
التحذير من التحريش بين المسلمين! ١٦٥
بين نور الطاعة والاتباع، وظلمة المعصية والابتداع! ١٧٥
شكر نعمة الأمن ١٨٥
وقفات مع سورة الكوثَر ١٩٧
أثر الهدية على النفوس ٢٠٧
تحذير الأحباب من التنابز بالألقاب ٢١٧
الصبر على تحصيل العلم الشرعي ٢٢٧
تذكير الأنام بمكانة الأيتام في الإسلام ٢٣٩

وقفات مع سورة القارعة ٢٥١
ماذا يُريد أعداء الدين من بلاد الحرمين؟! ٢٦٣
الحث على الإكثار من الصِّيام في شهر الله الحرام ٢٧٩
إجابة الدعوة ٢٩٣
تذكير أهل الإسْلَام بأهمية صِلَة الأرْحَام ٣٠٥
إيَّاك والغضب المذموم أيها المسلم ٣١٧
التَّعَصُّب المذموم! ٣٣٣
تذكير المسلمين بخطر التجسس على الآخرين ٣٤٥
التوفيق هو من تيسير العزيز الرفيق ٣٥٧
تذكير المسلمين بفضل الإحسان إلى الآخرين ٣٦٥
فهرس الآيات القرآنية ٣٧٧
فهرس الأحاديث القدسية ٣٩١
فهرس الأحاديث النبوية ٣٩٢
فهرس الآثار ٤٠٠
فهرس الأبيات الشعرية.. ٤٠٥
فهرس المصادر المعتمَدة.. ٤٠٩
فهرس الموضوعات ٤٢٣